دكتور توفيق محمد شاهين

المشترك اللغوي
نظرية وتطبيقا

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة ت ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

رمضان سنة ١٤٠٠ هـ — يولية سنة ١٩٨٠ م

مطبعة الدعوة الإسلامية
١ - سكة الرفاعي - خلف مساكن الزاوية
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الرَّحْمٰنُ . عَلَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الإنسَانَ . عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾

صدق الله العظيم

* * *

ويقول العماد الأصفهانى :

(انى رايت أنه لا يكتب احد كتابا فى يومه . . الا قال فى غده :

لو غير هذا لـكان احسن ، ولو زيد هذا لـكان يستحسن .

ولو قدم هذا لـكان افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل ..

وهذا من اجمل العبر ، وهو دليـل على استيلاء النقص على جملة البشر)

فى هذا الكتاب أبحاث عن الفقه والتطبيق لموضوعات :

- **المشترك اللفظى ، والمداخل ، والمشجر ، والمسلسل**
- **والمتضاد**
- **والمشترك المعنوى : المترادف .**

تقــديم

لغتنا العربية تجمع بين الحسية ، والمثالية المعنوية التى هى امتداد وتسام للواقعية ، وهى تنتسب لأرومة عظيمة بين المجموعات اللغوية : (الآرية ، والحامية ، والسامية) .

وتمتاز بانسجام وتوازن وموسيقية ، لسعة مدرجها الصوتى ، وعدالة توزيع حروفها عليه .

كما أنها تفضل شقيقاتها (فى المجموعة السامية) بكثرة المعانى الكامنة فى أصولها ، وقدرتها فى القبض على الامتدادات المعنوية المشتركة فى أسسها؛ لأن اشتقاقاتها من أصـــل حروف تمكنها من إنشاء سلسلة كبيرة مترابطة المعانى .

وقد وفت العربية بمطالب العرب المحدودة فى الجاهلية، بدت حين بادوا وحضرت حين حضروا .

وغنيت بألفاظ جديدة فى صدر الإسلام؛ لتتسع للمفاهيم الجديدة ، وأصبحت لغة الدين والثقافة ، والحضارة والحكم فى آن واحد ، ونهضت بالعبء العظيم بما وهبها الله من خصائص النمو والحياة .

والعربية التى نزل بها القرآن الكريم ، كانت هى السائدة ، والقدر المشترك الذى يفهمه العربية جميعاً .

وسادت لهجة قريش ، وانزوت اللهجات الإقليمية وتقاصت ، لكن بعد أن تركت آثاراً من بصماتها فى اللهجة السائدة . وفى القرآن الكريم

قرابة أربعين لهجة عربية غير قرشية ، وكلها فصيحة صحيحة ، والآخذ بها مصيب غير مخطىء ، وإن كانت غير جارية على الكثرة من سنن النهج اللغوى عند العرب .

وكما بالغ العرب فى الحفاظ على أنسابهم .. حافظوا على منابع ومصادر لغتهم ؛ فأخذوها من البدو الخلّص ، وممن ترضى عربيتهم ، والموثوق بهم ، من قلب الجزيرة العربية ، وبالذات من قبائل : قيس ، وتميم ، وأسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين .

وغابت عن التاريخ طفولتها ، ووصلتنا عروساً مكتملة ، قوية شابة . وانحصرت فيما وصلنا من الأدب الجاهلى ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

وكان لها من سنتها : حراس حفظاء أمناء بصراء بها : فكان أبو مالك يجيب فى كلها ، وأبو زيد يجيب فى ثلثيها ، والأصمعى يجيب فى ثلثها ؛ لأنه كان لا يجيز إلا أفصح اللغات ، ويتحرج فى أن يجيب فى القرآن الكريم والحديث النبوي .

* * *

وعن ميزات العربية يحدثنا ــ فى إيجاز ــ أستاذنا الشيخ محمد على النجار ــ رحمه الله ــ حيث يقول : هى « من أوسع اللغات وأغناها ، وأدقها تصويراً ، وأوسعها مذهباً .

وسعت جميع الأغراض التى تناولها البشر ، ولم تضق ذرعاً بجميع العلوم والفنون .

وتقبلت — بصدر رحب — ثمرات قرائح الفحول ، ونتاج أفكار الفلاسفة والحكماء من سائر الأمم .

وكان أن نزل بها القرآن الكريم ، أبلغ كلام وأعلام طبقة ، وأسماه بلاغة ، وأسمعه فصاحة ، وأفرعه بيانا ، وأبرعه افتنانا » .

ويقول « رينان » :

« . . . من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر ، وصعب حلُّ سر انتشاره ، (اللغة العربية) :

فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء . ثم ظهرت فجأة لغة كاملة سلسة كل السلاسة ، غنية إلى أبعد حد ، ليست لها طفولة ولا شيخوخة . . . ظهرت لأول أمرها مستحكمة . . . » .

وسحر رنينها الأسبان فاعتنقوها ، وتناولوها شعراً ونثراً ، تناول النابغين من أهلها ، وأبناء جلدتها الأصلاء . . . بل كادت أن تصبح لغة دولية ، كما ذكر العلامة : محمد كرد على ، فى كتابه : (الإسلام والحضارة العربية) .

ورحم الله شاعر النيل ، حيث يقول فى وصفها :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

* * *

واللغة — أى لغة — مقوم رئيسى من مقومات وجود الأمة واستمرارها ، وأى خطر يهددها هو خطر يتهدد شخصية الأمة فى وجودها واستمرارها ، وفى توجيه اختياراتها ومسارها فى شتى المجالات الحياتية .

ومن ثم فلابد من دراسات عميقة وجادة فى حياة اللغة وكينونتها لحفظها، والدفاع عنها وتنميتها، لحماية الذات الفكرية للشعوب ؛ لأن اللغة موجهة فكر، وأداة حضارة، وصانعة بلاغ. وفى هذا بلاغ.

* ولهذا فاللغة، هدف للاستعمار الثقافى، وأساسه الغزو اللغوى، وينفذ لبغيته من مسارب منها :

(ا) إهمال الأبناء للغتهم : لجهلهم، أو لأنهم تربوا فى حجر المستعمر فكانوا فى عونه، وهم نوابه وأدواته حين يغيب شخصه، وبخاصة حين يتصدرون التوجيه فى بلادهم، بعد إنالتهم درجاته العلمية بتوجيه معين حدده ونفذه، فيحطون من شأن لغتهم، ويقللون من قيمتها ويوهنون عراها، فتنقض واحدة بعد الأخرى، حتى تتلاشى أو تكاد، أو تصبح خليطاً غريب الوجه.

(ب) وبالسعى الدائب والدفع القوى من الغاصب، لنشر لغته، والتمكين لها وغرسها وتثبيتها وتعهدها.

(ج) أو لأن اللغة المغزوة لا تحمل فى طياتها وكوامنها عوامل النمو والحركية، والنزوع نحو الحياة الدائبة، والبقاء العزيز..

وقد حمى الله العربية من (ج) ولكن اعتراها ما ذكر فى (ا، ب) وتحيفتها لذلك الحتوف والندب السود ردحاً من الزمن..

ولولا كفالة من القادر بحفظ كتابه العزيز ولغته ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

ولولا يقظة الأزهر من قديم، لكان الحال والمآل غير الحال والمآل للغة العربية حين غفا أهلها زمناً..

* * *

---

(١) الحجر : ٩

وقد توفر علماؤنا ـ رحمهم الله ـ على العناية باللغة العربية ، منذ ظهور الإسلام ، وأصبح العلم باللغة العربية وعلومها ـ كوعاء لمقدساتنا ـ علماً بالدين ، ومن تقوى القلوب

وجاءت كتبهم فى كثير من علوم العربية مفخرة لنا ولهم ، أضافت إضافات بناءة إلى رصيد الحضارة الإنسانية ، وحفظ من الضياع أثمن ما نعتز به من مقوماتنا وتراثنا ، وخلفوا للبشرية رصيداً ضخماً ، وللعربية معالم وخلوداً .

وتناثرت أبحاث (فقه اللغة العربية) فى كتبهم ، منذ القرن الثانى الهجرى ، فى صورة أبحاث ورسائل ، وتحددت معالمه بعد رحلة طويلة .

ومن هذه الكتب :

الاشتقاق والأجناس للأصمعى ، والغريب المصنف لأبى عبيد ، والجمهرة لابن دريد ، وفقه اللغة للثعالبى ، والخصائص وسر الصناعة لابن جنى ، والصاحبى لابن فارس ، والمخصص لابن سيده ، والمزهر للسيوطى ، وكتب النوادر ، والأمالى ، والمعاجم ، واللغة . . .

وتتابعت بحوث فقه اللغة بعد ذلك على يد المحدثين من علمائنا ، فاتسمت بالتمحيص والتنسيق والتصنيف .

وفى عصر النهضة قامت بحوث المستشرقين وكتبهم ، فى علوم اللغة . وتنوعت وارتقت ، بما توفر لهم من وسائل تقنية ومادية ، وبما عرفوا من لغات أعانت على دقة الفهم ، وعقد المقارنات ، وفك رموز المكتشفات فى الحفائر اللغوية . واعترف بعضهم بفضل علمائنا القدامى وتتلمذهم عليهم .

وفى كتب الأقدمين من علمائنا : علم غزير ، ومحصول وفير ، واستقصاء دقيق .

وفى كتب المستشرقين : فهم عميق ، واتساع رؤية ، وأسس منهجية ، وفيها دسامة تشوبها سموم أحياناً ، لانحراف فى الفهم ، أو حاجات فى نفس يعقوب .

وبعض أبناء جلدتنا يحذون حذوهم أحياناً ، ممن تربوا فى حجرهم ، أو رضوا بأن يكونوا خلفاءهم حين وجودهم ، وحين تغيب شخوصهم ، فحاولوا إدخال الضيم على العربية ، ورميها بما هى منه براء . وذلك يقتضى الحذر ، ويتطلب الحرص ، ويدعو إلى الحيطة واليقظة حين نقرأ لهم أو نسمع منهم.

* * *

واللغة لا تثبت ثبوت الدين ، لأنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، بل تتجدد وتتولد .. وكل حدث اجتماعى لابد من تغطيته بمدلول لغوى .

ونحن نملك لغتنا ، ولنا أن نتصرف فيها كما تصرف الأقدمون ، والصواب اللغوى نهج معلوم ، ولنا أن نقيس على منوال العرب ، وإن سُمِع من فصيح يخالف الجمهور ، ما وجدنا طريقاً إلى تقبل ما يورده .

ولابد أن نتقدم بلغتنا فى ثورة واعية ، فى أبحاث عميقة لكشف الغامض ، وتذليل الشموس ، وتقريب الجنى ، لتتقدم بنا ، لأجيال متطلعة صاعدة ، شريطة أن تكون ثورة بيضاء تصون ولا تبدد ، وتحمى ولا تهدد ، تجل عطاء علمائنا القدامى ، وتأخذ أطيب ما قدم المولدون والمحدثون ،

فى عمق وبصر وجدية ، وابتكار مبنى على أصالة ، وبذلك نسدى جميلا للغتنا — وهى صاحبة الجميل — التى هى جوهر أصالتنا ، وحتى لا يفقد شبابنا الطامح إيمانه بلغته .

وقد أشار علماؤنا إلى وسائل التنمية اللغوية للعربية ومنابعها ، لتبقى بها لغتنا غنية ثرة معطاء ، تلبى أشواق الروح ، والمطالب المتجددة للحياة والأحياء ، وأفردنا هذه الوسائل ومشاكلها فى كتاب يخصها ، بعنوان : (وسائل تنمية اللغة العربية) .

وأفردنا المشترك اللغوى بهذا البحث ؛ لطوله أولا ، ولأنه لم يُبْحث من قبل على حدة فى وحدة مترابطة ، تلم شتاته ، وتجمع ما تفرق منه فى ثنايا الكتب وبطون المعاجم . كما أن سهام المعارضين استهدفته بحق أو باطل ، وأبحاث المفكرين له تناوشته ردحاً من الزمن . فكان لابد من إعادة الأمر إلى نصابه ، ورد السهام العادية ، وتفنيد الحجج الواهية . وجمع شمل الأمثلة المتناثرة ، فى شواهد صحيحة فصيحة ، تقوى آصرة الحق ، وتكشف النقاب عنه ، وتستبين بها الطريق اللاحبة .

وفى هذا الكتاب أبحاث عن :

(المشترك اللغوى فى القسم الأول نظرياً) ويشمل :

— المشترك اللفظى ، وما يتعلق به من : (المداخل والمشجر والمسلسل) .

— والمتضاد من الألفاظ فى لغتنا .

— والمترادف ، أو المشترك المعنوى .

ثم ذيلته بنماذج مختارة (فى القسم الثانى تطبيقاً) من فصيح الشواهد والنصوص من أمهات الكتب اللغوية والأدبية والمعاجم .

تلزم الاعتراف بوجوده فى اللغة العربية ، وتثبت أنه يكاد لكثرته فيها يصبح خصيصة لها .

وأنه قمين بأن يكون وسيلة فعالة فى نمو العربية وإثرائها وبقائها .

وما ذكرته فى هذه النماذج يمثل غيضاً من فيض مما عثرت عليه ، وسطرته مخطوطاً عندى إبان البحث والتنقيب ، عن قضيـة المشترك اللفظى والمعنوى.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به .

وما كان من صواب حمدت الله عليه . . وما كان غير ذلك ، فأعتذر عنه وأستغفر الله منه .

وكما قال الشاعر :

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾(١)

توفيق محمد شاهين

---

(١) : الأحزاب : ٤

القسم الأول

مَع النظَريّة

المشترك اللفظى

• بين يدى المشترك :

المشترك اللفظى علامة واضحة فى لغتنا ؛ وهو بكثرته خصيصة لها ، وعامل من عوامل تنميتها . وقد تنبه العلماء له ، وأشاروا إلى شواهده ، والمعانى التى تدور ألفاظه حولها .

وحاول بعض العلماء نفيه ، وتنزيه لغتنا عنه ، وتأوّلوا ماورد من أمثلته .

وجل أئمة اللغة على إثباته ، وأثبت المحدثون أنه وارد فى معظم اللغات الأخرى .

وهو عكس المترادف ، ويشمل : المشترك والمتضاد ، والمداخل والمسلسل.

وقد فطن العرب للفروق الدقيقة ، وجعلوا لكل حال لفظها :

« فيقال لولد الظبية حين تضعه : طلاّ ، فإذا قوى فهو شادن ، ثم خشف ، ثم رشأ ، ثم شصر حين يطلع قرناه ، ثم غزال ، فإذا طال قرناه ، وافترقا فهو أشعب »[1] .

واللهجات تأخذ مفرداتها بصفة عامة عن الأصل المشترك الذى تولدت عنه ، وتعالج كل لهجة ما اكتسبت من مفردات بطريقتها الخاصة ، أو « قد تأخذ لهجتان كلمة واحدة وتضفى كل منهما عليها دلالة خاصة ، وتكون هذه الدلالة عادة مرتبطة ارتباطاً ما بالمعنى الأصلى للكلمة ، ومثال ذلك : كلمة « وثب » بمعنى « جلس » فى اليمنية القديمة ، وهى تناقض المعنى فى الدلالة

---

(١) شرح الجاهليات لابن الأنبارى ص ٥٢٠

الشائعة ، بمعنى « قفز » ، وبين الجلوس والقفز علاقة تضاد »[١] .

وملحظ الاشتقاق كان يختلف ، مع اتحاد الأصل : روى ثعلب عن ابن سلام :

« التشريق من طلوع الشمس ، ومن تشريق اللحم .

وعرفات : عرف آدم حواء ، ومنى من المنية ، منى عليه إذا قدّر عليه المنية ، ومنى واحد[٢] .

كما اختار العلماء فى توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين : وذلك إذا « اتفق اللفظ البتة واختلف فى تأويله ، وهذا هو الأكثر ، كقول الحارث ابن حلزة :

زعموا أن كل من ضرب العـ ـير موال ، لنا وأنا الولاء

على ما فيه من الخلاف ، وقد أورد صاحب التاج فى (عير) عشرة أقوال ، والعير : كليب أو السيد ، أو المنذر بن ماء السماء ، وكان قد قتل . . .[٣] .

● هى العرب تقول ماتشاء :

العربية ملك للعربى ، وهو مبدعها ، ويتصرف فيها كما يشاء ، ولغات القبائل على اختلافها فصيحة صحيحة ، يصح الأخذ بها ، والقياس عليها ، وإن كان بعضها أكثر شيوعاً وأوسع نفوذاً من بعضها الآخر .

والعربى كان يستعمل لهجة غير قبيلته ..

كما أنه كان ينفرد بالابتكار والتجديد ، وربما كان مانصفه بالابتكار

(١) العربية ولهجاتها لأيوب ص ٤٣
(٢) مجالس ثعلب ص ٤٣١ ، ٤٣٢
(٣) الخصائص ٣/١٦٤ ـ ١٧٣

والتجديد ـ أحياناً ـ راجعاً إلى لغة قديمة وصلت إليه ولم تصل إلى غيره أو لغة أخرى ، كما روى أن الفارسى سأل ابن جنى « عما جاء عنهم من « حوريت » (اسم موضع) ، ولما لم يسفر البحث عن شيء ، قال الفارسى : هو من لغة اليمن ، ومخالفة للغة ابنى نزار ، فلا ينكر أن يجيء مخالفاً لأمثلتهم . وابن جنى لهذا وغيره لايشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغتى ابنى نزار »(١)

والعرب قد عرفت الدقة فى استعمال الألفاظ والمعانى ، وميزت بين الشيء الواحد باعتبارات مختلفة .

إلا أننا وجدنا لها بالتالى حرية واسعة فى القول كما تشاء ، فقد قالت : أملود وعروس يستوى فيه المذكر والمؤنث ، وزور يوصف به المفرد والجمع(٢) وذكرت الواحد وأرادت الجمع ، والعكس : هؤلاء ضيفى . ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾(٣)

ومن سننها أيضاً : مخالفة ظاهر اللفظ لمعناه ، كقولهم عند المدح : قاتله الله ، ما أشعره ! ، وكذا هوت أمه وهبلته(٤) .

واعتبر ابن جنى الحمل على المعنى من شجاعة العربية : فتذكير المؤنث والعكس ، وتصور معنى الواحد فى الجماعة والعكس من هذا الباب . كقول الشاعر فى تذكير المؤنث :

إِنِ امْرأً غَرَّهُ مِنْكُنَّ وَاحِدَةٌ ... بَعْدِى وَبَعْدَكِ فِى الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ

وعكسه كقوله تعالى : ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾(٥) .

---

(١) الخصائص ١/٣٨٦ (٢) الخصائص ١/٢٠١

(٣) المخصص ١٧/٢٧ ، والصاحبي ص ١٧٦ ، وفقه اللغة للثعالبي ص ٣٠٦ ـ ٣١٤ ـ والآية من سورة غافر : ٦٧

(٤) الخصائص ١/٣٣٠ . (٥) الخصائص ٢/٤٢٦ ـ والآية من سورة يوسف : ١٠

وتأول السهيلي حديث « أقبلت راكباً على حمار أتان » ونظر له بجبة ذكر، وبطة ذكر، وهذا بقرة[١].

وتكاموا بالجمع على غير قياس، كما في قليل وقلل، في قول الحطيئة :

قالتْ أمامةُ عُرْسِي وهْيَ خاليةٌ   إنَّ المطامعَ قَدْ صَارَتْ إلىَ قلل

جمع قليل، وكان القياس : قليل وقلل[٢].

ومحاولة العلماء التقعيد بعدئذ إنما هي محاولات انضباطية ، كما قال لي الشيخ عبد الله العلايلي . ومن ثم نجد تجويز بعض العلماء لما منعه غيرهم ، كما جاء في حديث مطرف لا تقل : نعم الله بك عيناً ؛ فإن الله لا ينعم بأحد عيناً، ولكن قل : أنعم الله بك عيناً . أنشد ثعلب :

أنعَمَ اللهُ بالرسولِ والمرْ   سَلِ والحامل الرسالةِ عيناً

قال الزمخشري : الذي منع منه مطرف صحيح فصيح في كلامهم[٣].

وورد الشيء مع نظيره مورد نقيضه ، كما في اجتماع المذكر والمؤنث في الصفة المؤنثة ، كرجل علامة ونسابة ، وهمزة ولمزة . . . لأن التاء ليست للتأنيث ، وإنما هي للمبالغة في أن الموصوف قد بلغ الغاية[٤].

وقال بعضهم للأنثى : رجلة ، وللبقرة : ثورة : كما ذكر المبرد لبعضهم:

كُلُّ جَارٍ ظَـلَّ مُغْتَبِطاً   غَـيرَ جِيرَانِي جَبَـلَهْ
خرقُوا جيبَ فَتَاتِهِمُ   لَمْ يُبالوا حُرْمَةَ الرَّجُلَهْ

وقال الأخطل في ثورة :

جَزَى اللهُ فيها الأعورينَ ملامةً   وَعبدةَ ثَفْرِ الثَّوْرَةِ المُتَضَاجِمِ[٥]

---

(١) شرح ديوان الحطيئة لابن السكيت وآخرين ص ٧٥
(٢) أمالي السهيلي ص ٦٢
(٣) تاج العروس ٩/٧٨
(٤) الخصائص ٢/٢٠٨
(٥) الكامل للمبرد ١/٢١٠

(ثفر الثورة : فرجها . والمتضاجم : الواسع) .

كما رفضوا استعمال ما يجوزه القياس ويسوغه ، كاستغنائهم بفعل : (ترك) عن ماضي يذر ويدع[١] . واستعمالهم لاسم لم يستعملوا منه فعلا كالأين[٢] ، وإيرادهم لمبتدأ كالعمر والأيمن بدون خبر مع أن القياس يجيزه[٣] . وقد سمع فعل للأين .

ويترك العربي الأخف إلى الأثقل لغير ضرورة، نحو الفتوى، والتقوى، إذ فيه ضرب من الاتساع والتصرف في الاستحسان ، مع أن علته ضعيفة غير مستحكمة ، إذ كان المتبادر ألا يجرى فيها إعلال فيقال : الفتيا والتقيا، لكن عرض ما يقضي بالتصحيح للفرق بين الاسم والصفة ، فعمل العرب بما يقضي بهذا المعارض[٤] .

وقالوا : فاضل وأفضل منه ، وكريم وأكرم منه ، في الأغلب الأعم عند التفضيل .

وجاء في التفضيل ثلاثة ألفاظ هي : خير ، وشر ، وحبّ بدون همز ، لكثرة الاستعمال : ﴿ والآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[٥] ، وقوله تعالى : ﴿ شَرٌّ مَكَانًا ﴾[٦] ، وقال الشاعر :

* وحبّ شيء إلى الإنسان ما منعا *

وقد ورد استعمالهن بالهمز على الأصل ، كقوله : بلال خير الناس وابن الأخير ، وقرأ بعضهم : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الأَشَرُّ ﴾[٧] بتشديد الراء ورفعها ، وكقوله ﷺ « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » .

(١) الخصائص ١/٣٩١ (٢) الخصائص ١/٣٩٢
(٣) الخصائص ١/٣٩٣ (٤) الخصائص ١/١٣٣ ـ ١٣٧
(٥) الأعلى : ١٧ (٦) يوسف : ٧٧ (٧) القمر : ٢٦

نقول : تلك حرية العرب ، واختلاف لغات ، ولا ضرورة للتخريج على الضرورة أو أن خير وشر لا فعل لهما ففيهما شذوذان (عن باب أفعل).

والعرب تضع عبارات طرق العلم فى موضع العلم . يقولون : سمعت كذا ، وسمع الله لمن حمده ، وذقت الشىء ، وشممت رائحة الفضل من فلان . . . كل ذلك بمعنى : علم وخبرته ، قال المنخل اليشكرى :

لا تَسْأَلِى عَنْ جُـلِّ ما   لِى وَانْظُرِى كرمى وَخَيْرِى

قال الخليل :

الخير هنا : الهيئة . وانظرى معناه : اعلمى ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾[١] أى يعلمون ذلك ويتيقنون[٢] .

وفى مسألة الجواب ببلى ، ونعم ـ بعد النفى والاستفهام ـ لم تتفق كلمة العلماء لما ورد من شواهد تجيز مامنع ، وتمنع ما أجيز ، حتى أصبح من الممكن أن تقول : كل وارد ، وكل جائز[٣] . ولكل وجهة .

وقد اختلف العلماء حول تفسير معنى الرئم والأدم ، قال ابن الأنبارى :

والرئم : وجمعه آرام هو الظبى الأسمر الظهر الأبيض البطن ، له فى جنبه خطتان مسكيتان ... والرئم : الظبى الأبيض يكون فى الرمل . .

وأما الأدم : فإن أحمد بن عبيد حدثنى قال : كان أبو أيوب ابن أخت الوزير يجمعنا كثيراً فنتجارى بين يديه ، ويسألنا عن الشىء بعد الشىء . فقال لنا يوماً : ما تقولون فى الأدم من الظباء ؟ فقال له يعقوب : هى البيض

---

(١) الأنفال : ٦   (٢) [illegible]   (٣) الحماسة بشرح التبريزى ٢/ ٥٢٤

(٤) الصاحبى ص ١١٦ ، ١٢٧ ، وأمالى الشهيلى ص ٤٤ ـ ٤٧

البطون السمر الظهور ، يفصل بين لون بطونها وظهورها جدّتان مسكيّتان .

فقال لى أبو أيوب : ما تقول يا أبا جعفر ؟

فقلت : أما ما كان منها فى الرّمال وهى بلاد تميم فهى البيض الخوالص البياض . . فإذا ذكرها شاعر من قيس فهى كما وصف . فإذا وصفها شاعر من تميم فهى على ما وصفت ، فأنكر ذلك يعقوب وأبى أن يقبله .

فكنا على ذلك إذ استأذن أبو عبد الله بن الأعرابى، فقال : أبو أيوب قد جاء من يفصل بينكما . فدخل فسأله أبو أيوب عن الأدم من الظباء ؟ فكأنما نطق على لسان يعقوب .

فقلت له : يا أبا عبد الله ، ما تقول فى ذى الرمة ؟ قال : شاعر . فقلت : ما تقول فى قصيدته صيدح ؟ قال : هو بها أعرف منها به . فقلت : هو الذى يقول فيها :

مِنَ الْمُؤلفَاتِ الرَّمْلِ أَدْمَاءَ حُرّة ... شُعاع الضّحى فى مَتْنِهَا يَتَوَضَّحُ

فأطرق مفكراً ثم قال : هى العرب تقول ما تشاء . وأما قول أبى عكرمة فى الرأى فليس بشىء[1] .

هذا : وقد صغر أعرابى الحبارى على حبرور . وحقر غيره الدقلماء (القوى) على شختيت (الضعيف)[2] . إذ قصدوا المعنى ولم يبالوا اللفظ ؟ إذ هى لغتهم ، ولهم أن يقولوا كما يشاءوا .

---

(١) المفضليات بشرح ابن الأنبارى ص ٧٢

(٢) الخصائص ٦٢/٦ ؛

• **ظاهرة التضمين فى اللغة :**

وقد جوز العلماء ظاهرة التضمين ، فأولى أن نجيز ظاهرة المشترك :

يقول ابن جنى :

« اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بحرف ، فإن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ، إيذاناً بأن ذلك الفعل فى معنى ذلك الآخر ، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد على ما هو فى معناه ، كقوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾[1] وأنت لاتقول : رفثت إلى المرأة ، وإنما : بها أو معها. لكن لما كان الرفث بمعنى الافضاء ، وكنت تعدى : أفضيت بإلى ، جئت بالحرف (إلى) مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه »[2] .

ولو سألت عن المادة المستعملة فى التضمين : أهى حقيقة أم مجاز ؟ لوجدت المذاهب اختلفت فيها لقيل :

(ا) إنها استخدمت فى الوجه الحقيقى مع قطع الصلة بينها وبين الأصل.

(ب) أو إنها استخدمت فى الوجه المجازى مع القرينة الدالة .

(ج) أو جواز الرأيين (أى الاستعمال فى الحقيقة والمجاز فى آن واحد).

ومجمع اللغة العربية فى القاهرة قد أقر ظاهرة التضمين نظراً لحاجة اللغة فى التنمية ، وقال بقياسيتها[3] .

---

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) الخصائص ٢/٣٠٨

(٣) انظر ظاهرة التضمين ، فى همع الهوامع للسيوطى ١/١٣٤ ، ٢/٢٨ ، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٦ ، والانصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ص ٢٢٨ ، وشرح الرضى على الكافية ٢/٣٤٦ ، وشروح التلخيص ٤/٩٧ . والخصائص ص ٣٠٦ ٣١٥ وفقه اللغة للسامرائى ص ٢٠٨ ـ ٢١٩

على أن من علماء اللغة من سلك طريق الاحتمال والإمكان أحياناً لبعض كلمات ، حار أمامها ، وجوّز أن تكون لغة درست أو درس أهلها :

قال ابن فارس : ما انتهى إلينا من كلام العرب إلا الأقل ، وأحر بهذا القول أن يكون صحيحاً : لأنا نرى علماء اللغة يختلفون فى كثير مما قالته العرب ، فلا يكاد واحد منهم يخبر عن حقيقة ماخولف فيه ، بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان . ألا ترى أنا لا نسألهم عن حقيقة قول العرب فى الإغراء : « كذبك كذا » ، وعما جاء فى الحديث : « كذب عليكم الحج » ونحن نعلم أن قوله : « كذب » يبعد ظاهره عن باب الإغراء[1] . وذكر أمثلة أخرى من هذا الباب .

وقد وقف الزمخشرى فى الفائق كثيراً عند هذه اللفظة ، واستعرض أمثلة كثيرة (لكذب) بمعنى الإغراء ، قال :

وهذه كلمة مشكلة قد اضطربت فيها الأقاويل ، حتى قال بعض أهل اللغة : أظنها من الكلام الذى درج ودرج أهله ومن كان يعلمه .

وقال الشيخ أبو على الفارسى : (الكذب) ضرب من القول ، وهو نطق كما أن القول نطق ، فإذا جاز فى القول الذى الكذب ضرب منه أن يتسع فيه ، فيجعل غير نطق فى نحو قوله فى وصف ثور :

قد قالت الأنساع للبطن الحق ... وقال :

جاز الكذب أن يجعل فى غير نطق ، فى نحو قول معقر بن حمار البارقى ، فى (كذب) بمعنى : عليك :

وَذُبْيَانِيَّةٍ أَوْصَتْ بَنِيهَا بِأَنْ كَذَبَ الْقَرَاطِفُ وَالْقُرُوفُ[2]

---

(١) الصاحبى ص ٣٤
(٢) الفائق للزمخشرى ٢/٤٠٠

والكذب معناه المعروف : نقيض الصدق .

فما ورد عن أئمة اللغة فى المشترك اللفظى ، وما ورد من استعمالات ألفاظ المشترك فى الأساليب الفصيحة ، والاختلاف فى تفسير بعض الألفاظ ومرجعه ما ورد عن العرب الفصحاء ، وأخذ القبائل العربية عن بعضها ، وثبوت ظاهرة التضمين فى اللغة العربية ، ونسيان الأصل حين النقل ، أو استعمال اللفظة فى الحقيقة والمجاز فى آن واحد ... ، يقوى وجود المشترك اللفظى فى لغتنا .

ولوقوع المشترك فى لغتنا ، نجد للبحث فى دلالة الألفاظ وتحديدها أثره وخطره :

إذ « تتوقف كثير من القضايا فى الحياة على فهم النصوص فهماً صحيحاً دقيقاً : ففى ميدان الحقوق والقانون مجال كبير للاختلاف على دلالة الألفاظ فى المعاهدات الدولية ، والاتفاقات التجارية والمعاملات الاقتصادية . وفى ميدان الدين وخاصة الفقه الإسلامى تحتل النصوص موقعاً خاصاً ، ويتعلق على فهمها تحديد الأفكار فى العقائد والأحكام فى قضايا المعاملات والعبادات . ويقع لذلك الاختلاف فى فهم مراد الشارع ، وتحديد معانى الألفاظ فى القرآن والحديث »[١] .

كما أنه عامل تنمية للغتنا ، إذ يرى المعنيين من لفظ واحد فى استعمالين مختلفين ، أو معان متعددة ، قربت معانيها أو بعدت .

ويرى ابن جنى . أن ضلال المشبهة من المتكلمين راجع إلى سبب ضعفهم فى هذه اللغة الكريمة ، ولو كان لهم بها أنس ما وقعوا فيما وقعوا فيه ،

---

(١) فقه اللغة للمبارك ص ١٣٤

« وطريق ذلك : أن هذه اللغة أكثرها جار على المجاز ، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة »[١] .

وتجد علماء الأصول الفقهية قد اهتموا كثيراً بالمبادىء اللغوية ، ومسائل الألفاظ ودلالاتها ، لأن استنباط الأحكام من النصوص مرتبط بتحديد الرأى فى فهم بعض المسائل اللغوية ، وهذا من أسباب اختلافهم فى الاستنباط.

كما أن فهم النصوص والألفاظ بدقة يفيدنا فى معرفة العادات والعقلية والبيئة للشعوب ، والوقوف على أغراضهم من واقع نصوصهم :

جاء فى الأمالى : أن أعرابياً وقف فى المسجد يشكو السنين والجدب ، فكان مما قال :

« .. عكفت علينا سنون محش ، فاجتنبت الذرى، ... وجمشت النجم » . (المحش جمع محوش وهى التى تحرق الكلأ . واجتنبت : أى اقتلعت ، وجمشت : احتلفت . والنجم : من النبت ما لم يستقل على ساق)[٢] .

ومع أن الألفاظ لها معان أخر كما نرى ، فالنص دل على البيئة وما فيها أصدق دلالة . وأكثر أبيات المعانى من هذا النوع ، وألف فيها الكثيرون، وسموها : أبيات المعانى ، « لأنها تحتاج إلى أن يسأل عنها »[٣] . وسيأتى الاختلاف فى تفسيرها .

ونجد الشيء الكثير من ذلك أيضاً لدى الأقدمين كما فى مسائل ابن الأزرق التى سأل عنها ابن عباس رضى الله عنه ، واستشهد للتفسير بالشعر العربى الفصيح ، « كما أن هناك ألفاظاً قصدت بها العرب الإلغاز ، وأخرى

---

(١) الخصائص ٣/٢٤٥ (٢) الأمالى ١/١١٣

(٣) المزهر ١/٢٥٧

لم تقصد بها الإلغاز ، وإنما جاء اللغز مصادفة »[١] .

وقد أنشد ابن سلاّم فى كتاب الأضداد لأبى دؤاد الإيادى :

رُبَّ كَلْبٍ رَأَيْتُهُ فِي وِثَاقٍ جَعَلَ الكَلْبُ لِلْأَمِيرِ جَمَالاَ
رُبَّ ثَوْرٍ رَأَيْتُ فى جُحْرِ نَوْمٍ وَقَطَاةٍ تَحْمِـلُ الأَثْقَالاَ

(الكلب : الحلقة فى السيف ، والثور : ذكر النمل ، وقطاة : مقعد الردف للدابة)[٢] .

ولا يمكن القول بأن هذا من اختراع الوضاعين ، لأن الوضاعين : « يراعون الذوق المعروف عند اختراع الأحاديث »[٣] . ولا يمكنهم أن يحيدوا عن الصواب اللغوى وسمته بحال ، ونحن نحاكيهم .

* * *

(١) المزهر ١/٢٧٥ ، والمثل السائر ص ٣٩٨ - ٤٠١
(٢) تاريخ أدب الرافعى ٣/٤٢٣ (٣) النثر الفنى فى القرن الرابع ص ٧٦

المشترك اللفظي في الكلام

قسم العلماء الألفاظ اللغوية إلى ثلاثة أقسام :

(ا) تغاير اللفظين لتغاير المعنيين ، مثل : إنس ، وجن ، وشجر ، وحجر .

(ب) وتغاير اللفظين ، والمعنى واحد ، مثل : قعد ، جلس ، قام ، وقف ، زوج ، بعل .

(جـ) واتفاق اللفظين وتباين المعنى مثل : عين ، وخال ، ووجد .

يقول سيبويه في كتابه : (باب اللفظ للمعاني) ومن كلامهم :

« اتفاق اللفظين ، والمعنى مختلف ، نحو قولك : وجدت عليه من الموجدة ، ووجدت ، إذا أردت وجدان الضالة . وأشباه هذا كثيراً »[1].

ويقول المبرد :

« وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، فنحو : وجدت شيئاً إذا أردت وجدان الضالة ، ووجدت على الرجل من الموجدة ، ووجدت زيداً كريماً : علمت »[2] .

وافساح مكان له في التقسيم ، والنص عليه ، يثبت وجوده ووقوعه فعلا في اللغة ، بعد سوقهم للشواهد الفصيحة .

وقال العلماء عن حكم وقوع المشترك في اللغة :

(ا) إنه ممكن الوقوع ، أي لا يمنع مانع عقلي من وقوعه في اللغة .

---

(١) الكتاب : لسيبويه ١/١٥

(٢) كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ، للمبرد ص ٣

(ب) ويقولون أيضاً : إنه واقع (فعلا) لوجوده فى اللغة : لنقل أهل اللغة ذلك فى كثير من الألفاظ ؛ فقد نصوا أحياناً على أن هذا المعنى أصل الوضع ، وبعد ذلك نجد معنى آخر يجعله بعضهم أصلا للوضع أيضاً .

(ج) وأوجب بعضهم وقوعه : لأن المعانى غير متناهية ، والألفاظ متناهية[١] .

فيلزم الاشتراك ، ويجب وقوعه ، ليفى بتغطية المدلولات الاجتماعية التى تسبق المدلولات اللغوية ، وتجد فى المجتمع ، حتى تفى اللغة بمطالب الحياة والأحياء .

والمشترك اللفظى : هو ما اتحدت صورته واختلف معناه ، على عكس المترادف .

أو هو « اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة »[٢] .

وتنوع معناه أتى من تنوع استعماله .

ويعتبره الشيخ صبحى الصالح : « فى لغتنا لكثرته خصيصة لها لاتنكر ، وإلا فهو موجود فى سائر اللغات »[٣] .

ولا خلاف فى أن الاشتراك على خلاص الأصل[٤] : لأن المفروض فيه أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان ، تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز .

---

(١) المزهر ١/٣٦٩ (٢) المزهر ١/٣٦٩ وتاج العروس ١/٨
(٣) دراسات فى فقه اللغة للصالح ص ٣٠١
(٤) المزهر ١/٣٧٠

ولو كان منطق اللغة كمنطق العقل لوجب ألا يكون للفظ الواحد سوى معنى واحد ، وألا يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد أيضاً .

ولكن اللغة كما رأينا فى كثير من جوانبها ، لها منطق خاص يبدو ـ فى أكثر الأحيان ـ على جانب كبير من الغرابة : حيث تجعل للفظ الواحد أكثر من معنى ، وللمعنى الواحد أكثر من لفظ . ومر بنا حريه العربى فى لغته ، حتى قال العلماء : « هى العرب تقول ما تشاء » .

وقد وعت لغتنا العربية هذه الظاهرة العجيبة :

فإذا اشترك أكثر من معنى فى لفظ واحد .. سمى ذلك اشتراكاً ، مثل كلمة : « العين » : للباصرة ، والجاسوس ، وعين الماء ، والذهب ، ومنبع الماء . . .

وإذا تعددت الكلمات للمعنى الواحد سمى ذلك ترادفاً ، مثل : (معلم ، ومدرس ، ومؤدب ، وأستاذ ، ومرب . .) وليست لغتنا بدعاً فى ذلك بين اللغات فكلها فيها المشترك .

ولاشك أن التعبير يتسع عن طريق الاشتراك ، كما يتسع عن طريق الترادف : إذ يرى اللفظ المشترك أكثر من معنى بلفظ واحد ، ويكون ـ أيضاً ـ مادة صالحة للتورية والتجنيس عند المشغوفين بالصبغ البديعى كما ذكرنا ، وذلك كلفظ « الغروب » فى أبيات الخليل ، والتى رواها أبو الطيب بالسند عن الحرمازى ، وذكر أن تكرار اللفظ ليس بضائر إذا لم يكن لمعنى واحد ، وأن ذلك ليس بإيطاء يا لغالى :

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى ... إِذْ رَحَلَ الجيرانُ عندَ الغُرُوب

أَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَزْمَعُوا ... وَدَمْعُ عَيْنِي كَفَيْضِ الغُرُوب

بَانُوا وفِيهِمْ طَفْلَةٌ حُرَّةٌ ... تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الغُرُوب

« فالغروب » الأولى : لغروب الشمس ، والثانية : الدلو العظيمة ، والثالثة : بمعنى الوهاد المنخفضة[١] .

على أن فائدته إنما تقوم على الكم لا الكيف — كما ذكرنا — : إذ أنه يوسع من القيم التعبيرية ، ويبسط مداها اللفظي .

* * *

(١) مراتب النحويين لأبي الطيب ص ٣٢ ، المزهر ٢/٣٢٩

أثر المشترك وخطره

للمشترك اللفظى أثره وخطره ، فهو : يخلص من المآزق ، ويستر الزلات : فقد حكوا أن غلاماً أعرابياً خطبت له جارية ، وجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام ، وقال لأمه : أؤدوّى يا أمى ؟ (أى يلعق ما علق على اللبن) فقالت : اللجام معلق بعمود البيت . وأرادت بذلك كتمان زلة ابنها وسوء عادته : وذلك أن الدواية ـ كثمامة وتكسر ـ الجليدة التى تعلو اللبن والمرق ، وتغلظ إذا ضربتها الريح ، ولبن داو ذو دواية . والتدوية عادة سيئة للصبيان ، ولولا فطنة أمه لفسخت الخطبة ، وباء ابنها بالعار ، ومن ثم ضرب المثل بذلك ، كما قال يزيد بن الحكم الثقفى :

بدا منك غش طالما قد كتمته ... كما كتمت داء ابنها أم مدوى[1]

وكما أنقذ المشترك للغلام الخطبة . . أودى بحياة أسير : فقد جيء بأسير يرعد من البرد ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : « اذهبوا به فأدفوه » . يريد الدفء من البرد ، فذهبوا به فقتلوه ، فوداه (أعطى أهله الديه) النبى ﷺ كما فى الصحاح . قال ابن الأثير : أراد به ـ ﷺ ـ الإدفاء من الدفء ، فحسبوه الإدفاء بمعنى القتل فى لغة اليمن[2] .

وألف ابن دريد كتابه « الملاحن » ، « ليفزع إليه المجبر المضطهد (المقهور) على اليمين المكره عليها ، فيعارض بما رسمناه ، ويضمر خلاف ما يظهر ليسلم من عادية الظالم ، ويتخلص من حيف الغاشم[3] ، فلو قال قائل لأعدائه :

---

(١) المنصف لابن جنى ، شرح التصريف للمازنى ص ٧٥ ، وتاج العروس ١/٢٣٣

(٢) تاج العروس ١٠/١٢٨ (٣) الملاحن ٣

« والله ما كنت عاملا قطّ ولا أصلح لذلك : فالعامل قدر الذراعين من أعلى الرمح ، كقول الراجز : وثعلب العامل فيها منكسر[١] (والثعلب أيضاً طرف الرمح الداخل فى جبة السنان) .

وتقول : والله ما رأيت فلانا قط ولا كلمته ، وتقصد : ماضربت رئته، ولا جرحته[٢] .

وتقول : والله ما كنت ساعياً قط . وتقصد جباية الأموال[٣] .

وتقول : أنا عند الأتان : أى الصخرة فى بطن الوادى ، وعند الجحشة ، والجحشة هى الصوف الملفوف[٤] .

وأيضاً فالمشترك اللفظى عون للشاعر والناثر على أداء غرضه ، واتساع مجال القول أمامه ، وقد تكررت الألفاظ بعينها فى قواف ، ولا عيب فيها ما دامت الألفاظ قد اختلفت معانيها ، كما فى (غرب) و (خال) و (عين) و (دين)[٥] ، وسنذكر طرفاً من ذلك فى أمثلة المشترك المختارة .

وعد العلماء أجناساً كثيرة من ألوان البيان والبديع جاءت نتاجاً للمشترك اللفظى ، أفسحت المجال للشعراء والأدباء ، مثل :

التجنيس ، والترصيع ، والمغالطات المعنوية ، كما ذكرنا ابن الأثير ، قول المتنبى يصف فرساً وسناناً :

يُغَادِرُ كلُّ مُلْتَفِتٍ إلَيْهِ ... وَلَبَّتُهُ لِثَعْلَبِــهِ وَجَارُ

فالثعلب حيوان معروف ، والوجار بيته ، والثعلب أيضاً طرف سنان الرمح ، فلما اتفق الاسمان حسن ذكر الوجار فى طرف السنان[٦] .

---

(١) المرجع السابق
(٢) الملاحن ٨
(٣) الملاحن ص ١٠٢
(٤) الملاحن ص ١٥
(٥) الكامل للمبرد ٣٠٢/٦/١
(٦) المثل السائر ص ٣٩٢

وقال شاعر يهجو آخر :

وَخَلَطْتُمُ بَعْضَ الْقُرْآنِ بِبَعْضِهِ   فَجَعَلْتُمُ الشُّعَرَاءَ فِي الْأَنعَامِ

والشعراء سورة فى القرآن ، وكذا الأنعام ، والشعراء جمع شاعر ، والأنعام من الإبل والبقر(١) .

وأنقذ المشترك تاريخ البشرية كلها ؛ إذ جاء فى الأخبار : أن الرسول ﷺ سار بأصحابه يقصد (بدراً) ، فلقيه رجل من العرب ، فقال : ممن القوم ؟ فقال النبى : من ماء . وأخذ العربى يفكر : من ماء ؟ من ماء ؟ لينظر أى بطون العرب يقال لها : ماء ؟ فسار النبى لوجهته ، وكان قصده أن يكتم أمره ، وهذا من المغالطة المثلية ، لأنه يجوز أن يكون من بطون العرب من يسمى ماء ، ويجوز أن خلقهم من ماء(٢) . ومثله ما جاء فى هجرة النبى مع أبى بكر ، وسئل أبو بكر عمن معه ؟ فقال : (هاد يهدينى الطريق) .

ومن التجنيس قول البحترى فى العين بمعنى الجاسوس :

إذا العينُ راحتْ وهْى عَيْنٌ عَلَى الهَوَى

فليسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ الأَضَالِعُ

وقول المعرى فى الخال بمعنى الشامة ، وأحياناً من الحياة ، وإنسان العين :

لو زَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الْخَالِ أَحْيَانَا   وَنَحْنُ فى حُفَرِ الأَجْدَاثِ أَحْيَانَا

وقوله :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ إِنْسَانًا يُلاَذُ بِهِ   فَلَا بَرِحتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانَا(٣)

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المثل السائر ص ١٩٣

(٣) المصدر السابق ص ١٠٥

وعد ابن الأثير من التجنيس سبعة أقسام ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾(١) .

ونازع الصحابة جريراً البجلى زمامه ، فقال لهم النبى ﷺ « خلوا بين جرير والجرير »(٢) .

وقد أوقعت الغفلة عن المشترك رجلا فى شر عمله وأطماعه :

« إذ خطب رجل من النافلة إلى حى من اليمن امرأة ، فسأل عن مالها ؟ فقيل له : إنّ لها بيتاً رتداً ، وكداً ، وَخفصاً ، وَمَلْكداً . فظنها أسماء عبيد لها وإماء .. فرغب فى نكاحها ، ولما دخل بها عرف الخبر ، وأن لها : جرة ، وحوالق ، وهاون من خشب »(٣) . وهكذا يجنى الجهل بالمشترك .

وقال الخليل بن أحمد : إن تكرار اللفظ فى القوافى ليس بضائر إذا لم يكن لمعنى واحد ، وأنه ليس بإبطاء ، وأنشد للخليل :

* ياويح قلبى . . . عند الغروب *

وذكر انشاد ثعلب لقصيدة الخال(٤) ، وسنذكر شيئاً عن ذلك .

وسئل حكيم عن جماع البلاغة ، فذكر معرفة أشياء إلى أن قال : وفرق ما بين المشترك والمفرد(٥) فقد كان حذفه أمر يستبق إليه .

• وذكر السيوطى فى « الوجوه والنظائر » أن الوجوه : اللفظ الذى يستعمل فى عدة معان كلفظ الأمة .

وصنف فيه مقاتل بن سليمان قديماً ، وابن الجوزى ، وابن الدامغانى ، وغيرهم من المتأخرين(٦) .

---

(١) الروم ٥٥
(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣
(٣) الفائق للزمخشرى ١/٥٤٠
(٤) مراتب النحويين ص ٣٢ ــ ٣٧
(٥) البيان والتبيين ١/١٠٤
(٦) الاتقان فى علوم القرآن ١/١٤١

وأشار كبار الأدباء واللغويين العلماء إلى المشترك صراحة أو ضمناً ، بقولهم : « معناه هاهنا : كذا وكذا ، وفي غير هذا الموضع يأتي بمعنى كذا وكذا . . » . واستعملوه ، وحاولوا إحصاءه .

وذكر الأستاذ جورجي زيدان : أن من مميزات العربية :

دلالة اللفظ الواحد معان كثيرة ،

وأن هناك من الألفاظ نيفاً ومائتين يدل كل منها على ثلاثة معان ،

ونيفاً ومائة يدل كل لفظ منها على أربعة معان ،

ونيفاً ومائة يدل كل لفظ منها على خمسة معان ..

وجعلوا للحميم خمساً وعشرين معنى ، وللخال سبعاً وعشرين معنى ، وللعين خمسة وثلاثين معنى ، وللعجوز ستين معنى(١) ...

وانتزع ياقوت من كتابه « معجم البلدان » سفراً ضخماً أسماه « فيما اتفق من أسماء البقاع لفظاً وخطاً ، ووافق شكلاً ونقطاً ، وافترق مكاناً ومحلاً ، واختلف صقعاً ومحتلاً »(٢) .

وقد جوز العلماء المعاني الكثيرة حول اللفظة الواحدة ، مثل « إل »(٣) ، كما سيأتي .

ويقول سيبويه : اعلم أن كلامهم : اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، نحو جلس وذهب . واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، نحو : ذهب وانطلق . واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، نحو قولك : وجدت عليه من الموجدة ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة ، وأشباه هذا كثير »(٤) .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ٥٤ .

(٢) المشترك وضعا لياقوت (المقدمة) .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٣ ، وتفسير الطبري ١٠/٦٠ .

(٤) الكتاب لسيبويه ١/٢٤ ، في الطبعة الجديدة ، و ١/٧ في القديمة .

ومثل هذا ماذكره المبرد ، وزاد فى تمثيله للمشترك على (وجد) بلفظى : (ضرب) و (عين) ، وعلق بقوله : « وهذا كثير جداً » . . واستشهد له أيضاً بـ (جلل) و (جون) و (المقوين) للأقوياء والضعفاء ، و (الرجاء) و (الظن) وقعّد للباب بقوله :

« وقد تصلح اللفظة لشيئين فتستعمل فى أحدهما لأنها له كما للآخر ، فلا نقص فى ذلك ولا تقصير ، ولو ذكرت فى غيره مما هى له لـكان ذلك محلها » . واستشهد بقول جرير ، فى الرجاء من الترجى :

إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفَنَا مِنَ الْخَلِيفَةِ مَا يُرْجَى مِنَ الْمَطَرِ [1]

واعتبره ابن جنى (المشترك اللفظى) أحد أقسام الـكلام الثلاثة عنده ، ومثل له بـ (وجد) و (الصدى) و (هل) ، بمعنى الاستفهام ، وبمعنى قد ، وبمعنى أم . . ونحو ذلك ، كما اعتبره :

« كثير فى كتب العلماء ، وقد تناهبته أقوالهم ، وأحاطت بحقيقة أغراضهم »[2] .

واشتهرت قصيدة جرير بما فى الفرس من أسماء الطير ، وستأتى .

واستعمل ذو الرمة أكثر من لفظ مشترك فى بيت واحد ، حين قال : (النوى ، والوجد ، وتزهق)[3] :

غَدَاةَ أَمَنِى النَّفْسَ أَنْ تُسْعِفَ النَّوَى بِمَيٍّ وَقَدْ كَادَتْ مِنَ الْوَجْدِ تَزْهَقُ

وليس بصحيح ـ إذن ـ أن بعض المحدثين يرى أن استعمال المشترك اللفظى انقرض أو أخذ فى الانقراض . ونقول : إنما صار ذلك بسبب الأمية ،

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه المبرد ٢ / ٨ [illegible]

(٢) الخصائص ٣ / ٩٣ [illegible] (٣) ديوانه ص ٣٩٢ [illegible]

وضعف ملكة العربية فيهم ، و « فرنجة » بعض مثقفينا ، وإلا فإنا نرى معاصراً عظيماً هو : الشيخ عبد العزيز الميمنى الهندى ، صاحب التحقيقات الرائعة لأمهات تراثنا يقول فى آخر « السمط » : إلى هنا وقف اليراع عن زبر ما جشمت له نفسى . . وقد تكلفت محاكاة البكرى على ضعف منتى وقلة حيلتى »[١] . وما زالت لبنان تقول : ظهر فلان بمعنى ارتحل وذهب . ونلاحظ أن علماء الأضداد عدوا (ظهر) من الأضداد . بمعنى : ذهب واختفى ، وبمعنى جاء وهل . وفى ديوان الشاغورى : القسط للعدل والظلم . وجلل ، ورغوث ونسخ[٢] ...

واستغل العلماء حبهم وولعهم وبصرهم بالمشترك اللفظى والمعنوى ، إلى جعله وسيلة لحفظ اللغة ، فألف الأقدمون مثل :

المأثور عن أبى العميثل ، وفيه ما اتفق لفظه واختلف معناه .

و « ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعى »[٣] .

و « المشترك وضعاً والمختلف صقعاً لياقوت الحموى » . و « الملاحن لابن دريد » ، و « المداخل لأبى عمر الزاهد » ، و « المسلسل فى غريب لغة العرب لمحمد يوسف التميمى) ، و (شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعانى المختلفة ، للإمام عبد الواحد اللغوى) ... الخ .

وقد يفطن بعض اللغويين إلى المعنى الجامع ، كما ذكر الفيروزآبادى أن البسل هو الضم والمنع : فالحلال يجمع ويضم ، والحرام : يمنع ولا يضم ، ولعل هذا ما يفسر طريقاً فى الأضداد ، وإن كنت أقول : إن العرب لم تعرف كل هذه الفلسفة ، ولا تستطيع أن تذهب إليها فى وقتها الجاهلى .

---

(١) سمط اللآلى ٣/١٠٦ (٢) ديوان الشاغورى ٢٥٦ ، ٢٦٨ ، ٧٣ ، ١٠٥

(٣) مخطوطة بمكتبة الظاهرية بدمشق ١٢٦ تصوف ، وعندى صورة منه .

وإذن فالمشترك بعامة لا يقل أهمية فى إثراء اللغة العربية ، عن أى عامل من عوامل تنميتها : فإذا كانت ألفاظه بهذه الكثرة ، ولها أكثر من معنى، فما أجدره بأن يكون فى مقدمة عوامل تنمية لغتنا العربية ، إن لم يكن فى عدادها . كما وسع على الناظم والساجع فى ذكر اللفظ بعينه مع اختلاف المعانى ، أو بمرادفه ، وأمن مؤاخذة علماء القوافى .

وبالجملة فإن تطور اللفظ المشترك — بأى طريق من طرق التطور — مقدمة طبيعية لثراء كل لغة تشتمل على جملة طيبة منه .

وفائدته تقوم على الكم لا على الكيف ، إذ توسع من القيم التعبيرية ، وتبسط من مداها اللفظى ، بينما لا تسعفنا إلا بصورة مموهة عن كيفية وصولها إلينا معبرة عن عدد المعانى ، بعد أن كانت فى الأصل لا تعبر إلا عن معنى واحد .

وحسبنا أن تقوم فائدته على الكم الذى هو وعاء للكيف ، كما كانت لغتنا وعاء لكتاب الله وسنة رسوله ومطالب الدنيا والآخرة .

* * *

أصل الوضع اللغوى

تقلبت اللغة فى وجوه الاستعمال ، قبل أن تتسع هذا الاتساع الكبير ، لتتناسب مع تدرج وتطور حياة البدو ، منذ أن كانوا الجزء المتكلم من تلك الطبيعة الصامتة ، وحين صارت لغة الحياة المنبسطة تصرفها الألسنة والأقلام فى مناحى العلوم والآداب والصناعات التى قام بها التمدن الإسلامى .

والمأثور من ألفاظ اللغة :

إما أن يكون مرتجلا ، أو مشتقاً ، أو منقولا على وجه من وجوه المجاز . وتلك هى طرق الوضع التى تقلبت عليها اللغة . وهى أدوار ثلاثة تشبه أدوار الخلقة الكاملة من : التركيب ، والقوة ، والجمال ، على الترتيب .

والارتجال هو : وضع اللفظ ابتداء فى أول أمر اللغة بتقليد الطبيعة ، أو غيرها ، غير أنه لا يمكن أن يحاط بأوائل كلامهم ، وعلى أى مقادير كانوا يضعونها ، إذ كانوا يتصرفون فى لغتهم كما يشاؤون . وأجاز ابن جنى قبول ماينفرد به العربى ، فلعله ارتجله ، أو سمعه من لغة قديمة ، وهذا مشروط بفصاحته . وجل ما وضع من اللغة ارتجالا ، فإنما وضع لمناسبة بين الدال والمدلول على وجه من الوجوه ، وقد يختلف الوضع لاختلاف الأوضاع وتعدد القبائل كالمدية فى لغة دوس ، والسكين فى لغة غيرهم ، وكلا اللفظين موضوع لمعنى واحد لا زيادة فى دلالته ، ومن ثم نشأ الترادف .

ولتحقق هذه المناسبة تأتى للواضع أن يشتق لفظاً من لفظ ، لأن الاشتقاق يقتضى المناسبة فى المعنى والمادة .

أما المجاز ، فقد اعتبره بعض العلماء الوضع الأخير فى اللغة ، ولذا تجد

مراعاة المناسبة فيه على أضعف وجوهها ، فكأن العرب فى الارتجال راعوا المناسبة الثابتة التى لا زيادة فيها ، ثم توسعوا فى هذه المناسبة بنوع من التصرف فى الاشتقاق وهو الوضع الثانى ، ثم بلغوا آخر حدود المناسبة فى المجاز .. إذ هو صنعة حقيقية فى اللغة لا تتهيأ إلا بعد أن يكون العرب قد استكملوا أسباب النهضة الاجتماعية من المخالطة والاقتباس ، واعتبارهم أنفسهم فى أمر اللغة مجموعاً معنوياً .

ومحصل رأى العلماء فى اختلاف اللغات : (اللهجات) يرجع إلى معان ثلاثة :

١ ـ ما يكون من تباين اللهجات وتنوع المنطق ، وهذا يشمل الاختلاف فى إبدال الحروف ، وحركات البناء والإعراب ، والتقديم والتأخير ، والزيادة والحذف وكيفية النطق . وقد روى الرافعى مثلا لذلك فى « أن رجلا قال لعمر بن الخطاب : ما ترى فى رجل ظحى بظبى ؟ فقال عمر : وما عليك لو قلت : ضحى بظبى ؟ قال : يا أمير المؤمنين : إنها لغة » .

٢ ـ وما يكون من اختلاف الدلالة للفظ الواحد باختلاف اللغات تنطق به ، وهذا يشمل المترادف والأضداد والمشترك .. وسبق أن ذكرنا أن أبا هريرة لم يفهم السكين على أنها هى المدية مع أنها تحت بصره إلا بعد أن أشار إليها .

٣ ـ وما ينفرد به عربى واحد ، مع إطباق الجماعة على النطق بخلافه ، وعللوا مثل ذلك بأنه يجوز أن يكون من لغة قديمة طال عهدها وعفا رسمها ، وقد رووا عن أبى حاتم أنه سأل أم الهيثم الأعرابية ـ عن نوع من الحبّ

يسمى (أسفيوش) ما اسمه بالعربية ؟ فقالت : أرنيه ، ففكرت ساعة ، ثم قالت : هذه الحدق .

وبعض العلماء يرى أن اختلاف لغات القبائل إنما هى درجات تاريخية فى سلم النشوء والارتقاء ، بمعنى اندماج النوع الأدنى منها فى الأرقى ، حتى تميزت الوحدة اللغوية ، لم يبق بين اللغات إلا فروق جنسية أودعت تلك الفروق فى معرض التاريخ ، وسموها لغات للدلالة على أنها مخالفة لما أطبق عليه أكثر العرب

جاء فى طبقات النحويين لأبى بكر الأندلسى : قال ابن نوفل : سمعت أبى يقول لأبى عمرو بن العلاء: أخبرنى عما وضعت مما سميت عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال: لا . فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أحمل على الأكثر ، وأسمى ما خالفنى لغات[1] .

والمهم فى التسمية والسمة أن تكون وقت التسمية ، ولو انتقلت بعد ذلك : « فقد سمى (شوّال) شوّالا لأن النوق شالت بذنبها فيه ، فلو شالت فى غير شوّال أذنابها فلا يهم ذلك : حيث اتفق أن شالت النوق بأذنابها فيه . وكذلك رمضان ، الذى أخذ من الرمض وهو الحر إذ تصادف أن جاء فيه ، فبقى عليه كذلك فى البرد وغيره »[2] .

والعرب لاحظت ـ غالباً ـ صلة الوضع بين اللفظ ومدلوله ، كما قال الأصمعى ، قال عيسى بن عمر : سألت جبر بن حبيب أخا امرأة العجاج : ما الهبع ؟ قال : ما ينتج فى آخر النتاج ،فإذا مشى مع الرباع أبطرته ذرعاً، فهبع بعنقه ، أى استعان بها فى المشى[3] .

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/١٣٠ ـ ١٣٢ .
(٢) البيان والتبيين ١/١٦٩ (٣) ديوان المفضليات شرح ابن الأنبارى ٢٥١

وسأل عمرو بن العاص ابن عباس فى مجلس معاوية : لم سميت قريش قريشاً ؟ قال : بدابة فى البحر ، وذكر قول المشمرخ بن عمرو الحميرى .

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً[١] .

ونقل السيوطى كثيراً من ألوان هذه المساءلات والاشتقاقات فى المزهر عن : الثور ، والثوب ، وآدم ، والجرجير ، والخيل[٢] . . ألخ .

على أن مناسبة الوضع قد تخفى أحياناً حتى على من أخذت عنهم اللغة من العرب الأقحاح : كما أخبروا بالسند أن يونس سأل أبا الدقيش : ما الدقيش ، فقال : لا أدرى ، إنما هى أسماء نسمعها فنتسمى بها . وقال أبو عبيدة : الدقشة : دويبة رقطاء أصغر من العظاء . قال : والدقش : شبيه بالنقش ، وقد سموا دنقشا ، وإن كانت النون زائدة فهو من هذا . وقال ابن الأعرابى : الدنقشة : الشر والاختلاط[٣] .

فلم يفسر اللفظ المسمى به ، بينما فسره غيره لملمح لمحه ، وعلم وصله .

وقد تخفى علينا أسباب القسمية لبعدها فى الزمان عنا ، كما قال سيبويه: « أو لعل الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ، وفسره ابن جنى بأن يكون الأول الحاضر شاهد الحال ، فعرف السبب الذى من أجله وقعت عليه القسمية ، والآخر لبعده عن الحال لم يعرف السبب للتسمية ، وضرب مثلا بقولهم : (رفع عقيرته) لمن قطعت رجله فى الأصـل فرفعها وصاح[٤] ، وكذلك بنى بأهله ، إذ كان يبنى على امرأته ما يشبه الخيمة عند الدخول بها .

---

(١) المزهر ١/٣٤٤ (٢) المزهر ١/٣٥٣

(٣) مراتب النحويين لأبى الطيب ٤١ (٤) الخصائص ١/٦٦

وإذا كانت المعانى كثيرة لا تتناهى والألفاظ تتناهى فمن الطبيعى أن يوجد المشترك — وهو أحد طرق تنمية اللغة — وأن يكثر النقل : فالعراق أصله فى كلامهم شاطىء البحر ، وسميت العراق بذلك لهذا الملحظ ، كما قال ابن دريد[١] .

وذكر ابن ناقيا البغدادى : أن العرب نقلت كثيراً من أوصاف النبات والشجر إلى أوصاف الناس ، واطرد ذلك فى كلامهم للمناسبة بين الحالين ، مثل : كريم المغرس ، والحسب والعود ، والنبت ، واكتهل ، والجرثومة ، ولحاه الله ، وجذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ... كما نقلوا كثيراً من أسماء هذا الجنس إلى تسمية الناس لتلك العلة ، ومن المشهور من ذلك : أرطاة (شجر) لأبى الوليد أرطاة بن سهية الشاعر الأموى ، وحمزة بقلة من أحرار البقل ، ومسلمة من شجر العضاة ، وسلامة واحدة السلام وهو شجر ، وعلقمة من المر[٢] .

ويختلف ملمح الأصل والمأخذ ، فتتعدد معانى اللفظ ، ويأتى المشترك اللفظى ، وخذ مثلا : العفو : عفو الله تعالى عن خلقه ، والصفح عن الجانى ، وترك عقوبة المستحق .

وأصل معناه : الترك ، وعليه تدور معانيه ، بما يناسب من ترك عقاب ، أو عدم إلزام ، أو ترك تأنيب .

وقيل : بل أصله : القصد لتناول الشىء ، وهو أصل المعنى ، وعليه تدور معانيه[٣] .

---

(١) شرح مقصورة ابن دريد ٧١

(٢) الجمان لابن ناقيا ٢٨٠ وما بعدها .

(٣) تاج العروس ١٠/٢٤٧ .

وعلماؤنا القدامى من أكثر الناس تقديراً لحدود ما يعرفون ، وحدود ما يجهلون كما قلنا :

فقد تخفى أصول الاشتقاق عليهم أحياناً . قال أبو العباس عن ابن الأعرابى :

« كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد . فى كل واحد منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا ، فلم تلزم العرب جهله » .

وقال : الأسماء كلها لعلة خصت العرب ما خصت منها . . ومن العلل ما نعلمه ، ومنها ما نجهله ... كما ذهب ابن الأعرابى إلى أن مكة سميت مكة لجذب الناس إليها ، والبصرة سميت بصرة للحجارة البيض الرخوة بها[1] ..

وأحياناً لا تعلل أسماء المسميات أو توضح أصول الاشتقاق ، ومع هذا لا يليق أن يرميهم المحدثون بالاضطراب فى الرواية . لأنه لا علاقة بين : « الليث بمعنى الأسد ، وضرب من العنكبوت ، واللسن البليغ » . أو بين « البلد بمعنى كل قطعة من الأرض عامرة ، ومكة ، والتراب ، والقبر ، والدار ، والأثر »[2] .

وحسناً ما ذكر الشيخ صبحى الصالح ـ فى توجيه مثل ذلك ـ : بأن الروابط المشتركة بين هذه المسميات يمكن أن تلمح بإحدى طريقتين : سلبية وإيجابية :

فإذا كان فى الليث معنى القوة الحسية ففى اللسن البليغ معنى القوة البيانية ، وفى العنكبوت معنى الضد المقابل ، فكان الربط فيها سلبياً عكسياً ، كما سنرى فى بحث الأضداد .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ص ٦ ـ ٨ (٢) اللهجات لأنيس ص ١٨٥ ـ ١٨٧

وإذا كان فى البلد معنى اقتطاع الشىء لسكناه وعمرانه ، ففى مكة تجسيد لهذا المعنى عن طريل العلمية ، وفى التراب تحقيق لهذا المعنى : لأنه وسيلة البناء والعمران الحسيين ، ويزداد هذا المعنى تحققاً فى الدار التى تم بناؤها لتكون جزءاً من البلد العامر ، ثم فى القبر والأثر معنى عكس للسكنى والعمران ، فما القبر إلا بلد الموتى ومسكنهم ، وما الأثر إلا الدليل على عمران المكان قبل أن يعفو ويدرس .

ولقد يكون فى التماس الروابط المشتركة بعض التكلف ، ولكنه يظل خيراً ألف مرة من التسرع فى رمى القدماء بقلة التثبت ، فما أمثالنا بأهل لكيل الاتهامات جزافاً لأمثالهم[1] .

ولنلاحظ : أن العلماء أبعدوا العقل الصرف عن معرفة اللغات ، وأرجعوا ذلك إلى النقل المحض لأكثر اللغة ، أو إلى ما يستنبطه العقل من النقل[2] .

على كل للكلمة حياة خاصة بها ، وقد شبهها علماء اللغة المحدثون بالأحياء ، فقالوا : إن الكلمة يعتريها ما يعترى الأحياء من أحوال .

فهى تولد فى بادىء الأمر ، وقد نحضر ولادة بعض الكلمات ، ولو كانت مادتها فى الأصل موجودة كالمذياع والطائرة ، وتشتهر الكلمة بين الناس ، أو تكون خاملة الذكر لا يعرفها إلا عدد قليل من الناس .

ويعتريها الضعف والهزال فيقل استعمالها ، وتهاجر وتسافر ، وقد تعود من مهاجرها فى زى جديد : فكلمة (غول) انتقلت إلى الأوروبية (الكول) ، ثم عادت إلينا فقلنا : (كحول) ظناً منا أن الكلمة الأوربية مأخوذة منها .

---

(١) دراسات فى فقه اللغة للصالح ٣٠٢ (٢) المزهر ١/٢٧

وقد تموت الـكلمة فلا تستعمل أبداً ، وتبقى مدفونة فى النصوص القديمة ، وقد تبعث من جديد بعد موتها .

إذا كان للـكلمة كل هذه التقلبات والحركات ، وإذا كان القدماء لم يؤرخوا لـكل هذه التحركات تأريخاً واعياً كاملا ، وإذا اختلف العلماء فى ملحظ بعض الـكلمات ومأخذها . . . فسيظل استعمال الـكلمة رهناً بجيرانها ؛ إذ الألفاظ فى لغتنا لا تعيش مفردة ، بل فى جماعات تشبه الشعوب والقبائل التى عاشتها العرب .

بقى أن تسأل ؟

● **ماهو الوضع ؟**

الوضع جعل اللفظ دليلا على المعنى ، فيفهمه منه العارف بوضعه له .

وعرفه التاج السبكى ــ فى شرح منهاج البيضاوى ــ بأنه : « عبارة عن تخصيص الشىء بالشىء ، بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثانى ، بشرط القصد » .

والأرجح أن العرب وضعت المفردات لا المركبات ، وإلا لتوقف استعمال الجمل على النقل عن العرب كالمفردات . وإن كان القرافى والتاج السبكى ــ فى جمع الجوامع ــ وغيرهما رجحوا أن المركبات موضوعة كالمفردات ، لأن العرب حجرت فى التراكيب ، كما حجرت فى المفردات[1] .

ويرد هذا أن أهل اللغة لم يودعوا المركبات معاجمهم كما أودعوا المفردات . وقال الزركشى ــ فى البحر المحيط ــ : لا خلاف فى وضع المفردات ، والخلاف فى المركبات .

---

(١) المزهر ١/ ٣٨ ــ ٤٠

والأرجح أنه لا يجب أن يكون لـكل معنى لفظ ، لأن المعانى التى تعقل لا تتناهى ، والألفاظ متناهية ، وهذا اعتراف بالمشترك .

وهل كان الغرض من الوضع : إفادة المعانى المفردة ؟ أو إفادة المركبات والنسب بين المفردات ؟ خلاف بين العلماء ، ورجحوا الثانى .

كما اختلف العلماء : هل الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية ــ التى وضعها الواضع فى ذهنه عند إرادة الوضع ــ أو بإزاء الماهيات الخارجية ؟ خلاف :

فقد استدل مرجحو الرأى الأول بأن اللفظ يتغير بحسب تغير الصورة الذهنية .

ورد مرجحو الرأى الثانى: بأن الدوران مع المعانى الذهنية دون الخارجية إنما كان لاعتقاد أنها فى الخارجية كذلك ، لا لمجرد اختلافها فى الذهن .

والأظهر ــ كما قال بعضهم ــ أن يقال : إن اللفظ موضوع بإزاء المعنى من حيث هو ، مع قطع النظر عن كونه ذهنياً أو خارجياً . وحصول المعنى فى الخارج والذهن من الأوصاف الزائدة[١] .

ومن الطريف أن السيوطى نقل عن الـكيل الهراس ، عند الكلام على ثبوت اللغة بالقياس :

« أن العرب وضعت اسم الفرس للحيوان الذى كان فى زمانهم موجوداً ثم انقرض وحدث حيوان آخر ، فسمى بذلك بطريق الإلحاق والقياس » !!

وهذا غريب ، وأثر من آثار فلسفة اليونان التى تناولها العرب ، فأثرت فى تفكيرهم ، كما سنرى ذلك . ولذا عقب السيوطى بعدئذ بقوله : « هذا

(١) المزهر ٦/١ ٤٢.

ليس بصحيح ، بل العرب وضعت هذا الاسم للجنس ، والجنس لا ينقرض »[١] .

والافظ قد يوضع لشخص بعينه . وقد يوضع له باعتبار أمر عام . . إذا عقل أمر مشترك بين مشخصات . . ولتأثر بعض فروع معارفنا العربية بالمنطق الأرسطى ، قسم علماؤنا الوضع إلى سبعة أقسام كما ذكر عضد الدين الإيجى فى رسالة الوضع وهى :

١ ـ وضع شخصى تحقيقى خاص لخاص ، كالأعلام الشخصية ، والأعلام الجنسية على رأى .

٢ ـ وضع تحقيقى شخصى عام لعام ، كالمصادر وأسمائها ، وأسماء الأجناس وأعلامها على رأى .

٣ ـ وضع تحقيقى شخصى عام لموضوع له خاص : كأسماء الإشارة والموصولات والحروف .

٤ ـ وضع نوعى تحقيقى خاص لخاص ، ولا يوجد ذلك إلا فى أمثلة فرضية تعسفية ، كأن يقول الرجل : كل ما كان مركباً من كذا وكذا وضعته ليدل على ابنى هذا .

٥ ـ وضع نوعى تحقيقى عام لعام : كوضع المشتقات مادة وهيئة ما عدا الفعل ، كما يدخل المركبات الإضافية ، والخبرية ، والإنشائية .

٦ ـ وضع نوعى تحقيقى عام لخاص ، كوضع هيئات الأفعال لجزئيات الزمان والنسبة ، والمحلى بال ، والمنادى ، والمجموع ، والمصغر .

٧ ـ وضع تأويلى عام ، ولا يكون إلا نوعياً ، كوضع المجازات والكنايات[٢] .

---

(١) المزهر ١/٦١

(٢) خلاصة الوضع للشيخ يوسف الدجوى ص ٣١ ، ٣٢ ، المزهر ٢/٣٦٦

هذا موجز ما ذكره علماء الوضع ، ولا شك فى أن العربى الأول واضع اللغة لم يعرف هذا التفصيل والتقسيم ، ولعله لحظ بعضها ، ولكن من المقطوع به أنه ما كانت له هذه العقلية المنظمة الحاسبة .

وإن احتجنا إلى التنظيم والتنظير والتقسيم إلى المنطق أحياناً ، يقول متى بن يونس القنائى لأبى سعيد السيرافى :

« لا حاجة بالمنطقى إلى النحو ، وبالنحوى حاجة إلى المنطق : لأن المنطق يبحث عن المعنى ، والنحوى يبحث عن اللفظ ، فإن مر المنطقى باللفظ فبالعرض ، وإن مرّ النحوى بالمعنى فبالعرض ، والمعنى أشرف من اللفظ ، واللفظ أوضع من المعنى »[١] .

كما أن علم الدلالة ليس من مخترعات الغرب ، كما يدعى بعضهم ، فلقد عرفه اللغويون القدامى من العرب، وألفوا فيه ، كما تناوله المفسرون، والبلاغيون، ومؤرخو الأدب، وأهل المنطق وغيرهم : كل من وجهة نظره.

وسنجد فى الاتصال اللغوى : رمزاً دالا هو اللفظ . ومدلولا هو المعنى، ودلالة هى الارتباط بينهما . والنحو هو الذى يبحث فى صلات الألفاظ بعضها ، بينما المنطق والفلسفة تبحث فى صلات المعانى ، أما مبحث الدلالة من علم اللغة فهو الذى يبحث الصلات بين الألفاظ والمعانى .

وليس بلازم ـ بداهة ـ أن يتقمع الواضع أفراد بعض الأقسام كالمشتقات بل يكفيها وضع واحد . .

واللغة لم توضع كلها فى وقت واحد ـ سواء على الرأى بالتوقيف أو الإلهام أو غيره ـ بل وقعت متتابعة متلاحقة[٢] .

---

(١) المقابسات للتوحيدى ٧٤ ط الرحمانية (٢) الخصائص ١/٢٨،٤

ولتداخل الأصول الثلاثة ـ الاسم والفعل والحرف ـ وتمازجها ، وتقدم بعضها على بعض تارة ، وتأخرها عنه أخرى . . ذهب أبو على الفارسى إلى أن اللغة العربية وضعت طبقة واحدة كالرقم نضعه على المرقوم . وارتضى هذا الرأى ابن جنى[١] .

وألفاظ اللغة إشارات ورموز ، وعناصر الاتصال اللغوى هى :

١ ـ اللفظ أو الصورة الصوتية .

٢ ـ والمعنى أو الصورة الذهنية للشىء الحسى أو المعنوى .

٣ ـ والشىء المعنى أو الصورة الخارجية المقصودة .

فاللفظ يثير فى ذهن السامع صورة الشىء الذهنية ومفهومه لا الشىء نفسه ، والانتقال بعدئذ إلى الأشياء الحسية عن طريق هذه الصورة الذهنية بنتيجة تجاربهم ، أى أن الصورة الذهنية هى الجسر الموصل بين عالم الأسماء (اللغة) وعالم الأشياء .

وعلى هذا فالدلالة هى إثارة اللفظ للمعنى الذهنى أى لمدلوله . وبين اللفظ والمعنى فى كل لغة إثارة متبادلة وتداع مستمر . وعلم اللغة يبحث فى هذه الصلة بين اللفظ والمعنى ، فى أحد فروعه المعروفة باسم مبحث الدلالة أو علم دلالة الألفاظ[٢] .

وكانت العرب من الدقة بمكان فى الوضع بحيث « فاوتت فى هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة فى المعانى : فجعلت الحرف الأضعف فيها ، والألين ، والأخفى ، والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخفت عملا أو صوتاً . وجعلت الحرف الأقوى ، والأشد ، والأظهر ، والأجهر ، لما هو أقوى عملاً ، وأعظم حساً »[٣] .

---

(١) الخصائص ٢/٤٠ (٢) فقه اللغة للمبارك ١٤٢ ــ ١٤٣

(٣) المزهر ١/٥٣

وضرب ابن جنى الأمثلة الوفيرة على ذلك كالخضم والقضم ، والوسيلة والوصيلة ... بل وذكر أن للعرب حكمة فى ترتيب الحروف فى الكلمة بإزاء المعنى ؛ مثل : بحث ، وجرّ ، وشدّ . . . كما ذكر ابن جنى للحرف قيمة تعبيرية ، لا تتخلف غالباً ، حتى وإن تبدلت أماكنها بالتقليب .

فمثلا : حرف (النون) الذى يدل غالباً على معنى الظهور ، مثل : نبع ، نشأ ، نجم ، نفث . . وحرف (الراء) الذى يدل على التكرر والديمومة ، مثل : مرّ ، درّ ، فرّ ، قرّ ، سرى ، قرع .. وحرف (الغين) الذى يدل على الغيبوبة والستر ، مثل : غيم ، غيب ، غرق ، غفر ، غمس(١) ..

ويرى الكثيرون أن الدلالة الحسية للألفاظ أسبق من الدلالة المعنوية ، التى انتقلت إليها لتشابه الصور الذهنية ، مثل (فصل) فهى بمعنى قطع أصلا فى الحسيات ، ولما ارتقت اللغة انتقلت إلى معنى « أبان » فى الخصومات . ويرى جورجى زيدان أنه « يكاد لا يوجد كلمة واحدة إلا واستعملت للدلالة المعنوية ، وذلك دليل كاف على أن قابلية المعانى للانتقال ، هى كقابلية الألفاظ للأبدال »(٢) .

وسنزيد هذا إيضاحاً عند الكلام على النقل ، وأنه يعد ـ عند بعضهم ـ كالنسخ فى الشريعة ، أو وضع جديد .

وحكى السيوطى عن الإمام فخر الدين الرازى وأتباعه بأنه لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ : لأن المعانى التى تعقل لا تتناهى ، والألفاظ

---

(١) فقه اللغة المبارك ص ١٤٦ ، والخصائص ، ومقدمة العلايلى ، وما ذكرناه فى بحثنا عن « الثنائية » .

(٢) الفلسفة اللغوية ص ١١١ .

متناهيـة ؛ إذ هى مركـبة من حروف متناهيـة ، والمتنـاهى لا يضبط مالا يتناهى ، وإلا لزم تناهى المدلولات[١] .

وهذا رأى منطقى ومقبول ، وهذا أحد أسباب ضرورة وجود المشترك اللفظى الذى نحن بصدد البحث فيه . وأخيراً : إذا استبعدنا العقل ، واتبعنا النقل ، أو استنبط العقل اللغة من النقل ، لآمنا بوجود المشترك اللفظى بألوانه فى لغتنا العربية .

* * *

● **كثرة أصول ؟ أم ترف عقل ؟ أم حيرة ؟**

أوجب علماء اللغة اللفظ إلى أصل واحد نشـأ منه ، وأخذ عنـه ، وابن فارس يرجعه إلى أكثر من أصل : (فالجد) مثلا يرجع عنده إلى أصول ثلاثة هى : العظمة ، والحظ ، والقطع ، بناء على مذهبه[٢] . وبعضهم يعد هذا من ابن فارس ترفاً عقلياً ، وهذا نقد شكلى فى الحقيقة .

كما قيل : إن (الجلس) (بالفتح) هو الغليظ من الأرض ، وقيل : هذا هو أصل المـادة ، وقيل : بل هو الغليظ من الشجر ، أو الشديد من العسل ، وابن فارس يعتبر أن (جلس) أصل واحد ، وكلة واحدة وهو الارتفاع فى الشىء[٣] .

وإذا كان (الخال) هو أخو الأم ، فمن أين أتت بقيـة معانيه الـكثيرة ؟

و (العين) هى الباصرة فى رأى ، وأنها حقيقة فى ذلك ، بينما اعتبرها رأى آخر من المجاز فى الباصرة ، لأنها ترى بسببها .

---

(١) المزهر ١/٤١ (٢) المقاييس ١/٤٠٦

(٣) شرح أشعار هذيل للسكرى ١/٤٤٧ ، والمقاييس ١/٤٧٣

وقد ذكر ابن فارس فى (المجمل) و (المقاييس) أمثلة كثيرة من تعدد الوضع للفظ الواحد ، وإن وصفه أحيانًا بالشذوذ .

والصلاة : الدعاء عند الأعشى[١] . وصلى أبو بكر – رضى الله عنه – أى أتى ثانيًا ، والمصلى : الذى يلى السابق[٢] . والصلا : العجز[٣] .

ويصر جماعة على أن أصل (العفو) : التناول للشىء ، وعليه تدور معانيه . بينما يصر آخرون على أن أصل معنى (العفو) : الترك . وعليه تدور معانيه الكثيرة[٤] .

ولكن كيف يكون العفو أيضًا جرى الفرس . والجحش ؟

وكيف يكون النسخ موضوعًا فى اللغة بإزاء معنيين ، أحدهما : على جهة الانعدام ، والثانى : على جهة الانتقال ؟[٥] .

أمثلة كثيرة رأينا فيها حيرة العلماء إزاء الوضع ، ويؤيد كل رأى الشاهد الفصيح .. فيمكننا أن نقول مطمئنين إلى أن ذلك دليل على جواز وقوع ووجود المشترك بأنواعه فى لغتنا العربية .

* * *

(١) جمهرة أشعار العرب ص ١٥ ، وديوانه ٣٥

(٢) مجالس ثعلب ٢/٤٢٣   (٣) أساس البلاغة ص ٢٥٨

(٤) القواميس العربية (عفو) ، ومجالس ثعلب ١/٨٧

(٥) مجالس ثعلب ٢/٥٥٩ ، مجاز القرآن ٢/٢١١ . الأساس ٤٥٤

نَشأة المشترك اللفظى

اختلفت كلمة العلماء فى الطرق التى جاءت بالمشترك اللفظى فى لغتنا :

أولا : فقد قيل : إنه وجد فى اللغة بسبب الوضع ، إما من واضعين ، أو من واضع واحد[1] .

من واضعين : بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ ما بين الطائفتين فى إفادة المعنيين ، وبمرور الوقت يشيع الاستعمال عند الفريقين ، فيستعمل هذا ذاك والعكس ، حتى ينسى الواضع ، وتبقى الاستعمالات ، وهذا مبناه على أن اللغات غير توقيفية .

وإما من واضع واحد ، لغرض الإبهام على السامع :

حيث يكون التصريح سبباً لمضرة ، مثل : « رجل يهدينى الطريق » ، و « بنوماء » كما مر بنا وفى حديث أبى بكر رضى الله عنه (فى طريق الهجرة)، وقد لقيه رجل بكراع الغميم ، فقال من أنتم ؟ فقال أبو بكر : باغ وهاد . إذ عرض ببغاء الإبل ، وهداية الطريق »[2] . وصرح علماء اللغة بأن الوضع من واضع واحد نادر .

ولذا كان أبو على الفارسى معتدلا فى رأيه حين قال : « اتفاق اللفظين ، واختلاف المعنيين ينبغى ألا يكون قصداً فى الوضع ، ولا أصلا ، ولكنه من لغات تداخلت »[3] وأقول : لا يمنع من واحد كأنه (شفرة أوشيفرة).

وقال بعضهم : « إن الاشتراك بمعناه الصحيح من عوامل كثيرة أهمها :

(١) تاج العروس ٩/١ (٢) الفائق ٤٠٦/٢

(٣) المخصص ٢٥٩/١٣

(اختلاف اللهجات العربية القديمة)[١] ، فلما اختلف الاستعمال لديهم . . جاء جامعو اللغات فضموا هـذه المعانى بعضها إلى بعض بدون أن يعنوا فى كثير من الأحوال بإرجاع كل معنى إلى القبيلة التى كانت تستخدمه ، وبعض أمثلته كانت تختلف معانيه كذلك فى الأصل باختلاف القبائل ، ولـكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيما بعد إلى لغة قريش ، وأصبح يُطلَق فيها على جميع هذه المعانى .

وإذا لاحظنا أن قريشاً كانت تنتقى اللفظ الأرشق والأخف والألطف لتجوِّد به لغتها . . صدقنا هذا الرأى .

ويؤيد مسألة الوضع أن العلماء كانوا يدركون المعانى التى تدور حول اللفظ الواحد ، ثم يدركون أيضاً الفرق متى اختلفت الصيغة .

فقد فسر يونس لفظة (رؤبة) بقوله : (الروبة : الحاجة ، يقال : فلان يقوم بروبة أهله أى بحاجتهم . والروبة : جمام الفحل . والروبة : القطعة من الليل ، نحو الساعة . والروبة : القطعة من اللبن الحامض . والرؤبة (بالهمز) القطعة من الخشب يرأب بها القعب ، وبه سمى الرجل (رؤبة) رؤبة[٢] .

ونبه العلماء على تعدد الوضع :

فقد قال الحطيئة فى وصف الخيل . متابرة رهوا .. قال شراح الديوان (ابن السكيت والسكرى والسجستانى) : (الرهو) ها هنا : المتتابع ، وفى قوله تعالى . ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾[٣] ، أى ساكناً ، (والرهو) ماانطامن الأرض ، وكان ما حوله أشد ارتفاعاً[٤] .

---

(١) فقه اللغة لوافى ص ١٨٥
(٢) مراتب النحويين لأبى الطيب ٢٢
(٣) شرح ديوان الحطيئة ٩
(٤) الدخان : ٢٤

وقد ترددت عبارات تفيد تعدد الوضع للفظ الواحد كثيراً فى المقاييس لابن فارس ، كما سيجىء .

ثانياً : أو لأن سببه المعنى العام للأصول .

إذ أن أكثر الأصول التى تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة ، لذلك ، فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك فى تلك الصفة ، أو ذلك المعنى العام[١] .

مثلا : (الدليل) يقصد بها من يدل على الطريق ، أو من يطوف مع السائحين فى عصرنا ليدلهم على الأماكن الجديرة بالزيارة .

ويراد بها الكتاب الذى تطبعه دوائر السياحة فى كل بلد ، لدلالة الغريب على آثاره ومعالمه .

ويقصد بها كذلك الحجة المنطقية والبرهان ... لأن جميع هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالة لقاصدها ، وإن كانت هى ذاتها مختلفة .

وكلام الأستاذ المبارك إشارة إلى بيان نشأة المشترك ، وإن كانت بعض ألفاظ المشترك ليس فيه عمومية فى الدلالة ، مثل : (الغرب) للجهة ، وللدلو ، ودمع العين ... على أن الدكتور ابراهيم أنيس لا يسلم بالمشترك إلا إذا دلت النصوص على أن اللفظ الواحد يعبر عن معنيين متباينين كل التباين .. فما يخرج عن رأى الأستاذ المبارك يرضى الدكتور أنيس ، ويخلص لنا أن المشترك حقيقة واقعة .

---

(١) فقه اللغة للمبارك ١٩٨ .

جاء فى الحماسة : للهذيل بن مشجعة البولانى :

إنى وإن كان ابن عمى غائباً   لمقاذف من خلفه وورائه

فقوله : (من ورائه بمعنى القدام ، وقد ذكر معه خلف ، واشتقاقه من المدارة وهى المساترة ، لذلك صلح وقوعه موقع الخلف والقدام) ويقول نفس الشاعر بعدئذ فى نفس القصيدة :

وإذا أتى من وجهة بطريفة   لم أطلع مما وراء خبائه(١)

ووراء هنا بمعنى : خلف . فالشاعر راعى فى لفظ وراء . معنى المساترة مطلقاً .

ثالثاً : وبعض العلماء يسببون وجود المشترك فى اللغة بالاستعارة والمجاز ؛ أى أن اللفظ الواحد لم يكن له إلا معنى واحد على سبيل الحقيقة ، ثم تضمن معانى أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز .

وبعض المحدثين من علماء اللغة يخيل أن هذا الرأى من اجتهاده ، ومن بنات أفكاره ، والحق أنه قديم . أشار إليه ابن سيده فى المخصص ، وهو رأى الفارسى حين قال : « أو تكون لفظة تستعمل لمعنى ، ثم تستعار لشىء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل » (٢) .

ويقول الشيخ صبحى الصالح : (طائفة من القدامى ترى هذه الشواهد مصادفات محضة ، تنوسيت فيها خطوات التطور المعنوى عن طريق المجاز والكناية ، ولو أمكن تتبع الخطوات المنسية لوقعنا على المعنى الأصلى الحقيقى للفظ ، ثم رأيناه آخذاً فى التطور ، يلبس كل يوم زياً جديداً ، ويعبر فى كل بيئة تعبيراً معيناً)(٣) .

(١) شرح الحماسة لابن الأنبارى ٤/١٦٨٠   (٢) المخصص ٢٠٩/١٣
(٣) دراسات فى فقه اللغة للصالح ٣٠٣

على أن بعض النافين لوجود المشترك ، يتخذ الاستعمال المجازى دليلا له على النفى ..

لكننا رأينا فى الكلام على ذلك من قبل . بأن القول بالمجاز يقصد به المجاز بمعناه الواسع لا الضيق ، كما هو مفهوم عند علماء البلاغة ، وبالتالى فإن كثيراً مما عدّ حقيقة أو مجازاً لم يكن - فى واقع التحقيق - كذلك ؛ والسبب :

أن المعنى الأصلى أحياناً ينسى ، وأحياناً يحفظ فى بطون المجمعات . وقد كان يلاحظ وحده حين أطلق للمرة الأولى . ثم جاءت بعض المصادفات المحضة التى قد تظل مجهولة لدينا فى بعض جوانبها أحياناً كثيرة . فغيرت معنى اللفظ واستعملته فى غير المراد الأصلى البدائى منه . (فوجوده بين الألفاظ المهجورة التى قد تستعمل . أو حفظه فى كتب اللغة بين الألفاظ المستعملة التى قد تهجر .. لا ينفى أن له فى الأصل معنى خاصاً يدل عليه دون سواه)(١).

(وفندريس) يذكر أن المجاز كان السبب فى خلق جزء كبير من المشترك اللفظى فى اللغة ، لكنه أكد أنه سريعاً ما ينسى ، ويصبح المعنى الجديد الذى دخل اللفظ عن طريق المجاز لا يقل فى حقيقته عن المعنى الأول الذى كان له . ونحن إذا أردنا أن نحدد معنى الكلمة ، أو معانيها . فعلينا أن ننظر إلى استعمالاتها كما هى اليوم ، لا إلى تاريخها .. يقول « فندريس » :

فى التسليم بأن للكلمات معنى أساسياً (حقيقياً) ، ومعانى ثانوية

(١) دراسات فى فقه اللغة للصالح ٣٠٥

(مجازية) صادرة عن الأول إشارة لمسألة وجهة النظر التاريخية . ووجهة النظر التاريخية تلك لا قيمة لها هنا . ربما رأى الشخص الذى يشمل اللغة بأسرها فى تطورها واتساعها بنظرة واحدة: أن (الريشة) التى من حديد ، جاءت من (ريشة) الأوزة ، فهى عنده كلمة واحـدة أخذت دلالتين مختلفتين على مر الزمن : لذلك يجدر بقاموس يفخر بتتبعه لخط سير المعانى أن يضع تحت كلمة ريشة ، معنى الريشة التى من (حديد) بعد معنى ريشة (الأوزة)[1] .

ويمضى (فندريس) فى شرح الفـكرة ، مبيناً الفرق الفعـــلى فى الاستعمال ، فيقول :

ولـكن الفرنسى الذى يتـكلم لغته اليوم ، لا يرى فى هذين الاستعمالين فى الواقع إلا كلمتين مختلفتين ، ولا يوجد شخص واحد يحاول أن يشـكو من الغموض عند سماعه جملتين من قبيل : (يعيش من كدّ ريشته) و (اجتثت له ريشة) . وكل واحد يفهم دون تردد أن الـكلام فى الجملة الأولى عن أحد الـكتاب ، وفى الثانية عن أحد الطيور . فالـكلمتان مختلفتان كجميع المشتركات الأخرى . . .

وعلى فرض أن يكون هناك بريق أو ظهور للـكلمة المستعارة يؤكد (فندريس) بأن أمد هذا الظهور قليل، وسرعان ماينسى ذلك تماماً ،يقول:

«قد يعترض معترض فيقول : بأنه قد مرت لحظة كان يحس خلالها بأن كلمة ريشة استعارة . ولـكن هذه اللحظة لم تطل: فأى كلمة فى اللغة الجارية ليس لها إلا معنى واحد فى الوقت الواحد . إذ لما كانت ريشة الأوزة تستعمل

---

(١) اللغة لفندريس ٢٢٨ .

في الكتابة ، كان الذى قال : (آخذ ريشتى لأكتب كلمة) قد استعمل كلمة ريشة بمعنى أداة للكتابة ، ولم يقصد هذا التقدير . الاستعارة تشبيه مختزل ، تقديرها يحتاج إلى مجهود ، يستطيع الإنسان أن يسلم به لمؤلف يقرؤه عندما يتوفر له الوقت ، ولكنه في المحادثة لا يملك الوقت الكافي لهذا العمل » .

ففندريس قد استعمل العادة في الحديث ، ولاحظ الطاقة في التقدير ، والوقت في السعة والضيق ، واعتبر الواقع في الاستعمال . وعن نسيان العقل لخطوات التطور وأن من الصعب تحديده ، وأن الكلمة ـ التي لها أكثر من معنى ـ لا تستعمل إلا في المعنى الحضوري .

ويحدثنا (بلى) العالم اللغوى ، فيقول : « الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة تبعاً لقيمتها التاريخية ،فالعقل ينسى خطوات التطور المعنوى التي مرت بها ، إذا سلمنا بأنه عرفها في يوم من الأيام ، وللكلمات دائماً معنى حضورى ، محدود باللحظة التي تستعمل فيها ، ومفرد ، خاص بالاستعمال الوقتى الذى تستعمل فيه »(١) .

والمشترك ـ كما قلنا ـ ليس خاصاً بلغتنا ، بل هو ظاهرة مشتركة بين اللغات ، ولأنه يحمل في اللفظ الواحد أكثر من معنى . فكان مثار سؤال :

كيف يتهيأ لنا أن نفهم المقصود منها ؟

قال علماؤنا : يفهم من النص .

ويحدثنا العالم اللغوى (لروا) ـ وكلامه ينصب على الفرنسية خاصة ، واللغات الإنسانية عامة .

---

(١) دراسات في فقه اللغة للصالح ٣٠٦ .

إننا حينما نقول : إن لإحدى الـكلمات أكثر من معنى واحد فى وقت واحد ، إنما نـكون ضحايا الانخداع إلى حـد غير قليل ، إذ لا يطفو فى الشعور من المعانى المختلفة التى تدل عليها إحدى الـكلمات ، إلا المعنى الذى يعينه سياق النص .

ويزيد (لروا) توضيح فـكرته قائلا :

أما المعانى الأخرى جميعها فتمحى وتتبدد ولا توجد إطلاقاً :

فنحن فى الحقيقة نستعمل ثلاثة أفعال مختلفة عندما نقول : (الخياط يقص الثوب) أو (الخبر الذى يقصه الغلام صحيح) أو (البدوى خير من يقص الأثر) .

الذى يعين قيمة الـكلمة إذن إنما هو السياق : إذ أن الـكلمة توجد فى كل مرة تستعمل فيها فى جو يحدد معناه تحديداً مؤقتاً .

والسياق هو الذى يفرض قيمة واحدة على الـكلمة بالرغم من المعانى المتنوعة التى فى وسعها أن تدل عليها .

والسياق ـ أيضاً ـ هو الذى يخلص الـكلمة من الدلالات الماضية التى تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، وهو الذى يخلق لها قيمة (حضورية) ، ولـكن الـكلمة بكل المعانى الـكامنة ، توجد فى الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التى تستعمل فيها ، مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التى تدعوها[1] .

وإذا كان السياق هو الذى يحدد المعنى فلا داعى لخوف من قال : إن كثرة المعانى داعية للإبهام ، واللغة للإفهام .

والسياق أيضاً هو الذى يقطع الطريق على تداعى المعانى المتزاحمة على

(١) اللغة لفندريس ٢٢٨ ـ ٢٣٢ .

اللفظ ، ويجعل القيمة الحضورية للمعنى الواحد المقصود. مع أن الكلمة فى المشترك مشحونة بمعانيها ، تتحفز للخروج والظهور ، والمتكلم يضع المعنى المراد فى الإطار المطلوب المعين على الفهم والمحدد للمعنى ، والسامع لا يجد صعوبة إطلاقاً فى فهم المراد من بين الكثرة ، ومع نسيان المجازية .

ويقترب الدكتور أنيس مما ذكر (لروا) ، و (بلى) كما حكى عنهما (فندريس) ، ويزيد الأمر توضيحاً بأنه :

(ليس من الضرورى أن يكون الاستعمال المجازى مقصوداً متعمداً ، كما نلحظه فى بعض الأساليب الشعرية والكتابية ، بل قد يقع من عدة أفراد فى الهيئة اللغوية فى وقت واحد ، ودون مواضعة أو اتفاق بينهم)[٢].

أى أن الناس فى تخاطبهم قد يلجأون إلى مجازات لتوضيح معانيهم دون قصد ، كقولهم : رأس النخلة . ورأس الجبل . ورأس الحكمة . . . دون أن يعمدوا إلى مجاز أو يقصدوه : إذ يطلقون الرأس على البارز من كل شىء . ونحن نكتفى عادة بفكرة سريعة فى فهم معانى الأشياء . ولا نتطلب الدقائق والتفاصيل .

فالدكتور أنيس يؤكد الواقعية فى الكلام ، كما ويؤيد أن الخطوات التاريخية للفظ قد تنسى ، كما ذكر أن البحث عن تلك المجازات المنسية أمر صعب إذ تتطلب بحثاً جدياً ومضنياً فى النصوص القديمة ، وتاريخ الحياة الاجتماعية لأمة من الأمم عبر العصور .

وأن النقلة المجازية للفظ من محيط إلى آخر كما تكون من عمل فرد ممتاز كشاعر أو ناثر . . تكون من عمل مجموعة من الناس دون مواضعة أو اتفاق بينهم .

---

(١) اللهجات لأنيس ١٨١ ، ١٨٢ .

ويرجع الدكتور أنيس أمر الخطوات المنسية إلى جهلنا بالحياة الاجتماعية قبل الإسلام ، يقول : « وكل الذى نستطيع تأكيده بصددها ، أن معانيها قد تغيرت مع احتفاظها بصورتها ، أو أن صورتها قد تغيرت مع الاحتفاظ بمعانيها ، أما سبب هذا التغيير فأمر أقرب إلى الترجيح منه إلى مرتبة اليقين » .

وذكر أن صاحب شفاء الغليل قد فطن إلى أنه (لا يضر المعرب كونه موافقاً للفظ عربى (كسكّر) ، فإنه معرب ، وإن كان عربى المادة بمعنى أغلق ، قال تعالى : ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾[1] . كذلك لا يضر ماصحت عربيته ووافق لفظاً فارسياً ، أو قرب منه ، مثل : (ضنك ، وتنك ، وجناح) . ومن النادر أن تستعير اللغة كلمات تماثل صورتها كلمات أخرى فيها ، وإن اختلف معناها ، مثل : (البرج) بمعنى الحصن ، وقد استعارته العربية من اليونانية ، مثل هذا نادر وقليل المصادفة)[2] . وعلى كل فالنقلة جائزة وأحياناً تصبح كوضع ثان ، وبخاصة إذا كانت ليس غريبة عن اللغة . بل من جسم اللغة وصميمها .

رابعاً : وذكروا من أسباب نشأة المشترك : التطور الصوتى : فقد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو الزيادة ، وفقاً لقوانين التطور الصوتى[3] .

فقد تكون ظاهرة المشترك فى بعض الأحيان نتيجة تطور صوتى فى بعض الكلمات . مثل : (لزب ولسب) ، كما جاء فى (القاموس) بمعنى اللصوق ، ولدغ الحية والعقرب و (المحت) بمعنى الشديد ، واليوم الحار ، والخالص ، مع أن (البحت) بمعنى الخالص أيضاً ، والميم أخت الباء .

---

(١) الحجر ١٥ (٢) اللهجات لأنيس ١٨٤ — ١٨٦

(٣) فقه اللغة لوافى ١٨٥ وعلم اللغة له ٢٨٥

و(الخبت ، الخبيت) المتسع من بطون الأرض ، وللحقير أيضاً ، والخبيث صريح في الحقير . و (التغب) ، بمعنى الوسخ والدرن ، أو القحط والجوع . وجاء (السغب) بمعنى الجوع . فلعل السغب تطور إلى التغب . ويشفع لهذا ما يروى عن بعض قبائل اليمن التي تقلب السين تاء مثل : النات . بدلا من الناس .. وذكرت المعاجم : أن (نسب) من الأضداد : بمعنى ذكر نسبه ، وأنسبت الريح : اشتدت . وفي موضع آخر : أنشبت الريح : اشتدت . فالأولى أن نقول : إن التطور الصوتي قلب الشين سيناً ـ لكن الأمر اختلط على جامعي اللغة)[٢] .

و (التطور الصوتي) ، عامل مهم في تكوين المشترك ويستحق البحث على نطاق واسع : فقد ذكروا أن (السدفة) تكون بمعنى الضوء . وأيضاً بمعنى الظلمة . ثم ذكر علماء الأضداد بعدئذ أن (الشدفة) بالشين . تحتمل المعنيين أيضاً . هذا فضلا مما جاء بكثرة في باب الإبدال .

وقد فطن الأقدمون لعامل التطور الصوتي ـ إذن ـ وذكروا أنه لم يكن وليد الصدفة . وذكروا أمثلته . وليس بصحيح إذن ما ذكره بعض المحدثين من أنهم لم يفطنوا له . وإن كانوا لم يعنونوا له .

(١) اللهجات لأنيس ١٨٩ ـ ١٩١ .

إنكار المشترك اللفظي

بعض العلماء ينكرون وجود المشترك اللفظي في اللغة ، ومنهم : ابن درستويه ، الذى ألف كتاباً فى « إبطال الأضداد » ، وللأسف لم يُعثر على هذا الكتاب حتى الآن .

وكل فريق من النافين والمثبتين قد نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة كما يرى بعضهم .

« فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظي على أنها كلها من الحقيقة قد نظروا إليها نظرة تاريخية وتتبعوها فى عصورها المختلفة .

أما الآخرون فنظرتهم وصفية واقعية ، إذ بحثوا فى الكلمات ومعانيها فى عصر خاص[1] . كما ذكر الدكتور أنيس .

لكنى أجد أن تطبيق هذا المنهج الحديث على القدامى ، فيه ظلم لهم فما كانوا يعرفون كل هذه المصطلحات ، وكان تعلق العلماء بالشواهد والنصوص هو الأساس .

ولا تضر مخالفة المخالفين : فقد أنكر بعضهم أن يكون فى اللغة مجاز أصلا ، ونفى بعضهم أن يكون فيها حقيقة ، وقال فريق ثالث بأن المدلولات تتبدل وتتغير : ففرس امرىء القيس غير فرسنا اليوم . وسبق أن ألمعنا إلى أن هذه وجهة أملتها الفلسفة الإغريقية القديمة من إحدى زواياها ، واللغة لا تتحمل ـ عند البدوى القديم ـ ذلك .

(١) فى اللهجات ـ د أنيس ١٨١ .

وحجة القائلين بالمنع : بأنه إن وجد مع اللفظ الثانى البيان فهو تطويل ، وإلا فات المقصود .

ورد المجيزون : بأن الفائدة لم تفت ، إذ أنه يفيد فائدة إجمالية ، كما فى أسماء الأجناس ، وأيضاً لفائدة البيان بعد الإجمال ، كما فى البلاغة والبيان .

وتمسك المانعون أيضاً بأن المجاز والحقيقة لعبا دورهما ، وأن المجاز فى النقل باق حتى بعد النقل ، ونقول لهم : إنه مات فى زحمة الاستعمال ، والنقل فى اللغة كالنسخ فى الشريعة كما أسلفنا فى التمهيد للمشترك .

وحجة بعض المانعين أيضاً : أنه أتى من اختلاف التصاريف ومخالفة بنية الكلمة من اختلاف المصادر . . ونقول : لئن أتى ذلك فى بضعة ألفاظ ، فلا ينفى كثرته فى أمثلة أخرى كثيرة ، على أن التصاريف — كما سبق أن ذكرنا — لم تستقر غالباً — على قاعدة ، أو رأى واحد ، مما دعا بالكثير من الدارسين والمدرسين إلى الشكوى من صعوبة الضبط والربط إلا على أساس من الضوابط الغالبة ، لا القواعد الجامعة المانعة ، كما هو مفروض فى القواعد.

ويرد « ابن درستويه » ، المشترك ، لأن مثل لفظ (وجد) لوجود شىء مطلقاً ، خيراً كان أو شراً ، ولأن مصادره قد اختلفت وتعلق بكلام ابن درستويه بعض العلماء ، فحاولوا التفريق بين المصادر كالثعالبى فى فقهه ، مع اعترافه وتمثيله للمشترك بأمثلة أخرى[1] .

وما دامت البنية قد اختلفت عندهم ، فليس ذلك من المشترك ، حتى ولو حكاها سيبويه فى أول كتابه ، لأن ابن درستويه يرى أن لفظ (وجد)

(١) فقه اللغة للثعالبى (٦٧) وص ٣٤٦

قد جاء لمعان مختلفة . وإنما هذه المعانى ـ التى حكاها سيبويه فى (وجد) كلها لشىء واحد ، وهى إصابة الشىء خيراً كان أو شراً[١] .

(فظن من لم يتأمل المعانى ، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد ، قد جاء لمعان مختلفة) .

فالمعانى كلها فى لفظ (وجد) عنده ، إنما هى لشىء واحد ، وهو : إصابة الشىء خيراً كان أوشراً ، ولـكن فرقوا بين المصادر؛ لأن المفعولات كانت مختلفة . فجعلوا الفرق فى المصادر بأنها أيضاً مفعولة .

ويمضى ابن درستويه فيقول : (والمصادر كثيرة التصاريف جداً ، وأمثلتها كثيرة مختلفة ، وقياسها غامض ، وعللها خفية ، والمفتشون عنها قليلون ، والصبر عليها معدوم) . ويخلص ابن درستويه من ذلك إلى :

(توهم أهل اللغة أنها تأتى على غير قياس ، لأنهم لم يضبطوا قياسها ، ولم يقفوا على غورها)[٢] .

* * *

● **وللرد على ابن درستويه نقول :**

١ ـ يكفى أن سيبويه ـ وهو من هو فى تأصيل وتقعيد اللغة ـ اعترف بالاشتراك للفظ (وجد) فى أول كتابه ، وكذلك أعلام العلماء .

٢ ـ وإجماله بأن المعانى كلها لشىء واحد ، هو إصابة الشىء شراً كان أو خيراً ، فهذا معنى فلسفى لا يتفق مع طبيعة اللغة ، وإيغال فى التفكير الشديد للفظة (وجد) .

---

(١) المزهر للسيوطى ١/٣٨٤

(٢) المزهر للسيوطى ١/٣٨٤ ، الكتاب لسيبويه ٢/١٥

٣ ـ وما ذكره من اختلاف المصادر ، ومجيء المعانى على حسب هذا الاختلاف ، ينقضه ما ذكرناه من قبل فى المصادر المختلفة المتداخلة ، مع ورودها مختلفة على المعنى الواحد .

٤ ـ وما قاله من أن المصادر كثيرة التصاريف جداً . وأمثلتها كثيرة ومختلفة . وقياسها الغامض .. كل ذلك حجة عليه ، لا له .

٥ ـ وماحكاه من أن المفتشين عن علل المصادر الغامضة والخفية قليلون وصبرهم معدوم ينقضه ما لخصناه ـ فى لفظى ـ (الصلاة) و (وجد) فيما سبق من كلام صاحب (تاج العروس) . وإلا فماذا يفعل العلماء فوق ذلك للفظة واحدة ؟ !

٦ ـ وحبذا لو أوقفنا ابن درستويه ـ رحمه الله ـ على غور التصاريف . وضبط قياسها وتقعيدها على سنن لا تحيد عنها ؟ وتمنع الشكوى . وحسبنا الجهد الذى وصلنا . فى أمهات الكتب . ومن أعيان العلماء . وفى ذلك كفاية ؛ لأن الظاهرة تشيع . ولعل المستقبل يكشف لنا عن عكس ما قررته الكثرة الوفيرة من مدققى العلماء وتظهر من الدلائل القوية ما يترجح معها كلام ابن درستويه . وحينئذ : نرجع ـ مغتبطين ـ إلى رأى ابن درستويه .

٧ ـ طبيعة اللغة . واستعمال المفردات فى الأساليب الفصيحة . وما ورد من المعانى المتنوعة . والشواهد الصحيحة لا يؤيد ما ذكره ابن درستويه من قريب ، أو من بعيد .

٨ ـ وكلامه يزيد فى الغموض ، والحيرة ، وازدياد خفاء القياس ، ولن نخرج بذلك من وادى الظنون ، وعالم الضياع .

٩ ـ معنى قوله : (وجد) بمعنى أصاب الشيء مطلقاً ، أشبه بالعلل الفلسفية ، واستعمالات اللغة وطبيعتها البسيطة من العربي البسيط غير ذلك تماماً .

وطبيعة اللغة في استعمالاتها المتنوعة ، ودلالاتها المختلفة للفظة الواحدة توحي بالفرق الدقيق أحياناً . والشاسع أحياناً أخرى ، والفيصل في ذلك ماروى من الأساليب الفصيحة والصحيحة ، لأرباب اللغة ، وماحكاه الأعلام ورعته الأمهات من الكتب .

١٠ ـ روت الكثرة من العلماء وجود المشترك في لفظ (وجد) . وعارضت القلة في ذلك وما نظن أن كثرة تمدها أدلتها ـ تجتمع على غير صواب .

١١ ـ وإن نفرق بين إصابة الشيء في (وجد) خيراً كان أو شراً ، بين مرغوب فيه ومرغوب عنه فقط ، ولكن الأمثلة في الناحية الواحدة تتباين تبايناً شديداً وطريفاً : فوجد قارون بكنوزه ، لايمكن أن يقارن بوجد غيره وغناه . ووجد قيس بليلى ، لا يمكن أن يقارن بوجد غيرها الهش . ووجد المخلص بربه كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها من السماء ، وشتان بين وجده وبين وجد من يعبد الله على حرف . ووجد الخنساء على صخر ، لا يعدله وجد نساء الدنيا على أعزائهن . .

ولعل في هذا كفاية ، وبرهان على أن (وجد) من ألفاظ المشترك ، الذي تعتز به لغتنا ، وتشاركها فيه كثرة من اللغات الحية : إذ نجد للفظة الواحدة أكثر من معنى ، فلم ننكر هذا على لغتنا ، وفيها ما يثبت ذلك ، وللعربي حريته في لغته ؟ !

• **والخلاصة :**

أن المشترك على خلاف الأصل ، لكنه ورد بأساليب فصيحة لا سبيل إلى إنكارها ، وسواء ورد من واضع واحد أو من واضعين ، أو بسبب اختلاف لهجات القبائل ، أو النقل والمجاز من لغة واحدة أو لغتين ثم مات المجاز ، أو بسبب تطور صوتى . .

فقد حكم كثير من علماء اللغة بوقوعه فى لغتنا ، وأطبقوا على ذلك ، ويقوى هذا الحكم شهادة النحاة ، واستعمال الأدباء ، وشرح العلماء ، ورواية أمهات الكتب . . فلا سبيل إلى إنكاره . .

ولئن أسرف بعض المجوزين له بلا ضابط ولا رابط – أحياناً – وبغير روية وإمعان .. فقد أسرف المانعون فى القول بمنعه وعدم وقوعه فى لغتنا .

والحل إذن هو التوسط : فلا مغالاة ولا إنكار ، حتى لا يغضب شيخنا عبد الله العلايلى ، ويخطىء مناهجنا ، ويفزع من اتساع باب الاشتراك، مع اعترافه به ، حتى يكاد أن يرى أن التعريب – إذا بولغ فى ذكر المشترك – خير من المشترك فى رأيه ونحن معه :

يقول : يعد من المنهج الخاطىء : « ألا يتأتى لزّ لغتنا العربية بإزاء قريب من اللغات الحية ، إلا بتوسيع باب الاشتراك على صورة مرعبة مخوفة . . ونحن وإن كنا لا ننكر كون الاشتراك قانوناً لغوياً عاماً تخضع له اللغات كافتها ، ولكن على هذه الصورة فلا قطعاً . هذه الصورة التى يكون التعريب أقوم منها سبيلا ، حين يعتاص على أحدنا التعبير عن تمام أفكاره

إلا بضعفى موضوعه قرائن ، لتكشف عن المعنى المراد فى مشترك الألفاظ ، عدا أن العمل اللغوى يظل بطاء جداً ومتخلفاً حقاً فلا يخرج للقرن العشرين إلا مولدات القرن الثامن عشر »[١] .

فالاعتدال هو الحل الوسط ، وقد رضى ذلك كثير من العلماء المحدثين ، لأن الظاهرة شائعة فى لغتنا .

☆ ☆ ☆

(١) المقدمة للعلايلى ١٠

النقل والمجاز لانتفاء المشترك

الأصل فى اللفظ أن يستقر على حاله الأول ، مالم يدع داع إلى أن يترك ويتحول ، كما يقول ابن جنى[1] : والعرب ـ كثيراً ـ ما نقلت الأسماء إلى باب الصفات والعكس ، كما ذكر المرزوقى ، وذكر العلماء أن النقل فى اللغة يعتبر كالنسخ فى الشريعة ، وأنه وضع آخر ، ومثلوا له بلفظ : (النسخ) :

فالنسخ ـ كما تذكر القواميس ـ أصله لمشتار العسل ، فنقل لنسخ الشمس للظل ، ثم نقل للمعنى الشرعى بعدئذ .

وقد تنسى خطوات النقل ، وقد تحفظ . وقد يهمل المعنى الأصلى أو يبقى أو ينسى . .

وهاك مثلا : (الطف) ، أصله فى المعاجم اسم لجبل يفصل العراق عن شبه الجزيرة العربية ثم تدرج استعماله بالاشتقاق الواسع ، فشمل كل فاصل وحدّ حسّى ، كشاطىء البحر ، وحافة الجبل ، والنهاية من كل شىء .

وكان طبيعياً أن يدل (الطف) بمادته على النهاية أو قربها ، ثم تطور فأصبح يدل على ما يزيد على النهاية . كما توحى بذلك أصوات اللفظ عندما نحللها تحليلا صوتياً ، ثم تطور فأصبح يدل على ما فوق النهاية وما تحتها .

ونعتقد أن نزول القرآن الكريم كان الطور الأخير للدلالة ، ومعنى ذلك : أن لفظ (طف) صار يدل على الزيادة والنقصان معاً ، أو على الشىء وضده . وقد استعمله القرآن الكريم بذلك المعنى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ .....

---

(١) الخصائص ٢/٥٧ ؛ ـ ٤٦٦

يخسرون ﴾[1] . فيفهم من مدلول عصر الإسلام أن الطف للذين يزيدون وينقصون عندما تكون لهم مصلحة فى الحالتين . والحكمة سامية فى المعنيين المتقابلين هى : الإيجاز والاقتصاد ، والحكم بأقصر لفظ على تلك الطائفة بأخصر عبارة لفظية ممكنة »[2] .

ومع بيان القرآن بعد ذلك للزيادة والنقصان المفهومان عن اللفظ ، فإن المفسرين فسروه بالزيادة فقط ، وبذلك ضاع المعنى البلاغى واستمر معنى الزيادة سائداً حتى الأموى والعباسى والحاضر والدارج . فلو كان لهم إلمام — تام — بتاريخ اللغة أو أنهم التفتوا إلى تطور المدلولات اللفظية لما وقعوا فيما وقعوا فيه .

وعلى كل يمكننا أن نقول إن تتبع الخطوات أظهر لنا مراحل النقل فى لفظه (طف) ، وباستعمال القرآن الكريم لها أصبحت من المشترك اللفظى .

وهناك نقل من العام إلى الخاص أو العكس ، كما فى لفظ (الحج) ، والإيمان على أن الأصل يلمح ويذكر دائماً عند تعريفهما بأنه مطلق القصد أو التصديق .

وهناك إبطال الاستعمال بسبب الكراهة ، أو الشرع ، كقول الرسول ﷺ « لا يقولن أحدكم للعنب الكرم ، إنما الكرم الرجل المسلم »[3] . وسبب النهى : أن العرب سمت العنبة كرماً : ذهاباً إلى أن الخمر تورث شاربها كرماً ، فلما حرم الخمر نهاهم عن ذلك تحقيراً للخمر ، وتأكيداً

(١) سورة المطففين : ١ — ٣ (٢) دراسات فى اللغة والنحو لحسن عون ص ١٧ — ٤٣

(٣) مختصر صحيح مسلم ٢/١٣٢

لحرمتها ، وبين أن قلب المؤمن هو الكرم ـ مشتق من الكرم ـ وذكر ابن برهان اختلاف العلماء فى نقل الأسامى : كلها أو بعضها ، وهل نقلت اللغة إلى الشرع ؟ وكل الأسامى أو بعضها ؟ كالصوم والزكاة والحج والصلاة عند المعتزلة : فهى منقولة ـ وأن القاضى أبا بكر يرى : أن الأسماء باقية على وضعها اللغوى غير منقولة[١] ، وهذا ليس بالرأى .

على أن النقل عند جماعة لم يخرج عن أحد قسمى اللغة وهو المجاز . والمراد بالمجاز : المجاز بمعناه الواسع لا البلاغى الضيق ، كما ذكر أبو عبيدة فى كتابه : « مجاز القرآن » .

والنقل عند جماعة أخرى وضع جديد : فقد نصت الأمهات من كتب اللغة بأن « اللغة لم تعرف المحرم والفاسق والمنافق والتفث ، وفى الجمهرة : أن المحرم لم يكن معروفاً ، وكان يقال له ولصفر : الصفرين ، وسماه النبى ﷺ المحرم بقوله : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم » ، وكذلك (صير الباب) بمعنى شقة . و (الزمارة) بمعنى الزانية[٢] . وقال أبو عبيد : لم أسمع هذا الحرف (الزمارة) إلا فى الحديث ، ولا أدرى من أى شىء أخذ . ونطق النبى بها : إما وضع جديد ، أو لغة لم تصل غيره ، أو نقل غاب عنا مصدره .

والمذاهب فى التضمين هى أن المجاز المستعمل قد استعمل فى الوجه الحقيقى مع قطع الصلة بينها وبين الأصل ، أو أنها استخدمت فى الوجه المجازى مع القرينة الدالة ، أو أنها استعملت فى الحقيقة والمجاز فى آن واحد .

ونلاحظ : أن الأصوليين قد اختلفوا فى لفظ (الصلاة) بين الحقيقة

---

(١) المزهر ١/ ٢٩٨ (٢) المزهر ١/ ٣٠٠

والمجاز : هل هو حقيقة شرعية فى أفعالها . . مجاز لغوى فى الدعاء ؟ أو أن استعمال اللفظ فى المنقول إليه مجاز راجح ، وفى المنقول حقيقة مرجوحة فيه ؟ خلاف. وسنرى مزيداً من بحثه فى الاشتقاق وأن الخلاف فيه لا يرد المشترك . بل إن ماعد من الحقيقة أحياناً ، قيل : إنه من المجاز ، كما فى لفظ (العين) : ولنقف مع لفظ (العين) قليلا لنرى حقيقة الحقيقة والمجاز فيه ، إذ أن لفظ العين ، من الألفاظ المحظوظة فى بحث المشترك ، التى حفلت واحتفلت بها قواميس اللغة العربية ، وكثر تداولها واستعمالاتها فى بطون الأمهات من الكتب الأدبية وغيرها :

فابن فارس وبعض علماء اللغة معه يرون : أن الباصرة هى الأصل ، الذى يدل على عضو به البصر ، ثم يشتق منه سائر استعمالاتها ، كما فى المقاييس : أى أن بقية الاستعمالات من المجاز لا الحقيقة .

والطريف أن صاحب تاج العروس يروى عن السهيلى فى « روضه » : أنه يرى أن هذه — العين الباصرة — هى المجاز لحلول الإبصار فيها ، ثم يدعونا إلى التأمل ، وقولته حقاً جديرة بالتأمل !

ولم تذكر القواميس التى عنيت بالمجاز والحقيقة والإشارة إليهما — كالأساس ، وتاج العروس — إلا حوالى خمسة معان ، استعملت العين فيها مجازاً ، كطلوع النبت ، والنور ، وبعض المضافات كصديق عين ، وعبد عين ، وأعيان الناس ، والإخوة لأب ، وعمد العين .

وإذا كان الأمر كذلك ، فقد بقيت معان كثيرة وكثيرة جداً — شهدت بها الأساليب الفصيحة — استعملت على سبيل الحقيقة لا المجاز .

على أن هذه المعانى العديدة وردت مجملة فى بطون القواميس العربية ،

ومفصلة ، ولها شواهد ، وأحياناً غفلا من الشواهد ـ لشهرتها ، أو لأن راويها ثقة ، أو اعتماداً على أن القارىء عالم . . ، استناداً إلى اشتقاق أو تصريف ، أو ما سمع من استعمال فى غير ما يعد شاهداً مأثوراً عن أفحاح العرب[1] .

وعندما وضع الزمخشرى أساسه على أساس الحقيقة والمجاز ، لم تكن ضوابطه مضبوطة ولا كاملة ، بدليل أن ابن حجر (٨٥٢هـ) استدرك عليه كثيراً فى « الغراس »[2] : فقد عد الزمخشرى : (أتب) وتأتب الغلام بالسلاح والقوس مجاز ، وعدها ابن حجر من الحقيقة . وذكر الزمخشرى أن (أتى) حقيقة ، وعدها ابن حجر من المجاز . واستشهد بقول الشاعر :

تأتى له أمره حتى انجبر وأدى إتاوة أرضه : أى خراجها[3] .

ومعنى هذا أن المجاز حتى القرن السادس لم يكن مستقراً ، حتى يحكم به على نفى المشترك اللفظى . وهذا مثل آخر ـ يسوقه ابن سيده ـ على صحة ما نراه : (الشعاع) : ضوء الشمس ، أو ما تراه ممتداً كالرماح بعيد الطلوع وقيل : الشعاع انتشار ضوئها : قال قيس بن الخطيم :

طَعَنْتُ ابنَ عَبْدِ القَيْسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلاَ الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

وقال أبو يوسف (ابن السكيت) : أنشدنى ابن معن عن الأصمعى : « لولا الشعاع » بضم الشين ، وقال : هو ضوء الدم وحمرته . فلا أدرى أقاله وضعاً أم على التشبيه[4] .

---

(١) راجع « العين » للخليل ، والمحكم ١٧٩ ـ ١٨٤ ، والمقاييس ٤/١٩٩ ـ ٢٠٤ والمزهر ٣٧٢ ـ ٣٧٥ ، والصحاح (عين) . وشرح ديوان ابن أبى حصينة للمعرى ١١٥ ، والمخصص ١٠/٣٣ ف (العيون والإضافة إليها) .

(٢) عندى نسخة مصورة منه .

(٣) مقدمة أساس البلاغة : للشيخ أمين الخولى

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ١/٢٦

ووجدنا أن معنى المجاز عند أبي عبيد : الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته . وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة مجاز فيما بعد[١] . (وانظر في ذلك فتح الباري ٨/٤٢٥ ، وارشاد السالك ٧/٣٩) فقد كان أبو عبيدة يستعمل : مجازه كذا ، وتفسيره كذا ، ومعناه كذا ، وغريبه ، وتأويله .. على أن معانيها واحدة أو تكاد .

فقد كانت تسمية أبي عبيدة كتابه « المجاز » ضرباً من تسمية الكل باسم الجزء[٢] .

وقد ورد نص في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (المعاصر لأبي عبيدة) يسعف في تقدير معنى المجاز الذي قصد إليه أبو عبيدة ، إذ يقول :

(وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها : الاستعارة والتمثيل ، والقلب ، والتقديم ، والتأخير ، والحذف ، والتكرار ، والإخفاء ، والإظهار ، والواحد ، والجميع ، وخطاب الاثنين ، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم ، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ..... وبكل هذه المذاهب نزل القرآن)[٣] .

ويقوي ما ذكر ما جاء عن أبي عبيدة : ومن مجاز ما جاءت له معان غير واحد ، مختلفة فتأولته الأئمة بلغاتها فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك ، قال : ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾[٤] فسروه على ثلاثة أوجه ، قال بعضهم : على قصد . وقال بعضهم : منع ، وقال آخرون : على غضب وحقد[٥] .

ويقول في موضع آخر : الحصور له غير موضع ، والأصل واحد ، وهو

(١) مجاز القرآن لأبي عبيد ١/ ٥ ، ١٩

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية م ١٢ جـ ١ مايو سنة ١٩٦٧ م ص ١٦١

(٣) المصدر السابق ١٦٤ ، ١٦٥ (٤) القلم : ٢٥ (٥) مجاز القرآن لأبي عبيد ١/١٣

الذى لا يأتى النساء . والذى لا يولد له . والذى يكون مع النّدامى فلا يخرج شيئاً ، قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ لِلْكَأْسِ نَادَمَنِي   لاَ بِالْحَصُورِ وَلاَ فِيهَا بِسَوَّارِ

أى الذى لا يساور جليسه كما يساور الأسد . والحصور أيضاً الذى لا يخرج سراً أبداً . قال جرير :

وَلَقَدْ تَسَقَّطَنِي الوُشَاةُ فَصَادَفُوا   حَصِراً بِسِرِّكِ يا أُمَيْمُ ضَنِيناَ(١)

وإذن فاستقرار المجاز بالمعنى المستقر فى أذهان النافين للمشترك اللفظى ـ بناء على دعوى المجاز ـ لم يكن موجوداً حتى وقت قريب . فعلى أى أساس نفى النافون وجوده ، بعد أن أقره العلماء وألفوا فى أصرح قسميه وهو الأضداد ؟ الحق أنه لا حق معهم .

والخلاصة : أن مدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالات التى يكثر فيها استخدامها . كالصلاة والحج . . وأن كثرة استخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه . وتكسبه العموم : فقد كان الورد أصلا لإتيان الماء . ثم صار لإتيان أى شىء .

وقيل : « إن كثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى تؤدى غالباً إلى انقراض معناها الحقيقى . وحلول هذا المعنى المجازى محله . مثلا فى العربية : المجد ، والأفن ، والوغى ، والغفران ، والعقيقة :

فالمجد أصلا : امتلاء بطن الدابة من العلف والماء . ثم كثر استعماله مجازاً فى الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأصلى وأصبح حقيقة فى هذا المعنى المجازى .

---

(٢) المصدر السابق ١ / ٩٢

والأفن : قلة لبن الناقة . فانتقل إلى قلة العقل .

والوغى : اختلاط الأصوات في الحرب . نقل إلى الحرب نفسها .

والغفر : من الستر إلى الصفح عن الذنوب .

والعقيقة : من الشعر الذي يخرج على رأس الولد من بطن أمه إلى ما يذبح عنه عند حلق هذا الشعر .

وكثرة استعمال الكلمة في العبارات المنفية ينزع عنها معناها الأصلي . ويكسبها معنى العموم والإطلاق. فتصبح أشبه شيء بأداة من أدوات النفي : كأحد ودبار وقط وأبدا . . .

واستخدام الكلمة في فن ما بمعنى خاص يجردها في هذا الفن من معناها اللغوي . ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي(١) .

وعلى ذلك فلا سند لمنكري المشترك اللفظي ـ إذن ـ من هذا الجانب .

* * *

(١) علم اللغة لوافي ص ٢٢٩

اختلاف الأبنية لا ينفي المشترك

علماء العربية رسموا لأنفسهم صورة للغة لا يحيدون عنها ، ولحنوا غيرها ، ولم يتقيدوا بالاستعمال وتطوره ، وفي هذا تضييق واعنات . وجاء من بعدهم فزادوا هذا القيد إحكاماً ، وسموا ذلك بالقواعد ، وليست بالقواعد في الحقيقة ، وإنما هي – لو أنصفوا – ضوابط لما كثر وشاع .. على أنهم لو راعوا الاستعمال العربي في أساليبه الفصيحة . لاتسع عليهم الأمر ، ولأصبحت ضوابطهم مرنة مطواعاً .

وجاءت المصادر مختلفة أحياناً ، والجموع ليست متماثلة غالباً ، والأبنية متشعبة ومتداخلة وكثيرة وخاصة في الثلاثي . وكان هذا الاختلاف حجة لبعضهم في إنكار المشترك اللفظي ، ولا حق لهم في ذلك :

لأن المصادر لم تثبت ، والجموع سمع فيها الكثير ، واضطربت أقيسة الأبنية ، وما سمع فيه مصدر ، وجدنا له بناء آخر في استعمال آخر ، حتى يكاد الدارس للعربية يجزم بأن أكثر من وجه يوجد في كل لفظة وبناء ومصدر ، وسنرى ذلك في لفظ « وجد » الذي هو عمدة في ألفاظ المشترك ، وإن رده ابن درستويه كما سيجيء . فلا حجة لمنكري المشترك اللفظي – إذن – بسبب المصادر وتنوعها والأبنية ، وجواز أكثر من وجه فيها ، بل العكس : نرى أن ذلك مبرر لوجود المشترك وحجة على أنه واقع في اللغة . وقلنا غالباً ، لأن الأمر ليس على إطلاقه فالضوابط الموضوعة لها قيمها ، ولكن ما حكى في مصادر « وجد » مثلا هو مثار الخلاف بين المثبتين والنافين . فأردنا أن نبين لهم أن الأمر ليس كما قالوا ، أو دليلهم تطرق إليه الاحتمال . وإلا فإن الأقدمين تنبهوا إلى (اتفاق المصادر ، على اختلاف المصادر) مثل مختار من

من اختاروا واختير . فهما مختلفان تقديراً[(١)] .

لكن ابن درستويه يشتط فى رأيه فلا يرى أن فعل وأفعل بمعنى ومن المحال أن يجيئنا لمعنى واحد ، وإنما ذلك لغات ، ويكون نقل عن العرب الاستعمال للفظين ، وحتى مع الاستعمال لا يرضى ابن درستويه أن يكونا بمعنى واحد ، وإلا أدى الأمر إلى التعمية ، وواضع اللغة عنده — جل جلاله — حكيم عليم .. ومن تأول على العرب بشىء من ذلك فقد أخطأ التأويل : يقول ابن درستويه فى (شرح الفصيح) :

لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجىء ذلك فى لغتين مختلفتين ، فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما يظن كثير من اللغويين والنحويين . وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها ، وما فى نفوسها من معانيها المختلفة ، وعلى ماجرت به عادتها وتعارفها ، ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق ؛ فظنوا أنهما بمعنى واحد ، وتأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم .

فإن كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب فقد أخطأوا عليهم فى تأويلهم ما لا يجوز فى الحكمة . وليس يجىء شيئاً من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا ، أو يكون على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شىء بشىء على ما شرحناه فى كتابنا الذى ألفناه فى افتراق معنى « فعل وأفعل »[(٢)] .

وقد بالغ ابن درستويه فى رأيه ، لأن الاستعمال الفصيح أتى بالاستعمالين أحياناً ، بل وأتى بهما شاعر واحد ، وإن كان قد راعى لغة غيره ، فهى عربية فصيحة قبل كل شىء ، وقد رووا بالسند عن ثعلب ، قال : أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية ، وأوسعهم علماً الكسائى ، وكان يقول :

---

(١) الخصائص ٢/١٠٢ (٢) المزهر ١/٣٨٤

« فلما سمعت فى شىء « فعلت » إلّا وقد سمعت فيه « أفعلت » . قال أبو الطيب : وهذا الإجماع الذى ذكره ثعلب إجماع لا يدخل فيه أهل البصرة »[١] . أقول ويكفينا إجماع غيرهم . وهذه حجة فى الرد على ابن درستويه . فقد جاء (أشرّ وأخير) ، مع أن الأكثر فى الاستعمال (خير وشر) : قال الشاعر :

فَتَبْتَعِثَنْ حَرْباً عَلَيْكَ عَظِيمَةً وَمَا أَخْيَرَ عَبْدَ الْقَيْسِ فِيهَا وَجُنْدُبَا[٢]

وقال الآخر :

أَلَسْتُ أَشَرَّ النَّاسِ حِينَ تَقِيَّتِي بِجِلْدِ حُوَارٍ حَارِنٍ لَمْ يُمَرَّنِ[٣]

وقال أوس بن علقاء الهجيمى :

وَهُمْ أَدُّوا إِلَيْكَ بَنِي عَدَاء بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ وَبِشَرٍّ ذَامِ[٤]

وجاء فى اللغة : نلته وأنلته ، ويقال : نلته أنوله ، وأنلته أنيله ، وذكر ابن الأنبارى شواهد فصيحة لكل ذلك . وذكر قول جرير :

أَعْذَرْتُ فِى طَلَبِ النَّوَالِ إِلَيكُمُ لَو كَانَ مَنْ مَلَكَ النَّوالَ يُنِيلُ[٥]

وقال ابن أبى حصينة :

خيرُ الْمَوَاطِنِ حيثُ هَذَا الأَرْوَعُ وَأَجَلُّ قَوْلٍ مَا أَقُولُ وَيُسْمَعُ[٦]

قال المعرى : الأروع الذى يروعك بجماله ، ولا يقال : امرأة (روعاء) ويقال : ناقة روعاء ، ومهرة روعاء : ولا يقال : رجل أروع ولا مهر أروع ، قال مالك بن صريم الهمدانى (جاهلى) .

* ترى المهرة الروعاء تنفض رأسها *[٧]

---

(١) مراتب النحويين لأبى الطيب ٧٤
(٢) شرح المفضليات لابن الأنبارى ٧٦٠
(٣) السابق ٧٦٠
(٤) السابق ٧٥٩
(٥) السابق ٧٧٩
(٦) ديوان بن أبى حصينة بشرح المعرى ٣٤
(٦) السابق ٤٠ ، ٤١

وورد في الأساس : رجل أروع وامرأة روعاء ، وناقة روعاء . وفي الصحاح : امرأة روعاء بينة الروع !! فلا حجة المنع لهذا أو لذاك ، ما دام قد سمع كل ذلك في الأساليب الفصيحة .

وجمع الشاعر بين لغتين ، كقول لبيد :

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى   نُمَيْراً وَالقبائلَ مِنْ هِلَالِ(١)

وذكر أبو الطيب اللغوي خلاف علماء اللغة حول غمد وأغمد ، ثم قال: « وأما أبو زيد وأبو عبيدة وغيرها من العلماء ، فإنهم قالوا: غمدت السيف وأغمدته لغتان فصيحتان »(٢) .

وخلاف علماء اللغة في برق ورعد، وأبرق وأرعد .. معروف مشهور: فقد حدث أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم ، قال : قلت للأصمعي : أتقول في التهدد : أبرق وأرعد ؟ فقال : لا . . إلا أن أرى البرق أو أسمع الرعد .

فقلت : فقد قال الكميت :

أَبْرِقْ وَأَرْعِـدْ يَايَزِيدُ   فَمَـا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرْ

فقال : الكميت جرمقاني ـ أصلهم من العجم ـ من أهل الموصل ليس بحجة ، والحجة الذي يقول :

إِذَا جَاوزتَ مِنْ ذَاتِ عِرقٍ ثنيةً   فقلْ لأبي قَابُوسَ مَا شِئْتَ فَارْعَدِ

وأتيت أبا زيد ، فقال (في التهدد) : رعد وبرق وأرعد وأبرق ، فأجاز اللغتين . وأقبل أعرابي محرم ، فسأله أبو زيد : . . فقال الأعرابي رعدت وأبرقت للسماء ، وقال في التخويف ، يعني التهدد ـ رعد وبرق ،

---

(١) الشافي ١٧٦   (٢) مراتب النحويين لأبي الطيب ٧٠

وأرعد وأبرق (للرجل)(١) .

وقد رأينا أبا زيد يجيزهما معاً، وظهر أنهما جائزتان. وقال أبو ذؤيب :

أَجِزتُ إِذَا كَانَ السَّرَابُ كَأَنَّهُ عَلَى مُخْزَئِلَّاتِ الأَكَامِ نَضِيحُ

أجزت : جزت ونفذت هذا الطريق ، مخزئلات : ما شخص واجتمع . ونضيح : الحوض ، يقال : أجاز وجاز لغتان ، وقال العجاج : أجاز منا جائز لم يوقم(٢) . فجمع بين اللغتين فى بيت .

وقال خالد بن زهير : ابن عم أبى ذؤيب : (فى رواية الأصمعى) :

يَاقَوْمُ مَا بَالُ أَبِى ذُؤَيْبِ يَمُسُّ رَأْسِى وَيَشُمُّ ثَوْبِى
كَأَنَّنِى أَتَوْتُهُ بِرَيْبِ

يقال : أتيته وأتوته جميعاً(٣) .

وقلنا : إن الذى يجب أن نعتمد عليه إذا خفى علينا شىء أن نرجع إلى الاستعمال ، أما الاختلاف فى المصادر أو الاشتقاق فليس بضائر ، وليس بحكم أو مانع من إجازة أحكام أخرى .

على أن الاشتقاق كان يخفى أحياناً ، فيحاول اللغويين تخريجه باجتهاد منهم ، والعربى الأصيل لا يعرف شيئاً من هذه المصطلحات :

فأعرابى لا يهمز إسرائيل : لأنه ليس رجل سوء ! !

وذكر ابن جنى حيرة أستاذه الفارسى فى « مدّوى » ، فى قول يزيد ابن الحكم بن أبى العاصى الثقفى :

بَدَا مِنْكَ غِشٌ طَالَمَا قَدْ كَتَمْتَهُ كَمَا كَتَمَتْ دَاءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدَّوِّى(٤)

(١) أمالى القالى ١/٩٦ ، ٩٧ والخصائص ٣/٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وفقه اللغة للسمرائى ١٧١
(٢) شرح أشعار الهذليين ١/١٥٤
(٣) السابق ١/٢٠٧
(٤) المنصف لابن جنى شرح تصريف المازنى ٧٦

فمدّوى مفتعل من الدوّ ، والأصل مدتو ، فأجاز أبو على فى مدتو ثلاثة أوجه :

١ ـ أن يكون من قول المرأة التى قال لها ابنها : أؤدوّى ؟ أى آكل الدّواية ؟ (وهو ما خسر من الدسم على اللبن) ، فقالت مجيبة . (لأن هذا أمر خسيس أمام أم الجارية المخطوبة له) : اللجام معلق بعمود البيت ، والسرج بجانبه ، موهمة أم الجارية أنه يريد : أؤدوى : أأخرج إلى الدوّ ؟ وهو الفلاة ليروض فرسه .

٢ ـ أو يكون من أدوأت يا فلان ، مما حكاه أبو زيد من قولهم : داء الرجل يداء من الداء ، فهى مفتعلا منه للحاجة إلى القافية ، فقلب الهمزة ياء للضرورة .

٣ ـ وأجاز فيه أيضاً ، مما حكاه أبو زيد من قولهم : « رجل دوى ورجلان دويان ، ورجال أدواء ، وهو بمعنى السقيم . قال أبو على: ويكون بناؤه مفتعلا منه . .

وابن جنى يرى ألف « مها » واواً لأنه فى الأصل من البلّور ، ثم شبه النجوم بها ، وبقر الوحش لبياضها . وقد قالوا : موّه علىّ ، وكسروا أمواه .

وحكى أبو زيد : ماهت تميه ميهاً ، وظاهر هذا : أنه من الياء لا من الواو[1] . وهذا يفسر لنا حيرة اللغويين ، إزاء بعض ما قاله صاحب اللغة وصانعها ، وكيف ننكر عليه أنه أتى بالمشترك واستعمله ؟ !

ونقف قليلا مع لفظى : « صلى » و « وجد » ، لنجد إلى أى مدى اختلف العلماء فى اشتقاقهما وتصريفهما . . وسنخرج بنتيجة أكيدة وهى

(١) المخصص ١٥/١٣٢ — ١٣٤

أن ما سمى بالقواعد ما هى إلا ضوابط غالبية لما شاع أو كثر . . وأن اختلاف التصاريف لا يخرج بعض الألفاظ المشتركة عن أن تكون من قبيل المشترك اللفظى .

وبهذا أيضاً نرد على ابن درستويه فى أن تفريقه بين فعل وأفعل فى كتابه : « فعلت وأفعلت » لم يكن من باب التقعيد الدقيق كشأن القواعد، وإنما بنى على الغالب .

* * *

● **وقفة مع لفظ « صلى، وصلاة » :**

اختلف العلماء فى الأصل الذى اشتقت منه لفظة صلى والصلاة . واختلفوا فى تصريفها ، كما اختلفوا فى معناها بعد اختلافهم فى مبناها :

فقيل : إنها أخذت من « الصلاة » ، وهو ما انحدر من الوركين ، أو هو وسط الظهر ، أو الفرجة بين الجاعرة والذنب ، أو ما عن يمين الذنب وشماله من كل ذى أربع ، أو موصل الفخذين من الإنسان .

وأبو على الفارسى يرى أن الصلاة من الصلوين ، وهما مكتنفا ذنب الفرس وغيره ، وعلل اشتقاقه منه ؛ بأن تحريك الصلوين هما أول ما يظهر من أفعال المصلى فى الصلاة ، وأما الاستفتاح والقراءة وغيرها : فأمر لا يظهر ، وما ظهر منه لا يختص بالصلاة ، ولكن الركوع أو ما يظهر من أفعال المصلى ، هكذا نقله عنه ابن جنى فى « المحتسب » .

وصلى الفرس تصلية : تلى السابق ، وفى الصحاح : إذا جاء مصلياً ؛ لأن رأسه عند صلا السابق . وفى الصحاح أيضاً : صلت الفرس وأصلت : استرخى صلواها لقرب نتاجها . ومن هذا : صلى الحمار أتنه تصلية : إذا طردها وقحمها عن الطريق .

وقيل : بل الصلاة وصلى ، من اللزوم : صلى واصطلى : إذا لزم . وهي من أعظم الفرض الذي أمر بلزومه ، واختاره الزجاج .

ويقول ابن فارس : إنها من صليت العود بالنار ، إذا لينته ؛ لأن المصلي يلين بالخشوع .

وذكر الراغب في مفرداته : أنها من الصلي الذي هو الإحراق بالنار ، ومعنى صلى الرجل : أزال عن نفسه ـ بهذه العبادة ـ الصلي ، الذي هو نار الله الموقدة ، وبناء صلى إذاً كبناء مرض وقرد ؛ لإزالة المرض والقراد .

والجوهري يرى أن الدعاء أصل معانيها .

وابن الأثير في « النهاية » يرى أنها من التعظيم ؛ لما فيها من تعظيم الرب عز وجل .

وابن الأعرابي يراها من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ودعاء .

والأصوليون والفقهاء أجملوا ، وأضافوا المحترزات والقيود ، حتى يكون تعريفهم للصلاة جامعاً مانعاً : إذ عرفوها بأنها عبادة مخصوصة فيها ركوع وسجود ... إلخ .

وقيل : الصلاة لغة : مشتركة بين الدعاء والتعظيم والرحمة والبركة ؛ فلا يكون قوله : ﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[1] .. مشتركا بين معنيين ، بل هو مفرد في معنى واحد ، وهو لغة من إطلاق اسم الجزء على الكل ، وكذا الصلاة مجازاً .

وقيل : بل هي حقيقة شرعية لا دلالة لكلام العرب عليها من حيث اشتمالها على الدعاء الذي هو أصل معناها .

والراغب يقول : لم تنفك شريعة عنها ، وإن اختلفت صورها بحسب شرع فشرع .

---

(١) الأحزاب : ٥٦

ويرى الشهاب أن الصلاة الشرعية حقيقة معروفة للعرب .

والسيوطى فى المزهر يقول : هى من الـكلمات الإسلامية .

هذا بعض ما ذكر لا كل ولا جل ما ذكر . ومن الطريف أن فى كل ما ذكر وبعضه نظر لبعض العلماء واعتراضات ، لا وجه لذكرها هنا .

وذكر الفخر الرازى الخلاف فى وجه تسميتها على أقوال ، واختار أن الأقرب أنها مأخوذة من الدعاء ، إذ لا صلاة إلا وفيها دعاء أو ما يجرى مجراه .

وبعضهم يرى أنها سميت ببعض أجزائها . ويبرز سؤال :

وهل سبيل ذلك النقل ، حتى تـكون الصلاة حقيقية شرعية فى هـذه الأفعال ، مجازاً لغوياً فى الدعاء ؟ لأن النقل فى اللغات كالنسخ فى الأحكام؟

أو يقال : استعمال اللفظ فى المنقول إليه مجاز راجح ، وفى المنقول حقيقة مرجوحة فيه . خلاف بين أهل الأصول .

ونقل المناوى عن الرازى : أنها عند المعتزلة من الأسماء الشرعية ، وعند غيرهم من المجازات المشهورة لغة ، من اطلاق إسم الجزء على الـكل ، لاشتمالها عليه ـ الدعاء ـ فأطلق الدعاء عليها مجازاً . وإن أراد المعتزلة هذا المعنى فقولهم حق ، وإن أرادوا أن الشرع ارتجلها فذلك ينافيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا ﴾(١) .

والصلاة : واحد الصلوات المفروضة ، وهو اسم وضع موضع المصدر . وصلى صلاة ، ويجوز تصلية ، وإن أنـكره بعضهم ، بل كفر من يراه ، ولا حق له ، لأن القياس يجيزه ؟ كزكى تزكية ، وروى تروية ، ويؤيده : السماع من فصيح الشعر القديم كما سيأتى .

---

(١) يوسف : ٢

والصلاة ووابة لقولهم : صلوين ، وصلوات . وقيل : هى يائية على رأى ابن فارس والزجاج ، والراغب[١] .

وقال بعض المفسرين : (الـكنيسة بالعبرانية) يقال لها : « صلوثا » ، فعربتها العرب فقالت : صلاة[٢] .

* * *

● **وقفة مع لفظ « وجد » :**

ترنم الشعراء بالوجد والهيام ، وزفر المحزونون بالوجد والأسى ، وهامت الصوفية فى الوجد والوجود ، وغرق طلاب الدنيا فى الجدة والوجدان ، وندم الواجدون بعد الغضب والانتقام ، ونعم المنشدون بوجد المفقود والضـال ، ووجد العلماء الله تعالى أكبر كل شىء ، وعنيد قدم عملا ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾[٣] ...

وشق اللغويون والنحاة بوجد ، ويجد ، والوجد والوجود ، وما يشتق منه ؛ وجدنا من معاركهم العجب والحـكاية :

فقد حفلت أمهات الـكتب القـديمة اللغوية ، كالعين ومختصره ، والصحاح وغـيره . . . وكتب من جاءوا بعدهم كالتهذيب والقاموس ، والأساس واللسان . . .

وكتب المتأخرين كتاج العروس وما داناه . . . حفلت بالبحث والتنقيب عن الأفصح والفصيح واللغة واللغيات ، والحسن وغيره من الوجوه فى معنى وتصريف « وجد ».

---

(١) راجع فى هذا المقام : (صلى) فى صحاح الجوهرى ، والقاموس ، وتاج العروس والمفردات للراغب ، والأساس للزمخشرى ٢٥٨ ، وتفسير الرازى ط ٣/ ٤٤ والمزهر للسيوطى ١/ ٣٨٤، وشرح الحماسة للمرزوقى ١/ ١٠٣ ، والنهاية لابن الأثير ٣/ ٥٠ (صلا) .

(٢) أضداد أنبارى ٣٣٩ ، والمدهش ١٦

(٣) النور : ٣٩

كما تناولها بالبحث الأئمة الأعلام : كسيبويه فى (كتابه) ، وأبى عبيدة فى (مصنفه) ، والفراء فى (حكاياته) ، وأبى العباس فى (مجالسه) ، والهجرى فى (نقلياته) ، واللحيانى فى (نوادره) ، واللخمى فى شرحه (للفصيح) ، واليزيدى وابن الأعرابى فى (نوادرهما)، والراغب فى(مفرداته)، وابن سيده فى (محكمه) ، والأزهرى فى (تهذيبه) ، وابن القطاع فى (أفعاله وأبنيته) ، والجلال فى (همع الهوامع) ، والزمخشرى فى (كلامه وأساسه) ، ومجد الدين فى (قاموسه) ، والجوهرى فى (صحاحه) ، والصاغانى فى (تكملته) ، على أن الزمخشرى ، والقزاز وغيرهما حكوا عن الفراء معنى « وجد » وما يشتق منه ، وما ينبثق عن ذلك الاشتقاق من المعانى .

ودخل لفظ « وجد » دنيا النحاة واللغويين الواسعة ، وتفريعاتهم العديدة ، وتخريجاتهم القريبة والبعيدة ، وتقديراتهم الممكنة والمستحيلة .

وهل يتعدى لفظ « وجد » إلى مفعولين إذا كان بمعنى العلم، أو لمفعول واحد إذا كان بمعنى أصاب ؟ أو يلزم حده ـ فلا يتعدى ـ إذا كان بمعنى الاستغناء ، والحزن ، والغضب ... ؟

وهل « وجد » فى ماضيها ، كوعد ؟ أو كورم ؟

وهل مضارعها : يجد بكسر العين ، أو بضمها ؟

وهل مصدرها : الوجد بتثليث الفاء ؟ أوجدة ؟ أو وجدانا ، أو وجودا؟ أو موجدة ؟

ومتى يجوز كل ذلك ؟ أو بمعنى ذلك ؟

وما هى المعانى التى تنبثق عن معنى « وجد » ؟ ...

خلاف طويل ، وجدل عريض ، ومحصول وفير ، يشهد للغتنا العربية بالطواعية والمرونة ، والغنى والوفاء .

ولما حدث حول « وجد » من خلاف ، وقام من جدال ، ونشب من صراع : هل هي من المشترك أم لا ؟ وهل يحكم ذلك اختلاف الاشتقاق ، أو أن ذلك عام في لفظ « وجد » . ندع شيخ المتأخرين — صاحب تاج العروس — يعطينا زبدة البحث ، وخلاصة الآراء ، فيما حكاه من آراء السابقين المحققين .

فلنستمع إليه رحمه الله يحدثنا عن « وجد » :

قال الفيروزآبادى نقلاً عن شرح الفصيح لابن هشام اللخمى : « وجد » له خمسة معان ، هى[1] :

١ — العلم ، وهو متعد إلى مفعولين ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾[2] .

٢ — والإصابة ، وهو متعد إلى واحد ، كقول الله تعالى : ﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ، وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً ﴾[3] .

٣ — والغضب ، وهو متعد بحرف الجر ، كقولك : وجدت على الرجل إذا غضبت عليه .

٤ — والإيسار ، وهو الاستغناء ، كقولك : وجدت المال .

٥ — والاهتمام ، وهو الحزن والاغتمام . وهو فى هذا الوجه ، وما قبله لا يتعدى .

٦ — والوجد ، من المحبة ، استدركه مجد الدين ، كما استدركه الفهرى وغيره ، على أبى العباس فى شرح الفصيح ...

---

(١) راجع تاج العروس ٢/٥٢٢ — ٥٢٥ ، ومصائر ذوى التمييز ، والقاموس ، واللسان (وجد) . وشرح ديوان ابن أبى حصينة لأبى العلاء المعرى ١٧١

(٢) الضحى : ٧ ، ٨ (٣) الكهف : ٥٣

وقال الجلال فى همع الهوامع :

١ - « وجد » بمعنى علم ، يتعدى لمفعولين ، ومصدره : وجدان ، عن الأخفش ، ووجود ، عن السيرافى . (فلم يتفقا إذن على المصدر) .

٢ - ومعنى أصاب ، يتعدى لواحد ، ومصدره : وجدان .

٣ - وبمعنى استغنى ، أو حزن ، أو غضب : لازمة . ومصدر الأول : الوجد ، مثلثة . والثانى : الوجد بالفتح . والثالث : الموجدة .

وأخصر من هذا - عند صاحب تاج العروس - قول ابن القطاع فى « الأفعال » : « وجدت الشيء ، وجداناً بعد ذهابه ، وفى الغنى بعد الفقر جدة ، وفى الغضب موجدة ، وفى الحزن ، وجداً » .

وتصنيفاً لأنواع الوجود، وقريباً من التقسيمات الفلسفية ، وتبيانا للفروق الدقيقة بين معانى (وجد) ، ماذكره المصنف فى « البصائر » نقلا عن أبى القاسم الأصبهانى عن ضروب الوجود .

١ - وجود بإحدى الحواس الخمس ، نحو وجدت زيداً ، والطعم ، والرائحة ، والخشونة .

٢ - ووجود بقوة الشهوة ، نحو : وجدت الشبع .

٣ - ووجود أمده الغضب ، نحو : كوجود الحرب والسخط .

٤ - ووجود بالعقل أو بواسطته ، كمعرفة الله تعالى ، والنبوات .

٥ - ووجود بمعنى العلم المجرد ، وذلك فيما نسب إلى الله تعالى من الوجود ، إذ هو سبحانه منزه عن الوصف بالجوارح ، قال تعالى : ﴿ وماوَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِنْ عَهْدٍ ، وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾[1] .

---

(١) الأعراف : ١٠٢

٦ ـ وكذلك المعدوم يقال على ضد هذه الأشياء ، كما يعبر عن التمكن من الشيء بالوجود: ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾[١]،أى حيث رأيتموهم ، ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم ﴾[٢] ، ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾[٣] .

﴿ ووجد الله عنده فوفاه حسابه ﴾[٤] . وقوله تعالى: ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً ﴾[٥] . أى لم تقدروا .

وعن استعمالات (وجد) يقول (فى إيجاز) :

١ وجد المطلوب والشيء :

كوعد ، وهذه هى المشهورة ، والمتفق عليها .

ووجد ، كورم ، غير مشهورة ، ولا تعرف فى الدواوين ، على أن المصنف ذكرها فى « بصائر ذوى التمييز » ، فقال : ووجد ، بالكسر لغة ، وكذلك قال الصاغانى فى التكملة .

ووجد الضالة ، مضارعه (يجد) على القياس ، وهى لغة جميع العرب . وأيضاً مضارعه يجد ، بضم الجيم لغة بنى عامر بن صعصعة ، ولا نظير لها فى باب المثال ، كذا فى ديوان الأدب وغيره . وحذف الياء فيها ؛ لأن الضم عارض فلا يعتد به .

والمصدر : وجداً ، وجدة ، ووجداً ، ووجوداً ، ووجداناً ، واجداناً ، والأخيرة عن ابن الأعرابى .

(وبهذى كل هذه المصادر لمتكوى المشترك اللفظى من هذا الجانب الاشتقاقى) .

---

(١) التوبة : ٥ (٢) النمل : ٢٣ (٣) النمل : ٢٤
(٤) النور : ٣٩ (٥) المائدة : ٦

وذكر ابن القطاع فى كتاب الأبنية ، أيضاً : يجده ، بالضم ، وذكر أنها عامرية ، ولا نظير لها . قال لبيد (وهو عامرى) — وقيل : البيت لجرير ، وليس للبيد :

لو شِئْتَ قَدْ نَقَعَ الْفُؤَادَ بِشَرْبَةٍ   تَدَعُ الصَّوَادِيَ لَا يَجُدْنَ غَلِيلا

وذكر سيبويه : أن ناساً من العرب يقلن : يجـد (بالضم) ، وهذا لا يكاد يوجد فى الـكلام . وابن عويس ذكر أن هذه لغة بنى عامر ، والبيت للبيد .

وجزم شراح كتاب سيبويه ، بأن الـكسر لغة فى وجد بجميع معانيه ، وجعلها عامة ، وقال مجد الدين هو الصواب ، ويقرب هذا أن بيت لبيد ، ليست وجد فيه بمعنى وجد الشىء فقط ، وإنما هو من الوجدان أو الإصابة كما ذكر بعضهم . وفى الحديث : « أيها الناشد غيرك الواجد » من وجد الضاله يجدها .

بل قال بعضهم : إن لغة بنى عامر هذه ضم العين فى جميع الأفعال المضارعة ، ولـكن الأكثرية ومنهم أبو عبيد فى الغريب المصنف ، خصوا الـكسر بلفظة « وجد » فقط .

وفى مفردات الراغب : وجد الله : علم ، حيثما وقع فى القرآن ، ووافقه الزمخشرى وغيره .

٢ — و « وجد » المال وغيره : يجده وجداً مثلثة ، وجدة كعدة : استغنى ، كذا فى المحكم . وزاد عليه التهذيب : وجداناً : أى صرت ذا مال . ومثل ذلك فى نوادر اللحيانى ، وزاد اليزيدى فى نوادره وجوداً . وأبو العباس المعصر فى الفصيح على قوله : وجدت المال وجداً بالضم وجدة ، وقال

شراحه : معناه : استغنيت وكسبت . وزاد فى اللسان : وجدانًا . . . والله الواجد : أى الغنى الذى لا يفتقر . وفى الحديث : « الواجد يحل عقوبته وعرضه » . أى القادر على أداء دينه ، ولا يؤدى .

٣ – و « وجد » عليه فى (الغضب) ، يجِد ، ويجُد بالوجهين ، قاله ابن سيده ، واقتصر فى الفصيح على الأول . والمصدر : وجداً ، وجدة كعدة ، وموجدة ، وعلى (موجدة) اقتصر ثعلب . وزاد اللحيانى وجدانًا فى النوادر . كل ذلك بمعنى : غضب ، والغضب .

وقد تكرر ذكر « وجد » فى الحديث بمعنى الغضب : اسماً ، وفعلا ، ومصدراً : وفى حديث الإيمان : « إنى سائلك فلا تجد على » . أى لا تغضب من سؤالى . ومنه الحديث : « لم يجد الصائم على المفطر » . وأنشد اللحيانى قول صخر الغى ، فى الغضب :

كِلاَنَا رَدَّ صَاحِبَهُ بِيأْسٍ ... وَتَأْنِيبٍ وَوِجْدَانٍ شَدِيدِ

لأن صخراً أيأس الحمامة من ولدها فغضبت عليه ، وهى أيأسته من ولده فغضب عليها .

وقال بعضهم فى شرح الفصيح : وجدت على الرجل موجدة ، وأنا واجد عليه .

وحكى بعضهم عن الفراء : وجِد ، بكسر الجيم ، والأكثر فتحها إذا غضب .

وحكى الزمخشرى أيضاً : موجدة ، عن الفراء .

وقال أبو عبيدة فى الغريب المصنف : يقال : وجد يجد من الموجدة والوجدان جميعاً .

وحكى مثل ذلك أيضاً القزاز عن الفراء ، وأنشد بيت صخر ، والسيرافى يقول : إنه روى بالكسر قال : وهو القياس : لأنه إذا انضم الجيم وجب رد الواو ، كقولهم : وجه يوجه من الوجاهة ونحوه .

٤ ـ و « وجد » به وجدا ، بفتح فسكون فى (الحب) فقط . وأنه ليجد بفلانة وجداً شديداً : يهواها .

وقال أبو صرد ، فى حديث وفد هوازن : ما بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، أى أنه لا يحبها .

وقالت شاعرة تزوجها رجل من غير بلدها فعنن عنها :

وَمَنْ يُهْدِ لِى مِنْ مَاءِ بَقْعَاءَ شَرْبَةً ... فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءِ لِينَةَ أَرْبَعا
لَقَدْ زَادَنِى وَجْداً بِبَقْعَاءَ أَنَّنَا ... وَجَدْنَا مَطَايَانَا بلينَةَ ظُلَّمَا
فَمَنْ مبلغ تِرْبِى بِالرَّمْلِ أَنَّنِى ... بَكَيتُ فَلَمْ أَترِكْ لِعَيْنَى مَدْمَعَا

فماء نقعاء على مرارته أعذب من ماء لينة العذب ... وهذه الأبيات ابن سيده على أبى العلاء صاعد بن الحسن فى كتاب : (الفصوص) .

وقالوا : إن الوجد فى الحزن مثل الوجد فى الحب ، أى ليس له إلا مصدر واحد ، وهو (الوجد) ، وإنما يخالفه فى فعله : ففعل الحب مفتوح : وجَد ، وفعل الحزن مكسور : وجِد .

ورد هذا القول : بأن ما فى الأمهات القديمة كالصحاح ، والعين ، ومختصر العين : اقتصروا فيه على الفتح فقط . والمصنف يقول : هو بالكسر فقط ، وهذا غريب :

لأن الذين ذكروا الكسر ذكروه مع الفتح الذى وقعت عليه كلمة الجماهير .

نعم حكى فيه اللحياني : الكسر والضم في كتابه النوادر ، فظن ابن سيده أن الفتح الذي هو اللغة المشهورة غير مسموع فيه ، فاقتصر في المحكم على ذكر الكسر والضم فقط ، وهو وهم .

ويذكر صاحب التاج : أن الذي في اللسان : وجد الرجل في الحزن وجداً ووجد ـ كلاهما عن اللحياني ـ : (حزن) فهو مخالف لما نقله شيخنا عن اللحياني من الكسر والضم ، فليتأمل .

(فابن سيده أسقط اللغة المشهورة ، والمصنف خالف ابن سيده في هذه المادة ، وهو مقتداه ، فاقتصر على الكسر ، كأنه مراعاة لرديفه الذي هو حزن ، فهذا قصور وإخلال) .

وحكى الهجري الكسر ، وأنشد :

فوا كبدي مما وجدت من الأسى لدى رمسه بين القطيل المشذب

فتحصل لنا إذن : أن (وجد) بمعنى (حزن) ، فيه ثلاث لغات :

(ا) الفتح الذي عليه الجمهور ، وهو المشهور .

(ب) والكسر الذي اقتصر عليه المصنف والهجري وغيرها .

(ج) والضم الذي حكاه اللحياني في نوادره ، ونقلهما ابن سيده في المحكم ، مقتصراً عليهما .

٥ — و (الوجد) الغنى : ويثلث . وفي المحكم : اليسار والسعة : وقد قرىء بالثلاث في قوله عز وجل : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُم مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾[1] . أي من سعيكم ومامل‍كتم . وقال بعضهم : من مساكنكم . وقال ابن خالويه : والضم أفصح ، ومعناه : من طاقتكم ووسعكم . انتهى

(١) الطلاق ٦

ما أوجزناه من « تاج العروس »[١] .

وذكر أبو مسحل الأعرابى فى نوادره : « ويقال من الجدة فى المال : الوَجد ، و الوِجد ، والوُجد »[٢] .

* * *

● **وتحصل اذن من ذلك :**

١ ــ أن وجد كرعد ، أو ورم ، ولها من يؤيدها .

٢ ــ والمضارع فى يجد بكسر العين ، وفيها الضم ، لغة بنى عامر ، وقيل عامة عندهم .

٣ ــ وشراح كتاب سيبويه يقولون : الكسر لغة فى وجد بجميع معانيها .

٤ ــ وفى الغضب ، جاء المضارع بالضم وبالكسر .

٥ ــ وابن القطاع ذكر يجد ، بالضم ، وعلق عليه سيبويه بأنه لا يكاد يوجد فى الكلام .

٦ ــ وتنوعت المصادر بحسب كل معنى ، ولم نجد لها ثباتاً ، بل ذهبت هنا وهناك . ووجدنا الجواز لأكثر من رأى :

٧ ــ فالوجد فى الحزن يثلث (بالفتح والضم والكسر) .

٨ ــ ومثله : الوجد فى الغنى ... إلخ الآراء والاستنتاجات .

وكل له ما يبرره ، وله شاهده . وكله محكى عن أئمة .

* * *

---

(١) يراجع تاج العروس ٢/٥٢٢ — ٥٢٥ .

(٢) نوادر أبى مسحل الأعرابى ١٩٧ .

علماء أمناء ولغة واسعة

وعلماؤنا الأجلاء المرابطون فى سبيل العلم ابتغاء وجه الله ، لا يجوز أن نرميهم بالكذب كما رماهم بعض الكتاب ؛ لأنهم ما عرفوا أن « الديلم » من أعداء العرب ، أو حياض بالغور ، وأن « مالك » من ملك أو من مألك ، وأن « الدرّ » من الماء العذب أو الملح ، وأن « اليرندج » جلد مصبوغ ، أو نسيج ينسج[1] ، كما ذكر المعيبون ... وذلك لأن من الكلام ما عرف معناه سماعاً ، مثـل : « بعين ما أرينك »[2] ، وفيها وأشياء ما عرفتها العلماء .. فكانوا يعتمدون على النص الفصيح ، ومراعاة الجوار والسياق .

ويروى بالسند أن الحجاج (الفصيح) لقى أعراباً قد انحدروا للميرة ، فقال : كيف تركتم السماء وراءكم ؟ فقال متكلمهم :

« أصابتنا سماء بالمثل (موضع بنجد) ، مثل القوائم (جبال لهذيل) ، حيث انقطع الرمث (نبات مهلى) ، بضرب فيه تفتير (الضرب : مطر فوق الديمة ، وهى مطر يدوم مع سكون) وهو على ذلك يمضد (بلغ ثراه العضد) ويرسّغ (يبلغ ماؤه الرسغ لمن حاول سبر غوره) ... » .

فأقبل الحجاج على زياد بن عمرو العتكىّ ـ وكان معه ـ فقال : مايقول هذا الأعرابى ؟ قال : وما أنا وما يقول ! ! إنما أنا صاحب رمح وسيف »[3] .

وللفظة أحياناً معنيان تستعمل فيهما ، وشتان ما بينهما : « فالصيد (بكسر

---

(١) ضحى الإسلام ١ / ١٩٨ — ٣٠٢ (٢) مجمع الأمثال للميدانى ١ / ١٦٨
(٣) مجالس ثعلب ١ / ٢٨٦

الصاد) المتكبر : ملك أصيد : أى متكبر لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، والخليل يقول : إنه ذباب يقلق البعير إذا دخل أذنه (وتأمل النقلة والفرق) . أو الأصيد « الذى لا يستطيع الالتفات من دائه » . وبيت جواس الكلبى (إسلامى) يحتمل كل ذلك حين يهجو :

أَأُمّى ربّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةٍ   صِيدُ الْكُمَاةِ عليكُمُ دَعْوَاها[1]

ويفرض المقام المعنى أحياناً ، ويميزه عن غيره الجائز مثل (هجّداً) بمعنى ساهرين ، فى قول عمرو بن سالم الخزاعى ، يخاطب الرسول ﷺ :

* هُمْ بَيَّتُونَا بِالوَتِيرِ هُجَّدَا[2] *

وقد يباعد الاستعمال ما بين المعانى وإن لمح الأصل : فالعلام العاشق ، والعلاّم بالتشديد : الحناء ، (وإن حكاها جميعاً كراع بالتخفيف) . وأما قول زهير :

حَتَّى إِذَا مَا رَوَتْ كَفُّ الْعُلَامِ لَهَا   طَارَتْ وَفِى كَفِّهَا مِنْ رِيشِهِ بَتَكُ

فقد روى ابن جنى عن أربعة من كبار علماء اللغة بأن العلام ها هنا الصقر ، وهذا من طريف الرواية وغريب اللغة[3] .

فقد جوّز الاستعمال الوجوه كما رأينا ، ولا مرجح ، فالاحتمال راجح ، والاشتراك أرجح .

وأهل اللغة أمناء : لا يفتون بهواهم ـ كما يرميهم خصومهم ـ : فحمد بن حبيب يسأل أستاذه ابن الأعرابى عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح ، فيجيب فيها كلها : لا أدرى .

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقى ٣/١٤٩٧   (٢) تاج العروس ٣/٥٩٢

(٣) المحكم لابن سيده ٦/١٢٧

وأحمد بن أبى دؤاد يسأل ابن الأعرابى ـ أيضاً ـ عن استوى بمعنى استولى ؟ فيقول : لا أعرفه . وثار على رجل حكى عن العرب أن استوى بمعنى استولى ، لأنه لا مضاد لله تعالى فى ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(١) فمن يغلب يستولى ، كما فى بيت النابغة :

أَلاَ لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ   سَبْقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الأَمَدِ(٢)

فإذا لم يسعف الاستعمال والتثبت للمعنى ، فهم يلوذون ، « بلا أدرى » . كأمانة العلماء !

وقد تضل بعض المعانى والألفاظ فى الصحراء ، فتند عن الفهم ، أو تختلف الفهوم فيها ، حتى تفد ، أو ينطق بها ـ فى كلمة تفسرها ـ أعرابى من آلها :

فقد فهم ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فطر بمعنى بدأ ، وكان لا يدرى ﴿فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٣) حتى تخاصم أعرابيان فى بئر ، فقال أحدهما : (بئرى أنا فطرتها) أى ابتدأتها(٤) .

ويروى عنه أيضاً أنه ما فهم : افتح بمعنى احكم واقض ، فى قوله تعالى ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾(٥) حتى سمع بنت ذى يزن تقول لزوجها : (تعال أفاتحك)(٦) تريد أخاصمك . وابن قتيبة يقول : يقال للحاكم : الفتاح(٧) . وقيل : ذلك بلغة اليمن .

وقد يلتمس المعنى فى دروب الاشتقاقات أو من محاولة الاستنباط والفهم ، ولكل أدلة ووجهة :

قال قطرب : عنترة يكون مشتقاً من العنتر وهو الذباب . وقد يجوز أن

---

(١) طه : ٥ (٢) كتاب البئر لابن الأعرابى ١٩ ، ومعجم الأدباء ١٨/١٩٥
(٣) الانعام : ١٤ (٤) البئر لابن الأعرابى ٥٥ ، والاتقان ١/١١٣
(٥) الاعراف : ٨٩ (٦) الاتقان ١/١١٣
(٧) تفسير غريب القرآن ١٧٠

يكون من العتيرة ، وهى التى تنحر للآلهة أول ما تنتج ، يقال : عتر الرجل يعتر : فعلى ذلك قال زهير :

فَزَلَّ عَنْهَا وَأَوْفَى رَأْسَ مَرْقَبَةٍ　　كَنَاصِبِ العتر دَمَّى رَأْسَهُ النُّسُكُ

وفى الحديث : « لا فرعة ولا عتيرة » : (الفرعة) كانت تذبح فى رجب للأصنام .

وقال قطرب : أو من المعتر وهو الذكر . أو من المعترة وهى شجرة صغيرة بنجد وتهامة كثيرة اللبن[١] .

والقبائل العربية قد يتنوع الاستعمال لديها : فتستعمل هذه لفظة لشىء ، والأخرى تجعلها لشىء آخر (وهذا من طرق المشترك اللفظى) : فالجحش ولد الحمار كما فى الجمهرة ، وهذيل تجعله لولد الظبية[٢] .

وتحتمل اللفظة فى المكان الواحد أكثر من معنى ، والإعراب هو الفارق ، يقول النابغة :

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَّابٍ فَبَاتَ لَهُ　　طَوْعَ الشَّوامِتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدِ

فإن رفعت طوع فالشوامت جمع شامت من الشماته ، وإن نصبت فالشوامت هى القوائم[٣] . على أن لفظ الشوامت يصلح للاثنين .

والسليط الزيت عند عامة العرب ، ودهن السمسم خاصة عند أهل اليمن ، وله شواهده الوفيرة عند الزبيدى . والسليط : الفصيح الحديد اللسان ، قال ابن دريد : وهو مدح للذكر والأنثى[٤] .

ومن مراعاة القاسم المشترك بين المعانى يأتى بالمشترك : جاء فى الجمهرة :

---

(١) شرح الجاهليات ٢٩٤
(٢) شرح ديوان ابن أبى حصينة للمعرى ٦٨
(٣) السابق ١٤٦
(٤) تاج العروس ٥/١٥٨

قال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم : ما الوغد ؟ قالت : الضعيف . فقلت : إنك قلت مرة : إنه العبد . فقالت : ومن أوغد منه ؟ ! [١] .

وقد وردت نوادر وشوارد وغرائب من الألفاظ ، لعلها بقية كلام لم يصلنا ، أو ضاعت وشائجه فى الصحراء ، مثـل : العيقة : ساحل البحر . والحرش : الأثر ، وآض : صار .

ومن الغرائب : الخازباز : السنّور عن ابن الأعرابى ، قال : وهو من أغرب الأشياء ، والمشهور أنه اسم للذباب ، وداء يأخذ الإبل فى حلوقها ، ونبت ربى . وأبوال البغال يقول : هى السراب ، وهو حرف غريب حدثناه أبو عمر الزاهد[٢] .

وقد يكون اللفظ مغرقاً فى الإبهـام فيصلح لأكثر من معنى بطبيعته مثل : « الحين » : وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طالت أو كثرت : فهو سنة أو دهر ، أو ستة أشهر ، أو شهرين ، أو كل صباح ومساء ، أو المدة كقوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[٣] ، حتى تنقضى المدة التى أمهلوها ، ﴿ وَلَاتَ حِينَ ﴾[٤] و ﴿حين تُمْسُون وحين تُصبِحُون ﴾[٥] ، أى ساعة[٦] .

والعصبة من الرجال عشرة لا يقال لأقل من ذلك . وإخوة يوسف عليه السلام كانوا عشرة قالوا : ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾[٧] . ويقال : هو ما بين العشرة إلى الأربعين وقوله تعالى : ﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾[٨] وقالوا : أربعون . ويقال : عشرة . وأما فى كلام العرب : فـكل رجال أو خيل إذا ساروا قطعة فهم عصبة ، وكذلك العصابة من الناس أو الطير قال النابغة :

إذا ما التقى الجمعان حلق فوقهم ... عصائب قوم تهتدى بعصائب[٩]

---

(١) المزهر ١٣٩/١ (٢) المزهر ٢٣٦/١ — ٢٣٩ (٣) يوسف : ٣٥
(٤) سورة ص : ٣ (٥) الروم : ١٧ (٦) بصائر ذوى التمييز ٥١٠/٢
(٧) يوسف : ٨ (٨) القصص : ٧٦ (٩) العين للخليل ٣٦٤

وبعد :

فأمهات كتب الأدب واللغة التي وعت ، وفحول العلماء هي التي حكت ، والشواهد هي التي رجحت ، واستعمالات اللغة هي التي جوزت ، وطبيعة اللغة ومرونتها هي التي مررت ، وقبائل العرب هي التي وضعت واستعملت . واللغة للامتاع كما هي لغيره ، وللالغاز كما هي للجد والهزل ..

* * *

● والرأى فى المشترك :

الأكثرون من علماء اللغة قالوا : إن المشترك اللفظى واقع فى اللغة .

واعترف به ابن فارس ، ومثل له (بالعين) (وقضى)[1] ، كما ألف كتاباً فى الرد على منكرى الأضداد .

وأفرده بعضهم بتآليف مثل : الأصمعى ، والخليل ، وسيبويه ، وأبو عبيدة وغيرهم[2] .

ونبه ابن جنى ، على حروف وأسماء وأفعال لم يقتصر بها على معنى واحد ، لأنها كما عبر : «وقعت» مشتركة «وأنها : اتفق لفظها واختلف معناها»[3] .

وقول العلماء الكثيرين بأن المشترك أمر ممكن الوقوع شائع ومشهور .

و (لا معنى لانكار المشترك اللفظى مع ما روى لنا من الأساليب الصحيحة من أمثلة كثيرة لا يتطرق إليها الشك) ، كما يقول الدكتور أنيس[4] . وقد جاءت شواهد كفلق الصبح ، وله من الأسباب ما يدعو لوجوده فى اللغة ، من واضع أو أكثر ، فالقبائل عربية ، وهى صاحبة اللغة .

---

(١) الصاحبي ١٧١ (٢) راجع المزهر ١/٣٦٩ ، وتاج العروس ١/٨

(٣) الخصائص (باب الاحتياط) ٣/١١٠ (٤) اللهجات لأنيس ١٨٠

فالمشترك واقع ملموس ، وحقيقة لا خيال ، وكثير لا قليـــل : فإذا ما ذكرت المعانى العديدة للفظ الواحد نحمد الله على ذلك ..

يقول شيخ المفسرين الطبرى ، وهو يعلق على (الحفدة) فى قوله تعالى: ﴿ بنين وحفدة ﴾(١) الحفدة : الخدم والأعوان . وقيل بنو المرأة من غير زوجها وقيل : الأصهار . وأصل الحفدة : مداركة الخطو والإسراع فى المشى ، وإنما يفعل هذا الخدم . ويقال فى دعاء الوتر : (وإليك نسعى ونحفد) ، أى نسرع . ويعلق الطبرى بقوله : لم يدل الله بظاهر تنزيله ، ولا على لسان رسوله ، ولا بحجة عقل ، على أنه عنى بذلك نوعاً من الحفدة دون نوع ، وهذا من فضل الله علينا ومن نعمه : فالـكل داخل ، إذ له وجه فى الصحة ومخرج فى التأويل(٢) .

وفى أمالى المرتضى كلام نفيس منه : « وليس يجب أن يستبعد حمل الـكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الـكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الـكلام من وجوه المعانى ، فيجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفرداً ، وليس عليه العلم بمراده بعينه ، فإن مراده مغيب عنه ، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الـكلام »(٣) .

وقال ابن قتيبة : (السلطان) هو الملك والقهر ، فإذا لم يكن ملك ولا قهر فهو : بمعنى حجة وبرهان(٤) . واستشهد بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾(٦) .

---

(١) النحل : ٧٢

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، وتفسير الطبرى ١٤/ ٩٨

(٣) أمالى المرتضى ١/ ١٨ ، ١٩

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٤٧

(٥) هود : ٩٦

(٦) الطور : ٣٨

رأى علماء الأصول فى المشترك

عنى علماء أصل الفقه بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها عناية كبيرة ، وبدأت جل كتبهم ببحث المبادىء اللغوية ، فبحثوا فيها العام والخاص ، والحقيقة والمجاز ، والمشترك والمترادف ، وغير ذلك من الأبحاث اللغوية ، لأن استنباط الأحكام من النصوص منوط . ومحصوا ما بحثوه من أبحاث اللغة ، ونظموها ، وجادلوا فيها ، حتى وفوا المقام حقه ، لأن منطلق الأحكام الشرعية والاستنباطات الفقهية ، والخلافات المذهبية من منطلق لغوى .. فلا حق إذن لمن قال : إن اشتغال علماء الأصول باللغة من الفضول .

وقد بحث الأصوليون فى الدليل الشرعى من ناحيتين :

١ ـ دلالة اللفظ على المعنى ، أى كيفية فهم المعنى الذى احتواه اللفظ ، وهو النطق واللسان العربى ، ومرده إلى اللغة واللغويين .

٢ ـ ودلالة المعنى الذى احتواه اللفظ على القاعدة الشرعية ، وهذه الناحية زائدة على أصل الوضع اللغوى ، إذ تقرر بعضها اللغة ، ويؤصلها اللغويون ، ويقرر بعضها الآخر أهـــل الشرع ، فالصلة بين اللغويين والأصوليين وثيقة . ولعلماء الأصول حس لغوى ، يواكبه ضبط منطقى ، إذ أن ألفاظ اللغة منطلقهم لفهم كتاب الله واستنباط الأحكام الشرعية .

لنستمع إليهم يقولون فى مفتتح كتبهم عن المبادىء اللغوية :

إن اللفظ والمعنى إما أن يتحدا كلفظ : (الله) وهو المفرد .

أو يتكثرا وهى : المتباينة ، سواء تفاصلت معانيها كالسواد والبياض ، أو تواصلت ، مثل : السيف والصارم ، والناطق والفصيح .

أو يتكثر اللفظ ويتحد المعنى وهى المترادفة .

أو العكس: فإن وضع للكل فهو المشترك ، وإلا فإن نقل لعلاقة واشتهر فى الثانى سمى بالنسبة إلى الأول منقولاً عنه ، وإلى الثانى منقولا إليه ، وإلا فحقيقة ومجاز .

كما اعترفوا بالحقيقة اللغوية ، والحقيقة العرفية العامة : كالدابة ونحوها ، والعرفية : الخاصة كالقلب .

أما الحقيقة الشرعية : كالصلاة والزكاة والحج ، فقد اختلفوا فيها : فبعضهم منع مطلقًا ، وبعضهم ـ كالمعتزلة ـ أثبتها مطلقًا ، والمحققون على أنها مجازات لغوية اشتهرت لا موضوعات مبتدأة ، وإلا لم تكن عربية ، إذ لم يضعها واضع العرب بإزاء هذه المعانى . .

والذى جرهم إلى الخلاف حول الحقائق الشرعية: هو أن الشارع اخترع معان فلابد لها من ألفاظ . . فهل توضع لها ألفاظ ؟ وما محل هذا الوضع ؟ أم يكتفى بالنقل والتجوز ؟ على أن محققى الأصوليين ـ أيضًا ـ اتفقوا على أن النقل خلاف الأصل : أى إذا تردد اللفظ بين النقل وعدمه : ترجح العدم(١) .

ويفيد كل ذلك أن المشترك اللفظى واقع فى اللغة العربية وأن الاستعمال دليل الاشتراك ، وأن النقل لا يبطل ذلك .

والحق أن اشتغال الأصوليين باللغة ومباديها ليس من الفضول كما قال بعضهم ؛ فلقد رأوا أن الأحكام تنطلق من منطلق لغوى قبل كل شىء ، ورأوا معانى جدت فى الشرع ، ولابد لها من ألفاظ .

---

(١) راجع فى هذا المقام حاشية البنانى على شرح المحلى ، على متن جمع الجوامع ١/٢٦١ ، وشرح البذخشى على الأسنوى ١٨٧ ــ ٢٥٩ باختصار .

ومن الطريف أن الحريرى بنى المقامة الثانية والثلاثين - من مقاماته - على ذكر أسئلة فقهية وأجوبة عنها .

وفى (المزهر) فى فتيا فقيه العرب ، (والمثل السائر) ، لابن الأثير مثل ذلك فيها براعة لغوية وسداد فى الإجابة .

وأمثلة ذلك : قال : أيجوز أن يسجد الرجل فى العذرة ؟ قال : نعم ، وليجانب القذرة ، فالعذرة هنا : فناء الدار .

ومن هذا : « قال : أيجوز للمعذور أن يفطر رمضان ؟ قال : مارخص فيه إلا للصبيان » فالمعذور هنا: المختون، فجاء الجواب صحيحاً على هذا[1] .

وكقولهم : قال : فإن توضأ ثم أتكأه البرد ؟ قال : يجدد الوضوء من بعد : (والبرد هنا : النوم) ..

وقد تنبه الذين يكتبون المعاهدات والشروط أن يتجنبوا الالباس ، وأن ينصوا على (أن ليس لموقّع المعاهدة أو الشروط نية غير النية الظاهرة) .

ومن الطريف فى هذا أن سعيد بن العاص من أمراء بنى أمية صالح أهل حصن من حصون فارس على ألا يقتل رجلا واحداً منهم فقتلهم كلهم إلا رجلا واحداً ، نقل هذا صاحب العقد الفريد فى « المكيدة فى الحرب » فى كتاب السلطان[2] .

وللدكتور محمد فوزى فيض الله بحث قيم فى : « صلة علم الأصول باللغة » تحدث فيه عن : نشأة علم الأصول ، وأهميته ، ومنطلقه ، واتجاهاته ، وما تميز به بحث الأصوليين للغة ، ويمكن إيجازه فيما يلى[3] :

١ - بأن علم أصول الفقه من أقدم العلوم الإسلامية فى النشأة والأصالة .

---

(١) المزهر ١/٦٠٦ - ٦٣٧ (٢) مجلة مجمع اللغة (بالقاهرة) ١٢/١٦٧

(٣) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض - العدد الثانى ١٣٩٢ ص ٣٢ .

٢ ـ وأن كل مجتهد من الأئمة أرسى فقهه على قواعد الأصول ، وليس لدينا فقه معزول عن الأصول .

٣ ـ وأن من أقدم ما وصلنا في الأصول رسالة الإمام الشافعى رضى الله عنه .

٤ ـ وأن علم الأصول قام على نوعين من القواعد : لغوية وشرعية .

٥ ـ وأن مواقف الأصوليين من اللغة لم تخرج عن خمسة مواقف هى :

الأول: موقف الالتزام، وهو التسليم بالقاعدة اللغوية ، والتخريج عليها ، وعدم الخروج عليها إلا لضرورة أو صرف : ويتجلى هذا الموقف بالنسبة إلى حروف المعانى.

الثانى : موقف الاختزال : وهو اختصار مقاله اللغويين ، والتعلق بنتائجها دون التوسع فى التقسيم والتفريع : وتجلى هذا الموقف بالنسبة إلى علاقات المجاز ، التى ردوها إلى الاتصال الصورى أو المعنوى .

الثالث : موقف التكميل : بمعنى أن الأصوليين وقفوا على مقالة أهل اللغة ، ثم توسعوا فيها حتى استوت واستقمت . واندرج تحت هذا الموقف :

(ا) إضافة القيود على التعاريف ، كالعام والمطلق ، والمشترك ونحوها.

(ب) إضافة الشروط إلى التعاريف والقواعد ، كاشتراط الاستغراق فى العام ، وكشروط التأويل ، وشروط الاستثناء . .

(ج) وضع تقسيمات جديدة تشمل ما ذكره اللغويون ، كتقسيم المجمل باعتبار أسبابه ، وتقسيم الحكم بالنظر إلى موضوعاته ، وتقسيم مفهوم المخالفة باعتبار أنواعه .

(د) استدراك مباحث لم يتناولها اللغويون ، كحمل المطلق على المقيد ،

وحكم العام من حيث تناوله أفراده قطعاً أو ظناً ، وحكم العام إذا ورد عقب سبب خاص ...

الرابع : موقف الترجيح : وهو تأييد رأى فى العربية على آخر بالدليل ، عنداختلاف اللغويين أنفسهم فيه ، أو تقوية معنى لفظ على آخر إذا وردا فى اللغة نفسها . كالترجيح فى اللفظ المشترك ، وفى مسألة الاستثناء الوارد عقب جمل متعاطفة . .

الخامس : موقف الإنشاء : وقد أريد به أن الأصوليين كونوا أحياناً نظرية مستقلة قائمة بذاتها فى البيان العربى ، لها هيكلها ومخططها ، وتقسيماتها ، واصطلاحاتها ، وضوابطها ، وشروطها ، وقيودها ، وأمثلتها من النصوص القطعية ، وتطبيقاتها الفروعية العملية الشرعية ، على نطاق واسع . وقد تجلى هذا الموقف فى نظرية الدلالات ، التى انحصرت فى عبارة النص ، وإشارته ، ودلالته ، واقتضائه .

٦ ـ وقد تجلى لنا أثناء البحث أن الأصوليين وقفوا هذا الموقف من القواعد اللغوية ، وتناولوا كل موقف بطابع دراستهم الشخصى ، الذى يعتمد على الأمانة العلمية فى البحث والاستقصاء ، ويستهدف خدمة الوحى ، واستكناه حقائق النصوص ، واستنباط الأحكام الشرعية منها ، وذلك ابتغاء مرضاة الله سبحانه ، والتزام حكمه .

٧ ـ أن الأصوليين خدموا اللغة العربية ـ فى مباحثهم ـ كما خدموا الشريعة نفسها ، فقننوا قواعد اللغة ، كما حرروا قواعد الأحكام ، وبذا كان

علم الأصول مزيجاً من اللغة وقواعد الشريعة[١] .

فمهمة الأصولى استنباط الأحكام الشرعية ، ومصادره التى يستمد منها تعتمد على اللسان العربى ، وتتطلب منه تعمقاً فى العربية وأسرارها ، ليتيسر له البحث . ومن ثم عنوا ببعض المباحث التى لا يستغنون عنها والتى تسمى (المبادىء اللغوية) ، مثل المشترك والمتضاد والمترادف ، ومعانى الحروف[٢]

فقد جوز مالك والشافعى (ومعه القاضيان أبو بكر من الأشاعرة ، وعبد الجبار من المعتزلة ، وأبو على الجبائى ، كما فى شرح البدخشى والأسنوى) معانى المشترك دفعة واحدة حال التلفظ به ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ .. ﴾[٣] فالسجود قد استعمل فى معنييه دفعة واحدة : فى وضع الجبهة على الأرض من الآدمى ، ومن غيره بالانقياد والخضوع ، فقد قصد المعنيان مرة واحدة .

ورفض بعض الأحناف هـــذا ، وقالوا : إن ذلك يؤدى إلى الإبهام والتعمية ، وينأى عن ذلك الواضع الحكيم ، وفسروا السجود عامة بالخضوع والانقياد ، وهذا يتحقق من الإنسان وغيره ، وتتفاوت صور السجود : فهو من الآدمى : وضع الجبهة على الأرض ، ومن غيره بانقياده لمولاه .. ويرجح الدكتور إبراهيم نجا رأى الحنفية[٤] وهو رأى أقرب إلى الصواب ، لأن اللغة تقرر أنه لا يصح أن يراد من اللفظ المشترك كلا معنييه ولا كل معانيه دفعة واحدة ، بل لابد أن يراد منه معنى واحد ، فى الاستعمال الواحد ، لأن الكلام للافهام ، وهذا إبهام وتلبيس .

---

(١) السابق (٢) فقه اللغة لابراهيم نجا ، ص ٥

(٣) الحج : ١٨ (٤) السابق .

ولا شك فى أن الأئمة قد بلغوا منزلة سامية فى فهم أغراض القرآن والسنة ، وأسرار الشريعة ، ولـكن بعد أن بصروا بالأدب واللغة . وقد التزموا وسلموا بالقضية اللغوية، والمبدأ العربى ، ولم ينصرفوا عنه إلا لضرورة أوصارف يقتضى ذلك . فإذا كانت الواو لمقتضى الجمع .. فلا يلزم الترتيب بين أعضاء الوضوء مثلا .

وجوهر البحث فى (المبادىء اللغوية) لغوى ، ولـكن طابعه أصولى : فالأصوليون درسوا ما انتهى إليه أهل العربية فى مسألة من المسائل ، ثم لخصوه واختصروه وغيروا فيه ، بحيث أصبح يفى بالنتيجة التى أرادها اللغويون ، ويحقق الغرض منه فى الأصول .. وهذه الألفاظ ذوات مدلولات لغوية حددها أهل اللغة ، وتناولتها المعاجم وتناقلتها كتب الأدب ، والبيان، والتفسير والحديث . . والأصوليون إنما تناولوها وهم بصدد البحث فى الـكتاب والسنة .

وقد عرف الأصوليون المشترك بأنه لفظ وضع لمعنيين فأكثر وضعاً متعدداً[١] .

بينما عرفه ابن منظور اللغوى : بأنه الذى تشترك فيه معان كثيرة[٢] . فللدقة والتحديد وضع الأصوليون القيد ، بينما أطلقه اللغوى . ومثل اللغويون والأصوليون للمشترك بالعين ، والقرء ، والمولى ، والعم ، وذكر الأصوليون : أن الاشتراك يكون فى الأسماء ، والأفعال كما فى (راح: بمعنى ذهب ورجع) والحروف ، مثل (من الجارة : تـكون للابتـــداء ، وللتبعيض ، والواو للعطف ، والحال) ..

---

(١) التوضيح ١/٣٢ (٢) لسان العرب مادة (شرك)

على أن الأصوليين وقفوا موقف الناظر الفاحص فيما ترددت فيه اللغة، واختلف فيه اللغويون، فأمعنوا فيها النظر، واستعرضوا الأدلة، وألموا بالنصوص والشواهد، وانتهوا إلى ترجيح معنى لغوى أو ترجيح رأى فريق على مخالفه فالتزموه وطبقوا عليه الأحكام الشرعية. وربما استعانوا فى هذا الصدد بنصوص من اللغة، والشريعة، وبأقوال بعض الأئمة من أهل اللغة أو الشرع، أو بقواعد النحاة، أو بدلالة اللفظ، أو مقصد الشرع، وغير ذلك[1].

وهاك مثالا يوضح الاتجاه اللغوى للأصوليين فى الترجيح اللغوى — بعد أن قرروا أن الاشتراك خلاف الأصل، وإذا ورد فى كلام الشارع يجب الاعتقاد بحقيقته، والبحث عن الدليل المرجح لبعض معانيه، بالصيغة نفسها أو بدليل خارج منها[2]

فلفظ (القرء) فى قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[3].

(والقرؤ جمع قرء كبيت وبيوت. وهو يطلق فى اللغة بالاشتراك على دم الحيض، والطهر)، فبأيهما تعتد المطلقة؟

● من المجتهدين من رجح إرادة الطهر فى النص الكريم، وذلك:

١ — لأن تأنيث العدد، يدل على تذكير المعدود، والمذكر هو لفظ الطهر.

٢ — ولأنه روى عن عائشة — رضى الله عنه — قولها: «إنما الأقراء الأطهار»[4].

---

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالرياض عدد ٢ سنة ١٣٩٢ هـ، ص ٣٣

(٢) كشف الأسرار ٢/٣٥٤ (٣) البقرة: ٢٢٨

(٤) أخرجه مالك بسند صحيح.

• ومنهم من رأى ترجيح إرادة الحيض في النص الكريم، واستدلوا :

١ — أن مادة (قرأ) في اللغة تدل في معظم استعمالاتها على معنى الجمع أو الانتقال . تقول : قرأت الشيء : إذا جمعته، وقرأ النجم إذا انتقل . فيكون الحيض أحق بأن يراد بالقرء من الطهر، لوجود هذين المعنيين فيه من دون الطهر لأن الحيض دم يجتمع في الرحم، وينتقل منه إلى الخارج، فيحمل عليه عند عدم القرينة على خلافه(١) .

٢ — وفي قوله تعالى : ﴿ واللَّائي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ من نِسائِكُمْ إنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائي لَمْ يَحِضْنَ ﴾(٢). جعلت الآية الاعتداد بالأشهر عند عدم الحيض، فدلت على أن الاعتداد بالحيض دون الأشهر .

٣ — وقول ابن عمر — رضي الله تعالى عنهما — « طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان(٣) » .

٤ — ولأن الحكمة من تشريع العدة، التعرف على براءة الرحم، والمعرف هو الحيض لا الطهر، لأن الحامل لا تحيض، غالباً .

٥ — ولأن لفظ (ثلاث) خاص، لا يحتمل زيادة ولا نقصاً . وقد شرع الطلاق في حال الطهر، فيمكن احتساب ثلاث حيض بعده كوامل، بلا زيادة ولا نقصان، ويتحقق بذلك مدلول اللفظ الخاص(٤) .

• وقد أجاب هؤلاء — ويبدو رجحان مذهبهم — عما استدل به الأولون بقولهم :

---

(١) نسمات الأسحار ٩٧ (٢) الطلاق : ٤

(٣) رواه الدارقطني، وأخرجه مرفوعاً، وراجع بلوغ المرام من أدلة الأحكام ١٩٩ وراجع أسانيده في أحكام القرآن للجصاص ١/٣٦٦

(٤) حاشية الأزميري على مرآة الأصول ٢/٣٣٢ والتلويح ١/٣٠٦ ونسمات الأسحار ٢٥

١ - أن تأنيث العدد مراعاة للفظ القرء المعدود ، وهو مذكر .

٢ - وحديث عائشة عارضه أثر ابن عمر ، بل روى عنها مثل الذى روى عن ابن عمر(١) وهو مع ذلك لا يكاد ينهض للأدلة المذكورة ...

على أن بعض الأصوليين ذكر أن الأصل هو عدم الاشتراك وأن المجاز خير منه ، كما سبق(٢) .

فقد رأى كل فريق من كلام العرب ما لا يراه الآخر ، ونجم عن ذلك تعدد الآراء ، كما رأينا فى لفظ القرء .

وذهب مالك - رضى الله عنه - إلى أن المراد منه الطهر ، وحجته فى ذلك قول الأعشى :

أَفِى كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ ... تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا
مُوَرِّثَةٍ مَالاً وَفِى الْحَىِّ رفعةً ... لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

أى من أطهارهن بسبب الغزو(٣) .

• بينما يذهب أبو حنيفة - رضى الله عنه - إلى أنه (القرء) يحتمل الحيض ، ومستنده قول الراجز :

يَارُبَّ ذِى ضِغْنٍ عَلَىَّ فَارِض ... يُرى لَهُ قروء كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

ورواية الجاحظ : . له قرؤ كقرؤ الحائض(٤) .

فقد كان المنطلق اللغوى قوياً عند كلا الفريقين ، على أن الأحناف

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ١/٣٦٦

(٢) مسلم الثبوت وشرحه فواتح الرحموت ٢/٣٣٦

(٣) مفتاح الوصول للتلمسانى ٦٠ ، وراجع حاشية البنانى على المحلى ٢٩٢ - ٢٩٨ ، وشرح البدخشى والإسنوى على منهاج الوصول ٢٢١ - ٢٤٣

(٤) الحيوان للجاحظ ٩/٦٦

اصطحبوا الحديث الشريف : « دعى الصلاة أيام أقرائك »(١) . فالمراد أيام الحيض لا الطهر .

فاختلاف الصحابة ، وهم أهل اللغة ، والفقهاء وهم بصراء باللغة ، دليل على ثبوت الاشتراك بين المعنيين لغة .

• على أن بعض الفقهاء ، من رجح ما ذكره ابن الأنبارى ـ كلغوى ـ من أن (القرء) مفرداً يحتمل الطهر والحيض ، فإن جمع على أقراء : فالمراد به : الحيض كقوله فى الحديث « .. أقرائك » . وإن جمع على قروؤ ، فالمراد به . الطهر ، كقول الأعشى : « . . من قروء نسائكا » وإذن فالقروؤ فى الآية : الطهر لا الحيض .

ولم يسلم الأحناف بذلك وقالوا : لو صح هذا لما اختلف الصحابة فى ذلك فإنهم أهل اللغة وأعرف بها ، فاختلافهم دليل بقاء احتمال حالة الجمع ، كما كان حالة الإفراد ، وقد قال الشاعر :

يا رُبَّ ذِى ضِغْنٍ وَضَبٍّ فَارِضٍ   لَهُ قروءٌ كقروءِ الْحَائِضِ

وقرينة ابن الأنبارى لفظية ، فالجمع قد يختلف باختلاف المعانى : وإن كان اللفظ المفرد مشتركا ، ألا ترى أن « العود » مشترك بين الخشبة ، وجمعه إذ ذاك أعواد . . وبين آلة الغناء ، وجمعه إذ ذاك عيدان .

وكذلك (الأمر) مشترك بين القول المخصوص ، ـ وجمعه إذ ذاك أوامر ـ وبين الفعل ـ وجمعه إذ ذاك أمور ؟ !

• وقال أصحابنا : الأطهار مذكرة ، فيجب ذكر التاء فى العدد المضاف

---

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائى ، وأخرجه الدارقطنى ووثق رواته ، وقال أبو داوود لا يصح .

فيقال : ثلاثة أطهار . والحيض مؤنثة ، فيجب حذف التاء ، فيقال : ثلاث حيض . ولما قال تعالى : ﴿ ... ثلاثة قروء ﴾ علمت أنه أراد الأطهار .

وأجاب الحنفية : بأن اللفظ الواحد قد يكون له لفظان : أحدهما مذكر والعكس فيكون التأنيث فيه لفظياً لا معنوياً ، مثل جسد وجثة ، والمراد واحد ، ثم تقول : ثلاثة أجساد وثلاث جثث . ولفظ الحيضة مؤنث فوجب حذف التاء ، والعكس فى القرء(١) .

فما ذكره ابن الأنبارى يحتمل ويحتمل ، وبقى إذن أن الاشتراك فى اللغة شغل الأصوليين والفقهاء ، واختلاف الصحابة — كما ذكرنا — دليل كبير على كون اللفظ حقيقة لغوية فى كل من المعنيين .

• ويتصل بهذا الخلاف أن المشترك إذا تجرد عن القرينة المعينة للمراد يكون مجملا عند المانعين لا عند الشافعى ومن تبعه ، لأنه يحمل عندهم على الكل وإن اقترنت به قرينة تعين واحداً فإنه يحمل عليه اتفاقاً أو قرينة لواحد غير معين فمجمل بالاتفاق ، أما عند الحنفية فظاهر ، وأما عند الشافعى فلوجود قرينة صارفة عن الكل .

• وقد جعل الأصوليون الاشتراك فى الوضع فى مقابلة الانفراد فيه ، فهو قسيمه عندهم ، وإن قدم بعضهم المجاز على الاشتراك إذا تعارضا — كما يظهر من المثال الآتى — فهذا مجال آخر ففى قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾(٢) بعض يقول : الأمر هنا محمول على الوجوب ، والمخالفون يقولون بل هو الأمر القولى ، وباحتمال أن يراد به الشأن والفعل ، كقوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾(٣) ، وإذا صح إطلاق لفظ الأمر على غير القول

---

(١) مفتاح الوصول للتلمسانى ٦٠ — ٦٧ ، ٩٦ — ٩٨

(٢) النور : ٦٣

(٣) هود : ٩٧

المخصوص ـ والأصل في الإطلاق الحقيقة ـ لزم اشتراك لفظ الأمر بين المعنيين[١] . . .

• وشرط العلماء في آداب البحث والمناظرة لحسن التعريف : ألا يشتمل على لفظ مشترك بين معان متعددة إلا مع قرينة تعين أحد المعاني[٢] .

٭ ٭ ٭

• والخلاصة :

أن الأصوليين عرفوا المشترك ، وذكروا المؤيدين والنافين له ، والسبب في وقوعه :

قالوا : وقال قوم بوقوعه ونفاه ثعلب والأبهري والبلخي .

وقالوا : هو إما حقيقة أو مجاز كالعين حقيقة في الباصرة مجاز في غيرها : كالذهب لصفائه ، والشمس لضيائها .

وإما كلىّ كالقرء : فإنه موضوع للجمع أو الانتقال من قرأت الماء في الحوض إذا جمعته فيه ، أو من قرأ النجم إذا انتقل ؛ لأن الدم يتجمع وينتقل .

• وحجة القائلين بوقوعه :

أن أهل اللغة أطبقوا على أن القرء موضوع للطهر والحيض معاً على البدل من غير ترجيح ، وهو معنى الاشتراك ؛ إذ لو كان حقيقة ومجازاً لكانت الحقيقة أرجح ، ولو كان موضوعاً للكلى لما صح قولهم على البدل

والقائلون بعدم وقوعه يقولون :

إن وجد معه البيان فهذا تطويل وإلا فات المقصود وهو الإفهام .

---

(١) مفتاح الوصول للتلمساني ٧٠ ـ ٩٣ .

(٢) رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة ٥٢ وما بعدها .

والجواب : أن البيان بعد الإجمال أوقع فى النفس . وأيضاً لم يفت المقصود: لأنه يفيد فائدة إجمالية ، كما فى أسماء الأجناس، وبالنسبة للأحكام فائدته الخاصة : فى الاستعداد للامتثال إذا بيّن وأنه مطيع بالعزم على الامتثال ، والاستعداد له كما يعصى بخلافه .

قالوا : والسبب فى وقوعه :

تعدد القبائل : فيجوز أن تضع قبيلة كلمة لمعنى ، وتضعها الأخرى لمعنى بدون مناسبة بين المعنيين . وهذا رأى اللغويين ، كما سبق .

ويناقش الآمدى جوازه ووقوعه :

بأنه لا يمتنع عقلا أن يضعه واحد من أهل اللغة ويوافقه عليه الباقون.

أو تضعه أكثر من قبيلة على الحقيقة من غير شعور بما وضعته الأخرى، ثم يشتهر الوضعان ، ويخفى سببه وهو الأشبه . . ولو قدر ذلك لما لزم من فرض وقوعه محال عقلا .

كما استدل بأن وضع اللفظ تابع لغرض الواضع ، وأعطى الواضع حرية تعريف الشىء مجملا أو مفصلا ؛ إما لأنه علمه مجملا فقط ، أو لمحذور يتعلق بالتفصيل ، فلهذه الفائدة — لا يبعد — أن يضع اللفظ مجملا من غير تفصيل .

وقال أبو الحسين البصرى :

« أطلق أهل اللغة اسم القرء على الطهر والحيض ، وهما ضدان ، فدل على وقوع الاسم المشترك فى اللغة »(١) .

وقال قوم بضرورة وقوع المشترك : لأن الأسماء متناهية ، والمسميات غير متناهية ، وتناهى الأسماء إنما هو لتناهى الحروف .

---

(١) الاحكام للآمدى ١/ ١٥ ، ١٦ .

وقيل : بأن المسميات غير المتناهية ليست كلها بحاجة إلى الوضع .
ونقول : « يكفي أن السيارة ستنقرض ، والعربية لا تعرف أن تسمى أجزاءها » .

واعترض بعضهم فقال : المقصود من وضع الألفاظ إنما هو التفاهم ، وذلك غير متحقق في الاشتراك ، من حيث أن فهم المدلول منه ـ ضرورة تساوى النسبة ـ غير معلوم من اللفظ . والقرائن قد تظهر وقد تخفى ، وبتقدير خفائها يختل المقصود من الوضع وهو الفهم .

وأجيب: بأنه وإن اختل فهم التفصيل على ما ذكروه ، فلا يختل معه الفهم من جهة الجملة ، وليس فهم التفصيل لغة من الضروريات ، بدليل وضع أسماء الأجناس ، فإنها لا تفيد تفاصيل ما تحتها. وإن سلمنا أن الفائدة المطلوبة إنما هي فهم التفصيل ، فإنما يمنع ذلك من وضع الألفاظ المشتركة ، أن لو لم تكن مفيدة لجميع مدلولاتها بطريق العموم ، وليس كذلك ، على ما ذهب إليه القاضي والشافعي رضى الله عنه(١) .

فالتفصيل يفهم من الجملة ، كوضع أسماء الأجناس ، والألفاظ المشتركة تفيد مدلولاتها بطريق العموم على ما صرح به بعضهم .

• واستدلوا على وقوع المشترك في كلام الله تعالى ـ كما وقع في اللغة ـ بقوله تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾(٢) فإنه مشترك بين إقبال الليل وإدباره، وهما ضدان، كما ذكر صاحب الصحاح .

• ومفهوما المشترك واسمان عند الأصوليين : فهما إما أن يتباينا كالقرء ، والعين ، أو يتواصلا لجواز اجتماعهما ، فيكون أحدهما جزءاً

(١) الاحكام للآمدي ١/١٧ ، والبدخشي ٢٢١ .　　(٢) التكوير : ١٧

للآخر كالممكن للعام والخاص، أو لازماً له، كالشمس للكوكب وضوئه، وكالرحيم : فإن الجوهرى قال: إنه تارة بمعنى المرحوم، وتارة بمعنى الراحم، وكلاهما يستلزم الآخر، فيكون مشتركا بينهما أى بين الشيء ولازمه[١].

• وجوّز بعضهم فى اللغة أن يراد بالمشترك المعنيان فى النفى لا الإثبات: فنحو لا عين عندى: يجوز أن يراد به الذهب والباصرة مثلا. بخلاف: عندى عين، فلا يجوز أن يراد به إلا معنى واحد، وزيادة النفى على الإثبات معهودة كما فى عموم النكرة المنفية دون المثبتة، ومحل الخلاف فيما إذا أمكن الجمع بين المعنيين[٢].

وهذا رأى جديد وجيه.

وزاد الأصوليون فى بحثهم على اللغويين فقد بحثوا جمع المشترك اللفظى: وقال أكثرهم: بأن جمعه باعتبار معنييه جائز، كقولك عندى عيون، وتريد باصرتين وجارية، إن ساغ ذلك فى الجمع ـ وهو ما رجحه ابن مالك وخالفه أبو حيان ـ مبنى عليه فى صحة إطلاقه على معنييه، كما أن المنع مبنى على المنع، والأقل على أنه لا يبنى عليه فيها فقط: بل يأتى على المنع أيضاً: لأن الجمع فى قوة تكرير المفردات بالعطف[٣].

وخلاصة رأى الأصوليين والفقهاء فى المشترك اللفظى، من حيث الوقوع وعدمه هى:

١ ـ جواز وقوع المشترك فى الكلام مطلقاً: (أى فى القرآن والسنة وغيرهما).

(١) شرح البذخشى والإسنوى ٢٢١ وما بعدها.
(٢) حاشية البنان على المحلى ٢٩٦. (٣) السابق ٢٩٧.

٢ ـ نفى وقوعه مطلقاً ، كقول ثعلب والأبهرى والبلخى : وما ظن أنه مشترك ، فهو ـ عندهم ـ إما حقيقة أو مجاز ، أو متواطىء : كالعين : حقيقة فى الباصرة مجاز فى غيرها كالذهب لصفائه ، والشمس لضيائها . وكالقرء : موضوع للقدر المشترك بين الحيض والطهر ، وهو الجمع : من قرأت الماء فى الحوض أى جمعته فيه ، والدم يجتمع فى زمن الطهر فى الجسد ، وفى زمن الحيض فى الرحم .

٣ ـ ونفى قوم وقوعه فى القرآن الكريم (وأنه واقع فيما عداه) .

٤ ـ ونفى آخرون وقوعه فى القرآن الكريم والسنة النبوية : لأنه لو وقع فإن بيّن ، فيطول بلا مائدة ، وإن لم يبن فلا يفيد ، والقرآن والسنة تنزها عن ذلك .

وسبق الرد على ذلك .

٥ ـ وقيل : هو واجب الوقوع : لأن المعانى أكثر من الألفاظ الدالة عليها ، ويعنون المعانى المدلول عليها بالألفاظ لا مطلق المعانى ، إذ من المعانى ما لا لفظ له (كروائح المشمومات مثلا) .

وأجيب بمنع ذلك : إذ ما من مشترك إلا ولكل من معنييه مثلا لفظ يدل عليه .

٦ ـ وقيل : هو ممتنع لإخلاله بفهم المراد المقصود من الوضع .

وأجيب : بأنه يفهم بالقرينة ، والمقصود من الوضع : الفهم التفصيلى أو الإجمالى ، المبين بالقرينة ، فإن انتفت القرينة حمل على المعنيين .

٧ ـ ويقول الإمام الرازى : هو ممتنع بين النقيضين فقط ، كوجود الشىء وانتفائه : إذ لو جاز وضع لفظ لهما لم يفد سماعه غير التردد بينهما ، وهو حاصل

فى العقل ، وأجيب : بأنه قد يغفل عنهما فيستحضرهما بسماعه ، ثم يبحث عن المراد منهما[1] .

وبعد :

فقد رأينا جهود علماء الأصول فى بحث المشترك ، وقد وفوا أبحاثه حقها من الدقة والتمحيص ، والإحاطة والشمول ، بغير ابتسار لنصوص اللغة ، ولا قهر وإلزام لأحكام الشريعة . .

وكانوا منصفين وأمناء فى عرض وجهة نظر مخالفيهم وأدلتهم بمقتضى الأمانة العلمية وروح الإنصاف .

وكما استعانوا على الاعتراف بوجود المشترك بالأدلة العقلية والنقلية ، وتعقب كل الاعتراضات الفعلية أو المتخيلة بالإيراد والبحث الهادىء ، ثم الرد المقنع والدليل الناصع المرضى .

ولم يفرقوا بين المشترك اللفظى والمتضاد : لأن المتضاد جزء من المشترك اللفظى كما تقرر .

وأخيراً لم يكن – إذن اشتغال الأصوليين بالمبادىء اللغوية من الفضول – كما قال بعضهم – وإنما كان من الأصول والواجب والمعقول .

تلك كانت جولة قصيرة مع الأصوليين فى موقفهم من المشترك اللفظى عامة ، ورأينا فيها أنهم أثبتوا المشترك اللفظى ، واعترفوا به حقيقة واقعة فى لغتنا ، ودارت معه أحكامهم وتفريعاتهم على هذه الأحكام حلّا وحرمة ، وجوازاً ومنعاً ، وحتما واحمالا ، ويقيناً وشكاً ، وترجيحاً وتغليباً ، ورأيناهم فى بحثهم هذا أكثر تنظيما ، وأشد احتياطاً ، وأحكم تقسيما ، وأذكى أخذاً ورداً ، وجمعاً ومنعاً .

(١) حاشية البنانى على المحلى ٢٩٢ – ٢٩٤

ومن قبل وجدنا القدامى من شيوخ المفسرين ، مثل : ابن جرير الطبرى يقفون مع اللفظ من المشترك اللفظى وقفة تمحيص دقيق ، ثم اعتراف صريح بأن المشترك اللفظى ممكن الوقوع عقلا فى لغتنا ، وواقع فعلا فى استعمالاتها ، الأمر الذى حدا بالطبرى أن يقرر فى وضوح عند تقريره : بأن اللفظ أحيانا يحتمل أكثر من معنى ، وإذا أمكن حمله على أكثر من معنى عند التفسير ، فلا يجوز قصره ولا قسره على معنى معين ، ما دام لم يقف معناه على معنى معين بتفسير من تنزيل مقدس ، ولا وحى معين .

وكثير من كبار المفسرين اعترفوا بوقوع المشترك اللفظى فى القرآن الكريم ، كما بيناه فى (الصريم) و (خفى) و (ظن) و (أَسَرُّوا النَّجْوَى)... فالمشترك اللفظى واقع فى اللغة .

* * *

المداخِل وَالمشجَرُ والمسَلسَلُ

المداخل والمشجر والمسلسل : عنوانات لكتب حملت هذه الأسماء ، لفن طريف من فنون اللغة يلحق بالمشترك ، أساسه :

تسلسل الألفاظ وتداخلها وشرحها ، والإلماح إلى وشائجها : فتذكر الكلمة وتفسر بكلمة ثانية ، وتفسر الثانية بثالثة ، والثالثة برابعة ، وهكذا ... مع الاستشهاد على بعض المعانى بشاهد فصيح .

وقد ابتدأ هذا الفن فى القرن الثالث ، واستمر حتى القرن السادس الهجرى ، إذ أن من ألف فيه - فيما علمنا - ثلاثة من أئمة اللغة ، وكتبهم التى وصلتنا هى :

* * *

● **المداخل فى اللغة :**

الإمام أبو عمر المطرز البغدادى ، المعروف بالزاهد (٢٦١ - ٣٤٥ هـ) والملقب بغلام ثعلب .

ألف كتابه : «المداخل فى اللغة» . وأخرجه وحققه الأستاذ محمد عبد الجواد .

والذى دعا الزاهد إلى تأليفه : كثرة حفظه ، ووفرة محصوله فى اللغة ، وإلمامه بالمشترك اللفظى وإن بدت ألفاظه غريبة ، وممعنة فى البداوة ، واستعرض فيها الزاهد مقدرته اللغوية ، وبصره باللغة وغريبها .

وقد جعله فى واحد وثلاثين باباً ، رواها عن أستاذه ثعلب ، عن ابن الأعرابى ، أو عنه عن عمرو عن أبيه : «إسحاق بن مرار الشيبانى» عن أبى نجدة ، عن أبى زيد : «سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى» ، أو عن سلمة عن الفراء ... كما جاء فى سند أبوابه .

وسنذكر نموذجاً لهذا الفن الطريف من كتاب « المداخل في اللغة » ، في آخر هذا الكتاب بإذن الله .

* * *

● **شجر الدر في تداخل الكلام بالمعاني المختلفة .**

هذا هو الكتاب الثاني ، صنفه الإمام أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي المتوفى (سنة ٣٥١ هـ) تلميذ المطرز .

وقد حققه وقدم له — أيضاً — الأستاذ محمد عبد الجواد جزاه الله الخير .

وعلل التسمية — كما جاء في مقدمة كتابه — لاشتجار بعض كلماته ببعض أي تداخله ، ومنه سميت الشجرة شجرة لتداخل بعض فروعها في بعض ..

وشجر الدر يعتبر أكثر سهولة ، وألفاظه أخف وأرشق ، على عكس المداخل الذي أظهر فيه الزاهد براعته اللغوية ، فجاءت ألفاظه تميل إلى البداوة ، وتتعمق في الغرابة .

والمسلسل جاء وسطاً بين هذا وذاك .

ويتألف كتاب « شجر الدر » من مقدمة وست شجرات ، منها خمس ذوات فروع ، والسادسة لا فروع لها .

وترجم أبو الطيب كل باب بشجرة ، أصلها كلمة ، يبنى عليها مائة كلمة ، وتتضمن من الشواهد عشرة أبيات ، وكل فرع عشر كلمات فيها من الشواهد بيتان .

والشجرة الأخيرة عنده فيها خمسمائة كلمة ، أصلها كلمة واحدة .

ويمكننا القول : بأن أساس وضع كتاب « شجر الدر » أولا هو : الاشتراك اللفظي ، بتبويب الأشجار وفروعها .

وسنسوق نموذجاً له في الملحق بآخر هذا الكتاب إن شاء الله .

* * *

● **المسلسل فى غريب لغة العرب :**

هذا هو الكتاب الثالث ، الذى يكون مع الكتابين السابقين – على تفاوت الزمان والمكان – وحدة لغوية يتمم بعضها بعضاً :

« كتاب المسلسل فى غريب لغة العرب » لأبى الطاهر محمد بن يوسف ابن عبد الله التميمى الأندلسى ، المتوفى (سنة ٥٣٨ هـ) بقرطبة .

والكتاب يحتوى على خمسين باباً ، كل باب يفتتح ويختتم بشاهد شعرى ، يأخذ من الشاهد الأول : الكلمة التى يجعلها أساساً للتسلسل ، ويكون الشاهد الأخير استشهاداً على معنى الكلمة الأخيرة فى الباب .

ويبدو أن التميمى لم يطلع على « المشجر » ، وإنما اطلع على « المداخل » للزاهد فاستنزره ، وأفرغ جهده فى « المسلسل » فكشف عن مقدرة لغوية ثرّة ، وشواهد قوية ، وألفاظ كثيرة .

وسبب تأليفه للكتاب ، هو – كما جاء فى مقدمة كتابه :

أن معرفة اللغة ضرورية ، لأنها (لسان العلوم الشرعية ، والهادى إلى المعرفة الأصلية والفرعية ..

وأنه لا يوصل إلى معرفة كتاب الله تعالى ، ومعرفة حديث رسول الله ﷺ ، وصحابته والتابعين وأئمة الهدى من أمته ، إلا بحفظ لغات العرب وأنحائها ، والأنس بإطنابها وإيجائها ، وإبلاغها وإيجازها ، وتوسعها ومجازها . . .

وذكر أنه اطلع على : كتاب المداخل فى اللغة لأبى عمر المطرز ، رحمه الله ، فاستنزرته لقدره ، ولم أحظ بهلاله فيه ولا بدره ، فرأيت أنه رأى لم يسعف تمامه ، وغرض لم تقرطه سهامه . . . [illegible]

فحركنى ذلك إلى صلة ما ابتدأ، وتمكين ما رسم منه وأنشأ.

واقتضبت ذلك فى خمسين باباً، افتتحت كل باب منها بشعر عربى، ثم ختمت الباب بمثل ذلك...

وشواهد «المسلسل» كثيرة تجمع بين الغريب والمستعمل.

* * *

وهذه الكتب الثلاثة — كما قلنا — تؤلف وحدة لغوية متكاملة، إذ يكمل بعضها البعض، ولا يستغنى عن واحد منها.

وأصحابها من علماء اللغة الأعلام، الذين أبلوا البلاء الحسن فى حفظ تراثنا، ورعاية لغتنا، حسبة لله تعالى، فجزاهم الله خير الجزاء.

ومثل هذه التآليف حرية بأن تغرى النشء على حفظ اللغة، والإلمام بمفرداتها وغريبها، وتفيد شداة الأدب بمعرفة مواطن استعمالها، فى زمن انصرف فيه الناس إلى السطحية، وقنعوا من الغنيمة بالإياب، ولم يصبروا على بذل جهد، ولا إتمام بحث.

على أن الحافز الأكبر لتأليف هذه المصنفات الثلاثة:

كان هو الولوع بالمشترك اللفظى، الذى شد أنظار اللغويين، وجذب انتباههم.

وما فى هذه المؤلفات من المشترك اللفظى سيضيف جديداً إليه، وهو من ناحية أخرى تأكيد لوقوعه فى لغتنا وتثبيت وتأييد.

كما أنها تعرضت — أيضاً — لشق هائل من وسائل تنمية لغتنا العربية، ألا وهو المشترك المعنوى.

ونشير إلى أن أصحاب هذه المؤلفات الثلاثة لم يفرقوا بين المعانى الحقيقية والمجازية فيما ذكروا من الشرح والتفسير:

فقد فسر أبو الطيب (الأذن) بالسليم القلب. (والإصبع) بالأثر الحسن. (والأصابع): بالفواضل من الله عز وجل. (والبسرة) بالجارية الرطبة البدن..

وذلك إما لأنهم اعتبروا خطوات المجاز منسية ؛ أو لكثرة الاستعمال فى المعنى الثانى، حتى طغى على الأول، أو أن المراد إتمام الكتاب على النمط المقصود والمرسوم، وإلا لو أرادوا الإتيان بالحقيقة خالصة وحدها لأتوا وما عجزوا عن ذلك: فقد جاء غيرهم بتفسير للقرآن الكريم خال من النقط، كمقدرة لغوية طويلة النفس، وفيرة المحصول، بصيرة الرؤية.

* * *

الأضداد في اللغة العربية

● **الأضـداد :**

اتصل العرب بلغتهم اتصالا وثيقاً ، لا نرى له مثيلا فى الأمم الأخرى . وأسعفتهم بما يعوزهم ، ووفوا لها فكانوا أمناء محافظين عليها ، وشرفت بالقرآن والسنة ، فازدادت منزلتها سمواً ، وانبرى العلماء ، يضبطونها ، ويوثقونها ، ويدونون جهدهم فى رسائل ذات طابع خاص أو عام ، أو يكون لها فى الغرابة نصيب ، أو لها طابع من ظاهرة لغوية معينة ، مثل : غريب القرآن ، أو الحديث ، أو الأضداد .

وتأخر توثيق رسائل الأضداد حتى القرن الثانى الهجرى ، وإن نبه عليها الأقدمون ، وتحدثوا عنها ، والتقطوا أمثلتها .

وظلت مشكلة الأضداد غامضة فى العربية ، وطال النقاش والجدل فيها ، مع كثرة البحوث والكتابة حولها فى أقدم ما يكون قدامة ، وفى أحدث ما يكون حداثة . . وأسأل الله أن يعيننى على إضاءة شمعة على الطريق ، توضح المشكلة ، وتفصل فيها .

* * *

● **تقسيم الكلمة والكلام :**

قسم القدماء الكلمة ـ كما سبق أن أشرنا ـ إلى اسم وفعل وحرف ، وقالوا : إن أول من قسمها على هـذا النحو هو الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه[1] .

وقسموا الكلام العربى على هذا النحو :

---

(١) نزهة الألباء لابن الأنبارى ٢

(ا) اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، نحو : الرجل والمرأة .

(ب) واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، نحو : جلس وانطلق .

(ج) واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، كقولك : وجدت عليه ، من الموجدة ، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة ، والأمة لمعانيها الكثيرة ، والجون للأبيض والأسود[١] .

واعتبر قطرب الأول الأعم الأكثر ، لأن أكثر الكلام عليه ، وذكر أنهم أرادوا بالثانى : اختلاف اللفظين وإن كان الواحد مجزئاً أن يوسعوا فى كلامهم وألفاظهم ، كما زاحفوا فى أشعارهم ليتوسعوا فى أبنيتها ولا يلتزموا أمراً واحداً . وذكر قطرب أيضاً أن من النوع الثالث ما يكون متضاداً فى الشىء وضده ، وروى ابن الأنبارى أن قطرباً اعترض على الصنف الثانى (المترادف) ، وأعلن أن كل كلمة منها لها معنى ليس فى أختها ، أحياناً نعرفه وأحياناً لا نعرفه وسنبحث ذلك فى الكلام على المترادف ، ويقول قطرب : « وإنما خصصناه (الضد) بالاخبار عنه لقلته فى كلامهم ولطرافته »[٢] .

* * *

● **التضاد نوع من الاشتراك :**

يقول أبو الطيب اللغوى فى صدر كتابه : « الأضداد جمع ضد ، وضد كل شىء ما نافاه ، نحو البياض والسواد ، وليس كل ما خالف الشىء ضداً له : ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ؟ وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم ، فالاختلاف أعم من التضاد : إذا كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين »[٣] .

---

(١) الكتاب لسيبويه ١/٧ ، والأضداد لقطرب ٢٤٣ من مجلة إسلاميكا لهانز كوفلر (ألمانية) ، والصاحبي ٩٦ ، وأضداد ابن الأنبارى ٦ ، والمخصص ١٣/٢٥٨ ، والمزهر ١/٣٨٨

(٢) أضداد قطرب ٢٤٤ (٣) أضداد أبى الطيب ١ (المقدمة)

وكلام أبى الطيب هذا صحح ما ورد فى مقدمة كتاب السجستانى بأن : « ضد الشيء خلافه وغيره » . وأزال إبهام التعريف — كما سنرى — للأضداد .

وإذا كان التضاد نوعاً من الاشتراك ، فهو من أعجب ما فى أمر هذه اللغة : لأنه إيقاع اللفظ الواحد على معنيين متناقضين . ومثل ذلك إذا لم تصح فيه الحجة ، ولم ينهض به الدليل كان عبثاً : لما فيه من التباس أطراف الكلام ورجوع بعضه على بعض بالنقض . غير أنه — كما يقول الرافعى — لما « أصحب من القرينة بما يوضح تأويله ، ويعين جهة الخاطب فيه ، وذلك ما لا يمكن أن يغمز فيه على العربية ، وهى بخصائصها ، وسنن أهلها فى الوضع والتصرف ، تعتبر كالعقل المدرك فى جمجمة اللغات »[١] .

وبيّن السيوطى العلاقة بين المشترك والتضاد ، فقال : « هو — التضاد — نوع من المشترك »[٢] . وذكر أن بعض العلماء أبدوا ذلك ، وذهبوا إلى : « أن المشترك يقع على شيئين ضدين ، وعلى مختلفين غير ضدين ، فما يقع على الضدين كالجون ، والجلل ، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين »[٣] . وليست لغتنا بدعاً فى ذلك ، وإنما شأنها فى ذلك شأن اللغات الأخرى .

وذكر الأستاذ الأنطاكى :

إن هناك آخرين ممن لا يسلمون بالمشترك إلا إذا دل على معنيين لا رابط بينهما . . يرى هؤلاء : أن التضاد ليس نوعاً من المشترك ، لأن المتضادين تجمع بينهما صلة من نوع ما ، فالجامع بين الأبيض والأسود إنما هو اللون . والجامع بين الكبير والصغير أن كلا منهما حجم ، ولولا هذه

---

(١) تاريخ آداب اللغة للرافعى ١/١٩٧ (٢) المزهر ١/٣٨٧
(٣) السابق ١/٣٨٧

الصلة لما كان المتضادان ضدين : إذ أن الضدين شيئان اشتركا فى صفة ، واختلفا فى مقدارها[١] اه .

والحق : أن التضاد نوع من المشترك لما سلف ، لأن المعانى حينما تنفرج زوايتاها حتى تتعاكسان تماماً ، تأتى الأضداد اللغوية .

* * *

• **تعريف الأضداد :**

يقول الزبيدى : « الضد » بالكسر : كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه ، والسواد ضد البياض ، والموت ضد الحياة ، قاله الليث . . والضد والضديد : الضد والشبيه والقرين .

وعن الأخفش: الند: الضد والشبه، ومنه : ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ﴾[٢] أى أضداداً وأشباهاً .

والضد : ضد ، كما قال أبو عمرو ، قال تعالى : ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً ﴾[٣]. أى تكون الأصنام أعواناً على عابديها يوم القيامة ، وقال عكرمة : أى يكونون أعداء عليهم يوم القيامة . وسمع أبو تراب من زائدة : صده وضده : صرفه ومنعه برفق . وفى الصحاح : الضد بالفتح الملء : ضد »[٤] .

وقال قطرب : « ومن هذا اللفظ الواحد الذى يجىء على معنيين فصاعداً ما يكون متضاداً فى الشيء وضده »[٥] . فقد توصل قطرب من تعريف المشترك ، بأن منه قسما يزداد التخالف فيه إلى التضاد . . وهذا التعريف غير شامل ولا دقيق .

---

(١) الوجيز فى فقه اللغة ٣٧٦
(٢) فصلت : ٩
(٣) مريم : ٨٢
(٤) تاج العروس ٢/٤٠٥
(٥) الأضداد لقطرب ٢٤٤ من مجلة اسلاميكا (الألمانية)

ومثل تعريف قطرب ، تعريف أبى حاتم السجستانى لها بقوله : « ضد الشيء خلافه وغيره »[١] ، إذ ليس كل ما خالف المعنى ضد .

وقال ابن الأنبارى : « هذا كتاب ذكر الحروف التى توقعها العرب على المعانى المتضادة : فيكون الحرف منها مؤيداً عن معنيين مختلفين »[٢] ، فذكر فى صدر التعريف ما يقربه من الهدف ، وذكر فى آخر التعريف ما أوقعه فى اللبس .

وتعريف أبى الطيب اللغوى أقرب إلى الدقة ويوضح كل لبس ، يقول : «الأضداد : جمع ضد . وضد كل شيء ما نافاه نحو البياض والسواد ، والسخاء والبخل » ، وأبان قصور التعاريف السابقة ، قوله بعدئذ : « وليس كل ما خالف الشيء ضداً له . ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليسا ضدين ؟ وإنما ضد القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف أعم من التضاد : إذ كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين »[٣] . فالأضداد هى الألفاظ التى يدل الواحد منها على معنيين متضادين .

* * *

● **التصنيف فى الأضداد :**

وضع القدماء والمحدثون من العرب ، وغيرهم من المستشرقين مصنفات كثيرة فى الأضداد ، منها ما وصلنا ، ومنها ما لم يصلنا ، ولكننا سمعنا عنها ، أو قرأنا نماذج لأمثلتها ، فى الكتب التى ذكرتها :

● **اولا ـ من تآليف العرب فى الأضداد :**

استمر التأليف فى الأضداد عند علمائنا اللغويين منذ القرن الثالث

---

(١) أضداد السجستانى (المقدمة).

(٢) أضداد ابن الأنبارى (المقدمة)

(٣) أضداد أبى الطيب (المقدمة)

الهجرى ، حتى منتصف القرن السابع الهجرى (٢٠٦ هـ - ٦٥٠ هـ) ومن هذه الكتب :

١ - « كتاب الأضداد » لأبى على المستنير ، المعروف بقطرب (المتوفى ٢٠٦ هـ) .

وقد نشره المستشرق (هانز كوفلر) وعلق عليه فى مجلة (إسلاميكا) سنة ١٨٣١ فى المجلد الخامس من المجلة من (ص ٢٤١ - ٢٩٣) مع فهارس لألفاظ الأضداد[١] .

٢ - « الأضداد » لأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، (المتوفى حوالى سنة ٢١٦ هـ) وقد طبع بتحقيق المستشرق (أوجست هافنر) فى بيروت سنة ١٩١٣ مع كتب أخرى فى الأضداد للسجستانى ، وابن السكيت ، والصغانى ، مع تعليقات وحواش للأب (أنطون صالحانى اليسوعى) ، واطلعت على نسختها فى بيروت ، وعنوان الكتاب : « المقلوب لفظه فى كلام العرب عن جهته والأضداد » .

٣ - « كتاب الأضداد والضد فى اللغة » لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى ، (المتوفى ٢٢٢ هـ) : مخطوط فى خزانة عاشر أفندى رقم ٨٧٤ ، كما ذكر (بروكلمان)[٢] .

٤ - كما صنف فى الأضداد : أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوزى ، (المتوفى سنة ٢٣٨ ، أو سنة ٢٤٠ هـ)[٣] .

٥ - « كتاب الأضداد » لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت ،

---

(١) وأحضرت مصورة منه من مكتبة برلين العامة .

(٢) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ١/١٦٧

(٣) المزهر ١/٣٩٧ ، وراجع مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ٢/٢٢٨ - ٢٤٤

(المتوفى حوالى ٢٤٤ ﻫ) ، نشره (أوجست هافنر) ضمن مجموعة كتب الأضداد ، فى بيروت سنة ١٩١٣ م .

٦ ـ « كتاب الأضداد » لأبى حاتم بن محمد السجستانى (المتوفى سنة ٢٥٥ ﻫ) ، ونشره (أوجست هافنر) ضمن مجموعة كتب الأضداد السابقة .

٧ ـ « كتاب الأضداد » لأبى بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنبارى ، (المتوفى سنة ٣٢٧ أو ٣٢٨ﻫ) ، نشره (هوتسما) فى (ليدز) سنة ١٨٨١ ، على أساس مخطوطة (ليدن رقم ٥٥) ، وأخيراً حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، وطبع فى الكويت سنة ١٩٦٠

٨ ـ « كتاب الأضداد فى كلام العرب » لأبى الطيب عبد الواحد ابن على الحلبى اللغوى (المتوفى سنة ٣٥١ ﻫ) ، طبعه المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٦٣ بتحقيق الدكتور عزة حسن (١) .

٩ ـ « الأضداد فى اللغة » ، لأبى محمد سعيد بن المبارك ، المعروف بابن الدهان النحوى (المتوفى سنة ٥٦٩ﻫ) ، وهو بلا شواهد . وقد حققه ونشره الأستاذ محمد حسن آل ياسين ، فى بغداد سنة ١٩٦٣ فى (نفائس المخطوطات)(٢)

١٠ ـ « كتاب الأضداد » لأبى الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغانى ، وهو بلا شواهد . (المتوفى سنة ٦٥٠ ﻫ) ، ونشره (أوجست هافنر) وطبعه ضمن مجموعة كتب الأضداد ، فى بيروت (٣) .

١١ ـ وصنف فى الأضداد أيضاً : أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢١٠ ﻫ) . وقد أشار إلى ذلك فى كتاب « العققة والبررة » لأبى عبيدة

---

(١) وقد أهدانيه المجمع مشكورا . (٢) وقد أهدانيه المحقق مشكورا .

(٣) وعندى نسخة منه .

ابن معمر بن المثنى (فى مجموعة نوادر المخطوطات) ص ٣٣٩ جاء فيها : «ذكروا أن له كتاباً فى الأضداد ، ذكره ابن النديم. وياقوت، وابن خلكان».

١٢ ـ وصنف فى الأضـــداد : أبو العباس ثعلب . كما فى فهرسة ابن خير (٣٨٤)[١] .

١٣ ـ وصنف فى الأضداد : عبيد بن ذكوان ، من وراق المبرد، (كما فى الفهرست لابن النديم ٦٠)[٢] .

١٤ ـ وذكر السيوطى فى (المزهر ١/٣٩٧) بأن ممن ألف فى الأضداد : أبو البركات بن الأنبارى .

ويلاحظ :

(ا) أن كتب أبى عبيدة ، والتوزى ، وثعلب ، وابن ذكوان وأبا البركات بن الأنبارى : لم تصلنا حتى الآن .

(ب) وأن أبا الطيب ذكر قطرباً كثيراً ، والأصمعى ، والسجستانى ، والتوزى ، ولـكنه لم يذكر ابن السكيت ولا ابن الأنبارى (الـكوفيان) مع أنهما معاصران له[٣] .

(ج) وأن (هافنر) يرى أن كتاب ابن السكيت نسخة ثانية لـكتاب الأصمعى ، لـكثرة ما نقل عنه . أو رواية ثانية من ابن السكيت لـكتاب الأصمعى ، والأستاذ محيي الدين توفيق إبراهيم يرى فى كتابه « ابن السكيت اللغوى » : أن ما نسب إلى الأصمعى من كتاب الأَضداد : إنما هو لابن السكيت ، ويعتقد أن كتاب الأَصمعى فى الأَضداد مفقود . ويشارك

---

(١) نصوص فى فقه اللغة ليعقوب بكر ١٠٧

(٢) السابق نفسه .

(٣) مقدمة أضداد أبى الطيب (للمحقق) .

الدكتور رمضان عبد التواب فى هذا الرأى ، وأن ابن السكيت استعان فى تأليف كتابه بكتاب الأصمعى المفقود[١] .

(د) وأن كتابى ابن الدهان والصغانى مختصران مبوبان على حروف المعجم .

(هـ) وأن الكتب التى سردناها آنفاً كلها كتب كاملة فى موضوع الأضداد برمته .

(و) وقد استمرت أبحاث المحدثين بعدئذ حتى الوقت الحاضر .

● **ثانيا ـ كتب ذكرت أبوابا خاصة عن الأضداد :**

ذكر بعض العلماء فصولا خاصة عن (الأضداد) فى كتبهم ، مثل :

١ ـ « أدب الكاتب » لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ، وجاء فيه :

(ا) باب تسمية المتضادين باسم واحد .

(ب) باب أفعلت وأفعلت بمعنيين متضادين .

(ج) باب فعلت وفعلت بمعنيين متضادين .

٢ ـ وفى «فقه اللغة وسر العربية العربية» لأبى منصور عبد الملك الثعالبى (٤٣٠ هـ) : فصل فى « تسمية المتضادين باسم واحد » .

٣ ـ وفى كتاب « المخصص » لابن سيده أبى الحسن على بن إسماعيل (٤٥٨ هـ) فصل عن الاضداد ، فى السفر الثالث عشر .

٤ ـ وفى « المزهر » للسيوطى (٩١١ هـ) فصل فى (معرفة الأضداد) .

٥ ـ وذكر أبو عبيد ، فى كتابه : «الغريب المصنف» : (باب الأضداد)

---

(١) نصوص فى فقه اللغة ، البكر ١٠٤

• **ثالثا ـ كتب ذكرت امثلة للاضداد :**

١ ـ فى « ديوان الأدب » للفارابى . من الأَضداد : المغلب ، وناء ، والبين ، وغرض القربة ، والحوز (للسوق اللين والشديد) .

٢ ـ وفى « الصحاح » : الرس ، وعسعس ، وأمرست ، والأشراط ، وقفوتى (أى خيرتى التى أعتز بها ، أو تهمتى) ، والمكلل (الجاد الشجاع والجبان) ، ونصل السهم .

٣ ـ وعده ثعلب» فى مجاز الكلام وتصاريفه من الأضداد: مفازة، ومُنّة ، وقسط ، والساجد ، والقنيص ، والغريم .

٤ ـ وفى « نوادر » ابن الأعرابى : القشيب ، والزوج ، وجزتك وجزت بك .

٥ ـ وفى « أدب الكاتب لابن قتيبة » : فوق ، ودون .

٦ ـ وفى كتاب « المقصور والمدود » للأندلسى : الشرى (رذال المال وخياره) .

٧ ـ وفى « المجمل » لابن فارس : المجانيق (للابل الضمر ، أو السمان) وإنهــا من الأضداد . وحكى ابن دريد فى « المجمل » تظاهر القوم إذا تدابروا ، فكأنه من الأضداد ، وفيه : العقوق : الحامل ، والحائل أيضاً .

٨ ـ وفى كتاب (المشاكهة) للأزدى : متين (للقوى والضعيف) .

٩ ـ وفى (الأفعال) لابن القوطية : أقنع : رفع رأسه ، أو نكس ، وأشجذ المطر : (أقلع ودام ، من الأضداد) .

١٠ ـ و «فيما اتفق لفظه واختلف معناه» للمبرد : جلل ، وظن ، وشك .

١١ ـ وفى « الجمهرة » لابن دريد : « البك » (للتفريق والازدحام) ، والشراشر (للحماية والحفظ أو إلقاء الثقل) ، وسوى ، والغابر ، والنبه (للضائع والموجود أيضاً) .

١٢ ـ وفى نوادر أبى زيد : البسل ، والجادى .

١٣ ـ وفى « القـاموس المحيط » أكمت (انطلق مسرعاً أو قعد) ، وقعث العطية : (أجزلها أو قللها) ، والشحشح : (ما يسيل من المطر الكثير أو القليل) ... الخ، من الشيء الكثير .

١٤ ـ وذكر القلقشندى ألفاظاً منها : الجون ، والقرء ، والصريم ، ووراء .. وقال : إن فى أدب الكاتب « جملة من ذلك ، وكذا فى «صناعة الكتاب » لأبى جعفر النحاس أيضاً ، وكذا فى « كنز الكتاب لكشاجم » وذكر القلقشندى ـ أيضاً ـ الحاجة إلى معرفة الأضداد للتمييز بين الحقائق التى يقع فيها اللبس »[١] ، فلابد من معرفته .

وهذه الألفاظ التى ذكرت فى الكتب التى تناولتها ربما عثرنا عليها فى كتب الأضداد التى ذكرناها ، أو لم نعثر على بعضها ..

وقد رأيت كتباً قيمة تناولت هذه الألفاظ وغيرها ، وفسرها كبار الشراح بأنها من الأضداد واستشهدوا لها .. وهذا ما لفت نظرى إلى أنها آكد وأوثق فى باب الأضداد ، وسنعود إلى الإشارة إليها وإلى بعض شواهدها ، والكتب المختلفة التى تناولتها ، والعلماء الذين فسروها .

* * *

● **أبحاث المستشرقين فى الأضداد :**

بحث المستشرقون الأضداد فى اللغة العربية[٢] ، ونذكر منهم :

١ ـ « ردسلوب »، الذى كتب : (الأضداد فى العربية) سنة ١٨٧٣م.

٢ ـ والمستشرق « جيز » له : دراسات فى الأضداد ، على أساس ماورد منها فى الشعر العربى القديم سنة ١٨٩٤ م .

٣ ـ والمستشرق « نولدكه » بحث قيم فى الأضداد سنة ١٩١٠ ، وتعرض ـ أيضاً ـ للأضداد فى اللغات السامية الأخرى .

(١) صبح الأعشى ١/ ١٠٤   (٢) نصوص فى فقه اللغة لبكر ٢/ ١٠٨ ــ ١١٠

٤ ـ وفى دائرة المعارف الإسلامية ، (الطبعة الإنجليزية ١/ ١٨٤-١٨٦) ، كتب المستشرق « وايل » بحثاً تحت مادة : (أضداد) .

٥ ـ ونظم « جاك برك » أبحاثاً ومناقشات رأسها « بلاشـــير » ، عن الأضداد فى العربية وغيرها بالمدرسة العملية للدراسات العليا بالسوربون سنة ١٩٦٠ ، وتحدث فيها « داود كوهين » عن (محاولة لتصنيف الأضداد وتفسيرها) . كما تحدث فى الأبحاث والمناقشات كثيرون ، وضم كل ذلك فى كراسة عن (الاضداد) فى العربية وغيرها .

٦ ـ ونشر «داود كوهين» بحثاً موسعاً فى مجلة (عربى) فى المجلد الثامن فى يناير سنة ١٩٦١ من صفحة ١ ـ ٢٩، بعنوان (الأضداد والغموض اللغوى فى العربية) .

وما زالت الأبحاث تتوالى على هذا الموضوع تأييداً لإثباته . أو نفياً لوجوده . أو توسطاً بين هذا وذاك .

* * *

● **الأضداد والمشترك اللفظى فى غير العربية :**

يكاد يجمع الـكثيرون على أن المشترك اللفظى يوجد فى جميع اللغات ، غير أن بعضهم يرى أنه لا تضاد فى غير العربية .

والحقيقة أن معرفة أخوات العربية من الساميات ، ونشاط البحث فيها فتح أبواباً ما كنا نعرفها :

فقد توصل الدكتور كمال ربحى فى كتابه : « الأضداد فى العربية » . . من خلال أحاديثه مع بعض رجال العبرية والسريانية اللغويين إلى أنهم اعترفوا « بوجود ألفاظ قليلة جداً فى اللغتين العبرية والسريانية . وأنهم يرون أن لـكل من هذه الألفاظ معناه الخاص . وأن الاستعمال لم ينصرف

إلى المعنى المضاد إلا لداع بلاغى كالتفاؤل أو التهكم . أو اجتناب التلفظ بما يكره أو يمجه الذوق ، أو بما لم يؤلم المخاطب . بمعنى تلطيف التعبير عن شيء بغيض » .

ويقول : إنه أمكنه فى دراسته العثور على ألفاظ عبرية وسريانية تدل على المعنى وضده ويخرج معظمها عن نطاق ماسمى بتلطيف التعبير(١) .

وهذا القول من الدكتور ربحى كمال يشجب قول القائلين بأنه لا تضاد فى العبرية (المقدسة) كما قال الأستاذ إبراهيم بن عزرا (١٠٩٢-١١٦٧ م) حينما جزم بأن هذا لا يمكن حدوثه فى أية لغة (كذا) لأن الكلامات كملامات يراد بها الدلالة على ما فى نفس المتكلم : فإذا كانت الكلمة على النحو الذى يزعمونه (من وجود الأضداد) لم يتيسر الفهم للسامع(٢) . ففى كلام بن عزرا مبالغة ، إذ ليته نفى الأضداد من العبرية وحدها وسكت ، ولم يعمم الكلام على أية لغة .

وذكر الدكتور ربحى : أن الاشتراك ظاهرة مألوفة فى اللغات السامية . وأكد كباحث ، له إلمام ببعض أخوات العربية : أن من التعسف إنكار التضاد ، ومحاولة تأويل أمثلته جميعاً لإخراجها من باب التضاد(٣) . .

والشعوبيون الذين يقتهمون مثالب العرب ، وينكرون عليهم مزاياهم ، رموا العرب بنقصان الحكمة وقلة البلاغة وكثرة الالتباس فى كلامهم ، لورود ألفاظ التضاد فى لغتهم . وهذا رأى باطل كما ذكر ابن الأنبارى(٤) .

وعقد الدكتور ربحى مقارنات بين كلامات عبرية وآرامية ، وسريانية ، وعربية ، جاءت أحياناً قريبة من بعضها وأحياناً بعيدة ، ونحمد الله على أن

---

(١) الاضداد لربحى كمال ٣، ٤، ٢٩ (٢) نصوص فى فقه اللغة لبكر ٢/١١
(٣) الأضداد لربحى كمال ٥ - ٩ (٤) السابق القلاعن عن أنبارى ٢٠

مقارناته من لغات مختلفة حتى لا يتلقفها علماء الأصوات اليوم ، ويقولون : إن ما حدث إنما هو نتيجة لتطور صوتى . وهناك نموذجاً لما أتى به[1] :

عبرى	آرامى	سريانى	عـربى
إرض	أرعا	أرعا	أرض
هن	هين	إين	إن (نعم)
يشف	يثب	يثب	وثب (جلس)
مزمور	مزمورا	مزمورا	زبور (مزمور)

ثم عقد الدكتور ربحى مقارنات لما عثر عليه من ألفاظ الأضداد في العبرية ، وما اتفق مثله معه فى الأضداد فى العربية مثل :

(أون) فى العبرية بمعنى القوة والألم ، ومثلها (الأون) فى العربية تطلق على الدعة والثقل ، ومثل لها فى اللغتين .

وفى العبرية (أمر) بمعنى : قال ، أيقن ، ظن . وفى العربية (ظن) : بمعنى شك ويقين .

وفى السريانية (أمر) ، بمعنى : قال ، أيقن ، ظن .

وفى العبرية (آز) ظرف زمان ، للماضى والحاضر والمستقبل . ويقابلها فى العربية (إذ ، وإذا) .

وفى العبرية والعربية والسريانية : (بشر) للبشارة والإنذار (فى البشارة السيئة كما فى بشراك أيوب ، فى الإصحاح الأول من سفر أيوب عليه السلام) ، وفى القرآن الكريم ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2] . وأتى بشواهد من العبرية والسريانية لذلك .

---

(١) الأضداد لربحى كمال ٢٧ (٢) آل عمران : ٢١

(وجال) ، وجليل يطلق على الكتلة الصغيرة ، وعلى الحجر الكبير الثقيل ، ويقابله فى العربية : (الجلل) المستعمل فى الجليل والهين .

وكذلك (حصر وحضر) لأهل البادية والحضر فى اللغات الثلاثة . .

وكذلك (نئمان) والأمين : للأمين والمؤتمن . . و (نهيلة) وناهل للريان والعطشان . والنفش والنفس ، للنفس الحية وجسد الميت وساق أمثلة لذلك فى اللغات الثلاثة . (وناع وناء) : لنهض وسقط . (وشفر وبثر) الماء القليل والكثير[1] .

ثم عقد الدكتور فصلا لألفاظ الأضداد فى السريانية ، وقابله بالعربية مثل :

(أجير) وأكرى للمكترى والمكترى . و (هلع) وهلوك للحسنة التبعل والساقطة ضد .

و (زبينا) بمعنى مشتر ومبيع ، كما فى (شرى) فى العربية ، وأزبن فى السريانية باع واشترى ، وفى العربية (الزبن) للثمر : بيعه على شجره ، وأصله الدفع من زبنت الناقة .

وفى السريانية (حسيا) للكريم الفاضل ، والحقير المستهان به ، وفى العربية : الأحسم : القاطع للأمور .

و (طلوما) وظلوم ومتظلم ، للظالم والمتظلم ، و (كركا) للمدينة والقرية .

و (عافورا) للعابر والمؤقت ، وفى العبرية (عوفر) ، وفى العربية (غابر) للماضى الآتى .

وفى المشترك (نونا) و (نون) للسمكة والحوت ، ولقب ليونس عليه السلام .

---

(١) السابق ٣١ ـ ٤٢ .

و (نفيلا) للساجد والواثب ، ومثلها (سجد) فى العربية . و (رج) و (رجا) للطمع والتمني والخوف ، و (شجر) و (سجر) للفارغ والمملوء ، وللأ وسكب ، و (حشب) و (حسب) للعلم والظن والتيقن والرجحان . و (الحنيف) و (حنف) للمائل عن الشرك وعدم التقوى .

و (أقوى) وقوى ، خــــلا المنزل أو ثبت وأقام به ، وفى العربية القواء : الفقر .

و (النبيل) فى السريانية بمعنى ذى النجابة والفضل ، وفى العبرية (نفال) للشرير واللئيم ، وفى العربية (نبيل) للنبيل وللخسيس .

و (الهدر) فى العربية للساقط ، و (الهدور) فى العبرية : الفخم الجليل ، وفى السريانية (الهديرا) للجليل والسنى .

و (أنكر) الشيء : جحده واعترف به[١] .

ثم فصلا للألفاظ التى تدل على المعنى وضده فى العربية ، وتدل نظائرها على أحد المعنيين فى العبرية ، أو فى السريانية ، جاء فيه :

(الأرز) للقوة والضعف . و (بسل) و (بسول) و (بسيلا) للحلال والحرام . و (البكر) للثيب والبكر .

و (البين) للافتراق والاتصال ، وفى غير العربية لما يدخل بين الشق أو بين الشيئين .

و (القلعة) أو (شلعة) لما هبط أو ارتفع . وكذلك (الثم ، والجبر ، والجديد ، وثل عرشه ، وأخفى ، وحرس والحميم ، والزبيب ، ورتا ، والخل ،

---

(١) المصدر السابق ٤٣ ــ ٦٩ بتصرف

والدائم، والذوح، والرجاء، والركوب، والرحلاء (للنعجة السوداء والبيضاء) والزعوم، والرهوة، والزوج، وأسر، ومشب (للشاب والشائب)، وشام، وعفا، والعروب، والعميت (للأبله)، والأعور، والعنوة، ووعد، وهجر، ونطفة(١) ...

وقد أطلنا الوقوف مع الدكتور ربحى، لتأنس النفس والعقل بالأضداد فى لغتنا وفى بعض شقيقاتها أيضاً.

والحق: أن الدكتور ربحى أسدى للعربية يداً لا تنسى، حين كتب هذا البحث القيم، فأوقفنا على أصول كلمات كثيرة، وإلى أى لغة تنتسب عن يقين لا حدس وتخمين.

كما أوقفنا على كثير من الألفاظ التى فيها تضاد أو شبه تضاد فى العبرية والآرامية والسريانية، وساق لنا ألفاظ تضاد فى العربية وعتها بطون المعاجم، ولـكن لم ترد فى كتب الأضداد، مثل: اليم للبحر والنهر، والنفس للحى والميت، والنون للسمكة والحوت، والقول للشك واليقين، والشريد للطريد والباقى، والسائر للباقى والجميع، والشغل للعمل واللهو..

وأوقفنا على خطأ من قالوا: بأنه لا تضاد فى العربية ولا فى غيرها، مثل: (ابن عزرا السابق)، الذى نفى التضاد عن اللغة المقدسة (العبرية) وغيرها، وظهر أن التضاد كما هو فى العربية هو فى غير العربية.

واستفدنا منه أن اتساع التعبير فى العربية لسبب ما يوسع باب العربية اتساعاً كبيراً وأوجه المقارنة والمشابهة التى عقدها بين العربية وأختيها: السريانية، والعبرية.. يمكننا أن نسير على نمطها مع بقية الساميات، وبذلك تتسع الرؤية، ويعظم نطاق البحث، ويرى الباحث ضوءاً كافياً يحمى من التردى والتخبط.

---

(١) السابق ٧٠ – ٩٧

ولو صنع بعض علمائنا صنيع هذا الباحث ، لاتضحت الحقائق أكثر وأكثر ، بدلا من أن يكيلوا التهم جزافاً لعلمائنا الأجلاء القدامى ، رحمة الله عليهم ، أو يسيروا فى التيه .

ولعل فيما ذكرناه من كتاب الدكتور ربحى كمال وغيره ، مايمنع من سخرية الأستاذ حسين محمد الذى كتب منكراً الأضداد فى اللغة العربية[١] ، وابتسم ابتسامة رثاء لبعض الأمثلة التى ذكرها قطرب : شيخ المؤلفين فى الأضداد ، وكان أشد منه فى السخرية وابتسامة الإشفاق ، والتشدد فى إنكار الأضداد : الأستاذ عبد الفتاح بدوى[٢] الذى باهل ويباهل بأنه لا أضداد فى العربية . ونحن الذين نباهله الآن بأن فى العربية أضداداً ، كما فى أخواتها .

* * *

(١) مجلة اللسان العربى مجلد ٨ ج ١ (٢) السابق .

أصل الأضداد ونشأتها

ذكرنا طرفاً مما ذكره المستشرقون في ظاهرة الأضداد ، باعتبارها من الأبحاث اللغوية التي قاموا ببحثها .

واللغويون من العرب قد قصروا جهودهم على الأضداد في العربية ، ولم يبعدوا عنها - حين بحثها - لا تاريخاً ولا لغة ولا اجتماعاً ، وحاولوا أن يتبينوا أصولها ونشأتها ومسالكها في اللغة العربية نفسها ، ونشأة الأضداد هي نشأة المشترك :

أولا يثبته ابن دريد إذا كان من لغة لقبيلة واحدة ، لأن التضاد حينئذ يكون متحققاً في الوضع . قال في الجمهرة : « الشعب : الافتراق ، والشعب : الاجتماع ، وليس من الأضداد ، وإنما هي لغة قوم » . وتابع بعضهم ابن دريد في رأيه هذا[1] .

ثانياً - ورأى الجمهور من العلماء إثبات التضاد على أن يكون ذلك من قبيلتين لا من وضع قبيلة واحدة ، وإنما أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحيّ غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء .

وذكر ابن الأنباري هذا الرأي عن آخرين بقوله[2] :

« إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر

---

(١) الجمهرة لابن دريد (الأضداد) . (٢) أضداد ابن الأنباري ١١ .

لحى غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض » ، ومثل بالجون : فهو الأبيض فى لغة حى ، والأسود فى لغة حى آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر .

وارتضى أبو على الفارسى هذا الرأى حين قال :

« أما اتفاق اللفظين ، واختلاف المعنيين ، فينبغى ألا يكون قصداً فى الوضع ولا أصلا ، ولـكنه من لغات تداخلت »[١] . وهذا ما يفسر نشأة الأضداد من اختلاف اللهجات العربية : كوثب بمعنى طفر ، عند مضر . وبمعنى « قعد » عند حمير و « سجد » بمعنى انتصب عند طىء ، وبمعنى « انحنى » عند آخرين ، و « السدفة » بمعنى الظلمة فى لغة تميم ، وبمعنى : الضوء فى لغة قيس ... واختـلاف لغات (لهجات) العرب كلها حجة .

* * *

وابن درستويه أشد المنـكرين للأضداد : اضطر إلى الاعتراف بالشىء النادر منه ووقوعه فى اللغة ، فسبب التضاد عنده :

تداخل اللغات ، أو حذف حرف التعدية من الفعل اللازم لـكثرة الاستعمال ، أو تشبيه الفعل بمرادفه فى المعنى ، بما يعرف باسم (التضمين[٢]) فهو عنده من تداخل اللغات[٣] . وابن الدهان يرى أيضاً هذا الرأى[٤] .

فالرأى الأول يشترط لإثبات التضاد الواضع الواحد ، والرأى الثانى يقول باستحالة الواضع الواحد ، بل لابد من وضعين ، وتداخل اللهجات .

ونحن نؤيد أن يكون من واضع واحد ، كما نراه من واضعين :

أما من واضعين فلأن اللهجات كلها حجة ، كما قال ابن جنى . وأما من واضع واحد ، فلما ذكره ابن دريد ، ولما قاله الشيخ عبد الله العلايلى بقوله :

---

(١) المخصص ١٣/٢٥٩ — (٢) وقد سبق أن ذكرنا شيئا عنه

(٣) المزهر ١/٣٨٥ — (٤) أضداد ابن الدهان .

« وأما نحن فنرى فى وضعه رأياً آخر يجعل كل تقدير يرمى إلى عدم قصده بالوضع خطأ محضاً : وذلك لأنا رأينا كيف أن العربى كان يستخدم الملاحن فى أغراض حازبة ، وظروف محرجة على ما عرض علينا « القالى » من أمثالها ، وشيخه ابن دريد من قبله فى كتابه « الملاحن » ، وتجاوز ابن دريد حد العرض إلى نوع من الاستفادة بها لا يبعد أن يكون كذلك عند العربى ، ولهذه الغاية ، قال ابن دريد فى سبب تأليفه :

« إنه وضعه لأجل المضطر والملجأ إلى الشهادة أو اليمين » : أى وضعه « حيلة قضائية » عن طريق اللغة .

فإذا صح هذا فقد كان العربى يقصد إلى الوضع على هـذا النحو من الغموض ، ليتسنى له تحقيق أغراضه حين الملحفة ، والإبانة عن أفكاره حينما تحوم حوله الأذن .

وإذا كانت الأضداد حيلة لغوية تفسر على هذا الوجه فيتحتم علينا جداً أن نتريث فى درسها لأنها قد توقعنا على نحو من « الشيفرة » عند العرب ، إذا قبلت هذه التسمية »(١) .

فالشيخ العلايلى يجوز قصده بالوضع ، ودليله أن العربى كان يقصده بالوضع كما فى « الملاحن » ، التى تتطلبها حالة الاضطرار ، والحيلة البارعة ، وجعله نوعاً من « الشيفرة » عند العرب .

ويرى الشيخ العلايلى أيضاً أنه :

« من الخطأ نحوياً بالنظر إلى الضد كظاهرة وحده ، بل ضرورى أن يجعل وجهاً من الاشتراك اللفظى ، وعليه فيقسم الاشتراك إلى قسمين : (ا) (ملاحن) كعين وحاج . (ب) و (أضداد) كبعد ووراء .

---

(١) المقدمة للعلايلى ٢٢٥

كما فرق العلايلي بين الملاحن اللغوية والملاحن الأدبية : لأن الأولى مرجعها إلى تعدد الوضع فيها ، والثانية مرجعها إلى لياقة الاستعمال وتصنع الكناية ، ولو في الموضوع وضعاً واحداً ؛ كما في قصة الأسير في بكر ابن وائل ، حين لحن إلى قومه ففهموه ، ولم يفطن غيرهم .

ونبه الشيخ العلايلي أيضاً على أنه : « يمكن أن ينزل منزلة الاعتبار أيضاً في هذا الذي يسمونه بالضد ، وهو الاستعمال الخطأ وغلبته »[١] . ومثل لذلك بإحلال (البرهة) في محل (الفترة) القليلة من الزمن ، والمعنى في الوضع العربي القديم ـ عكسي تماماً .

وأخيراً يرى الشيخ العلايلي ـ وهذا غريب منه ـ « أن الاشتراك عامة ، والضد الذي هو نوع منه : ظاهرة من ضعف اللغة وطفولتها ، مهما التمس لتفسيره ، ومهما استخدم في شرحه وتعليله . وأما من حيث ما يلزمنا منه اليوم في العمل اللغوي . . فإنه لا يلزمنا في شيء . بل على العكس يضر به ضرراً بليغاً ، ويشوبه بكثير من القلق وعدم الاستقرار »[٢] .

وهذا غريب من شيخنا العلايلي : فبعد أن رأى أنه قد يتأتى من الواضع الواحد ، وبعد أن ذكر أنه كحيلة قضائية ، أو شيفرة عند الحاجة والاضطرار . . عاد ليقرر أنه دليل طفولية اللغة ، وأننا لسنا بحاجة إليه . . مع أن حاجاتنا اليوم زادت عن الأمس ، والحيل اللغوية ربما كانت حاجتنا إليها اليوم أشد منها بالأمس . وإذا كان الشيخ العلايلي قد رأى الترادف ظاهرة صحية لغوية ، وأنه سبب غناها . . فإنا نقول : إن الاشتراك ـ والضد نوع منه ـ لازم للغتنا أيضاً ، مادامت أسباب الحيل اللغوية ، ودواعي

---

(١) السابق ٢٢٦ (٢) السابق ٢٢٦

«الشيفرة» موجودة، (ونحن فى حرب طويلة مع عدو ماكر، وعساه بالتضاد لا يحل الشيفرة بسهولة).

• وعلى أساس أنه من واضعين أنكره ابن درستويه وفريقه، حيث يقول فى رد الأضداد: «وإنما يجىء ذلك فى لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار وقع فى الكلام، حتى اشتبه اللفظان، وخفى سبب ذلك على السامع، وتأول فيه الخطأ ...»[(١)] بينما يشترط بعضهم لإثباته الواضعين.

ثالثاً ـ قد يجىء التضاد من انتقال اللفظ عن معناه إلى معنى آخر، للظرفية كالكأس، أو لنكتة بلاغية حسنتها المشاكلة مثلا، كقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[(٢)] فالثانى معناه: الترك والإهمال المقصود.. وقد يكثر استعمال المنقول وينسى الأصل، ويصبح إطلاقها على ما يقابل مدلولها الأصلى فى قوة استخدام اللفظ فى حقيقته، كما سبق أن أشرنا.

ويؤيد هذا ما قاله أبو على الفارسى فيما رواه عنه ابن سيده:

من أن «اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغى ألا يكون قصداً فى الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى، ثم تستعار لشىء فتكثر وتغلب، وتصير بمنزلة الأصل»[(٣)].

رابعاً ـ وحكى ابن الأنبارى رأياً كان له أثره فى تعليل نشأة الأضداد عند من جاء بعده، يقول:

«وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع، فمن ذلك: (الصريم): يقال لليل صريم، وللنهار صريم؛ لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم

---

(١) المزهر ١/٣٨٥ (٢) التوبة: ٦٧ (٣) المخصص ١٣/٥٩

من الليل . فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع ، وكذلك (الصارخ) : المستغيث ، والصارخ المغيث : سميا بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فأصلهما من باب واحد »(١) .

فابن الأنبارى يؤيد جواز أن يكون منشأ الأضداد من واضع واحد ، على الاتساع . وأيضاً من واضعين : بمعنى إثباته مطلقاً ، واعتبار الضد مشتقاً من أصل الوضع ؛ إذ الأصل لمعنى واحد . ووافقه الدكتور أنيس على هذا(٢) .

واشتراك الضدين فى المعنى العام ، وصلوح (اللفظة لكليهما) هو ما سماه علماء الأصول بالمشترك ، (كالقرء) و (الزوج) ... (والرافعى يرى هذا الرأى جدلياً ، ويظن القائلين به من علماء الكلام)(٣) .

والشيخ الخضرى يراه سبباً لنشأة الأضداد ، ووضحه بأن يكون بين المعنيين فكرة واحدة تجمعهما ، فيصلح اللفظ لكل منهما لاشتراكه فى هذه الفكرة ، وحين يغفل الناس عن هذه الفكرة المشتركة يظنون أن اللفظ من الأضداد ، ومثل له (بالصريم) ' الذى أصله من الانصرام ، بمعنى الانسلاخ ، لأنهما : (الليل والنهـــار) ينسلخان من بعضهما ، وهما متداخلان(٤) . ويستشهد لذلك بقوله تعالى : ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾(٥) .

ويرى الشيخ العلايلى : أن ابن حبيب المصرى ، أقرب الباحثين قصداً فى التقدير : « حين ذهب مذهباً فذاً ولكنه قريب من المعقول أيضاً ،

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ٨

(٢) فى اللهجات لأنيس ١٩٩

(٣) تاريخ آداب اللغة للرافعى ١/١٩٨

(٤) الاصول للشيخ الخضرى ١٧٤

(٥) الحج : ٦١

وكانت نتيجة البحوث التى عرض بها للأضداد ونشرها ، أو انتشر بها على اللغة . . أن الضد وجوده ليس بالقصد إليه ، وإنما كان من عموم المفهوم اتفاقاً ، فهو من لواحق الماصدق .

وانظر كيف يخرج مثلا (وراء وجلل وسواهما) التى ذكروا أنها ضد ، قال : (وراء) حرف موضوع بمعنى التوارى ، وهو حاصل فى الأمام والخلف . و (جلل) حرف موضوع للغاية فى الشىء ، فيوصف به العظيم والحقير ، ثم قام مقام الموصوف فكان ضداً . . ويقول الشيخ العلايلى بعدئذ: «وكل ما يهول به من هذا لا يخرج عن أن يكون اجتهاداً صرفاً ، ولا شاهد عليه من اللغة يثبت له هذا الاتصال »[١] .

وذكرنا هذا الرأى لابن حبيب ، لأن بعض المحدثين تلقفه ونادى به ، ولم يشر إلى مصدره . والفكرة قائمة على عموم اللفظ ، والمعنى الأصلى والمشترك للفظ ، وقوله : إن اللفظ قام مقام الموصوف . . اعتراف بالنقلة ، وهى جائزة . وكثيراً ما تنسى خطواتها فتصير كالأصل . .

وقد قال بعض الباحثين : إن القول بأن علة الأضداد هى : « المعنى الأصلى للألفاظ » من أهم العلل وأخطرها ، ويحتاج لمزيد من البحث والجهد .

خامساً ـ ونسيان الأصل ، والالتفات إلى المظهر أو المظاهر ، عند الشيخ الخضرى علة لنشأة الأضداد :

أى أن يطلق اللفظ على شىء واحد تتغير مظاهره أحياناً ، فلا يفطن السامع إلا إلى المظهر ، فيحكم بالتخالف والتضاد . . ومثل لذلك بلفظ : (الجون) ، والأصل فيه أن يُطلق على السحابة ، ومنها الأسود والأبيض ، فغفل الناس عن الأصل (السحابة) وفطنوا ـ فقط ـ لمظاهرها من السواد

---

(١) المقدمة للعلايلى ٢٢٥

والبياض ، فأطلقوا الجون عليهما »[١] . ويعلق الشيخ الخضرى بأن اللفظ إذن - بناء على الأصل والمظهر - ليس من الأضداد ، لأن السحاب لا يطلق مجرداً من كل صفة .

ونقول : لئن غفل الناس عن الأصلى ، فقد بقيت كثرة الاستعمال كأنها أصل .

سادساً : وذكروا من علل نشأة التضاد ، ما عدوه من باب التفاؤل والتطير والتهكم : أو التعبير بلفظ محبوب عن لفظ مكروه ، أو العكس تفكهاً أو تقبيحاً ، ويقول السجستانى - فى باب المقلوب لفظه فى كلام العرب عن جهته والأضداد - :

« إنما قيل للعطشان : ناهل على سبيل التفاؤل ، كما يقال : المفازة للمهلكة على التفاؤل . . . لأن معـــنى فاز : نجا ، فالمفازة المنجاة ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾[٢] ، (أى بمنجاة) .

وبعضهم يرى فى مثل هذا النوع أن المعنى الثانى من باب المجاز والأول هو الحقيقى ، ومعنى الضدية لا يتحق بين الحقيقة والمجاز ، لأنهما لا يتساويان فى فهمهما من الكلمة ، وبالانتقال فى فهم المعنى الثانى بالقرينة تفويت لمعنى الضدية[٣] .

وهذا الرأى سبق أن أشرنا إليه وإلى نقده فى التقدمة بين يدى المشترك ؛ فضلا عن أن بعض الألفاظ كفوز وسلم ، أثبت بعض اللغويين لها معانى أخر ، كالموت للفظ (فوز) لما حكاه ابن الأعرابى ، والخطوات المجازية كثيراً ما تنسى وتهمل ، ولا يطفو على السطح إلا المعنى الثانى عند الاستعمال .

---

(١) الأصول للخضرى ١٧٤ (٢) الأضداد للسجستانى ٩٩ ـ والآية من آل عمران : ١٨٨

(٣) مجلة اللسان العربى مجلد ٨ ج ١ ص ١١٣

ومثل ذلك قولهم للأعمى : يابصير ، وللملدوغ سليم . . . ، وللعرب ـ كشأن أية أمة أمية بدوية ـ سهم وفير فى جانب حب التفاؤل ، هروباً مما يسوءها إلى ما يريحها ، وفراراً مما يزعجها إلى ما يسعدها . . واللغة ـ كما ذكرنا ـ كما تكون للشئون العادية فهى للجانب الإمتاعى ومنه التهكمى الساخر ، إرضاء لما يشفى الغليل ، ويؤلم الخصم ، وينال من العدو ، ويظهر بلاغة التعبير .

ذكر الأقدمون ذلك ، وتابعهم عليه المحدثون .

غير أننا وجدنا أن بعض قدامى اللغويين ذكر أن الأمر على بابه (وضعاً) ، وليس هناك من التفاؤل أو التشاؤم أو التهكم ما يعتبر جواز مرور إلى القول بعملية التشاؤم والتفاؤل :

فقد قال بعضهم : إن (فاز) من فوز بمعنى: مات وسلم ، عن ابن الأعرابى و (سليم) من سلم وأسلم بمعنى تركوه يأساً من شفائه لعلامات قرب وفاته .. وهذا ما يجعلنا نرجح أن الأضداد ـ من هذا القبيل ـ وضعت وضعاً ، وليس هناك كبير تجوز فى النقل من باب ما نحب إلى ما نكره أدباً أو سخرية ... فلسنا بحاجة إلى تأويل بعض ألفاظ الأضداد على سبيل التفاؤل ، أو اتقاء لما يمجه الذوق ، أو يؤلم الخصم .

ولايمنع أن يكون لهذا أصل قديم كما ذكرنا ، وامتداد حديث مشاهد: فما زلنا نقول للسوداء : (قمر أربعة عشر) ، وخذ (المليان) للفنجان الفارغ ، ونحيف القوام للمفرط فى السمنة ، (والمسكة) لروث البهائم ، والناصح للغبى ، والعاقل للأحمق والمجنون ، وياحلو للدميم ، والميمون للقرد (وهو ما يتشاءم منه) ، وأعور العين للغراب وهو حاد البصر ، (واجبر الزاد) ، وجبر الخليج لكسره ، وفلان بعافية وهو مريض .

ويرجع بعضهم التشاؤم والتفاؤل إلى غرائز الإنسان ومدى حظه من الوعى والثقافة ، فكلما كان حظه ضئيلا .. كان مفرطاً فى التشاؤم . .

كما ربط عاملى التطير والتهكم بعضهما ، وقال : بإمكانية تفسير الأضداد بهما ، نظراً لتعقد وتعدد الظروف الاجتماعية التى مهدت لتطور معانى الكلمات ، وصعوبة تعيين الملابسات التى اكتنفت هذا التطور .

فالمسجور – لعله الملآن – ولكن خوفاً من أن يفرغ ويهدد .. قيل له : الفارغ أيضاً . والناقة الحائل إن قلنا : إنها قليلة اللبن تفاؤلا بأن تمتلىء ، والعكس منعاً للحسد ، ومنه البنت القبيحة للجميلة منعاً للحسد ، كما عزا التجديد والنزوع إلى الخروج عن المألوف فى التهكم مثل : قشيب للخلق ، للهزء والمرح والسخرية ، وحبهم إلى التجديد[1] .

وللسجستانى كتاب فى الأضداد أسماه : « المقلوب لفظه فى كلام العرب عن جهته ، والأضداد » ويمكن أن نلمح من اسم الكتاب تسميتهم للعنكبوت ليثاً ، وتسمية القبر بالبلد ، والأثر بالبلد ... للقوة الواضحة حسياً فى الليث بمعنى الأسد ، والواضحة بيانياً فى الليث بمعنى اللسن البليغ ، وفى مقابلة السكنى والعمران فى مقابل البلد بمعنى كل قطعة من الأرض عامرة ، ومكة والتراب .. ويمكن أن تنجر هذه المعانى السلبية فى عدد من الكلمات التى جاء اشتراكها عن طريق مقابلة المعانى بعضها ببعض لنكتة بلاغية ، أو بسبب تداخل اللغات .. على أنك حين الكلام بالقلب ، أو حين تعبر عن الشيء السيء بالعبارة الحسنة فأنت واثق من فهم المخاطب لكلامك ، فليس هناك لبس ولا تعمية ولا إبهام .

---

(١) الابحاث لأنيس ١٩٦ – ١٩٨

سابعاً : وقد يجيء التضاد من مؤدى المعنى الواحد باختلاف المواقع . مثل : (فوق) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾(١) ، أى فما دونها .

وبعضهم يرى أن (فوق) فى هذا المثال وما شابهه تدل على معناها الأصلى : أى ما يفوق الذبابة حقارة . فهى لم تستخدم بمعنى دون ، وإنما جاء هذا المدلول من مؤدى معناها الأصلى فى مثل هذه الآية .

وقاسوا على ذلك (فتحت القنطرة) للمشاة أو للسفن . إذ استعمال فتح فى معنى يستلزم قفلها فى مجال آخر ، فجاء التضاد من استعمال اللفظ فيما يؤدى إليه معناه الأصلى ، وما يترتب عليه بالنسبة للمارة(٢) .

وخرجوا على ذلك (جلل) و (وراء) : للغاية فى الشيء ، والموارة . كما ذكرنا ذلك لابن حبيب وغيره من قبل .

ونقول : إن الشواهد تسعف فى مثل لفظ فوق ، ودون . . على أنها استعملت فى الأضداد فعلا بشواهد صريحة فصيحة . أما أمر النسبية هـذه فربما لم يفهمها البدوى وهو رب اللغة ؛ إذ كانت مثل هذه الفلسفات أبعد شيء عنه .

ثامناً : وقد تأتى الأضداد من عوامل تصريفية واشتقاقية :

وتؤدى تلك العوامل إلى أن تتفق لفظتان تتقاربان فى صيغة واحدة ، فينشأ عن ذلك لبس فى معنى الصيغة المشتركة ، يؤدى إلى عدها من باب الأضداد . وليست منه فى شيء .. مثل : مرتد ، ومزداد ، ومختار ، ومبتدع ، ومصطاد ... اسماً للفاعل ، واسماً للمفعول(٣) .

---

(١) البقرة : ٢٦ (٢) فقه اللغة لوافى ١٩٠ ، والمقدمة للعلايلى ٢٢٥ .

(٣) فقه اللغة لوافى ١٩٠

ذكر هذا بعض المحدثين ، على أن قدامى اللغويين قد نبه عليه ، واشترط للأضداد أن تكون صيغة اللفظ ذى المعنيين المتضادين واحدة :

فلم يرتض قطرب أن تكون من الأضداد صيغة أخذمت النعل ، بمعنى أصلحته ، وخذمته بمعنى أفسدته وقطعته ، للمخالفة فى اللفظ ، وتابعه على ذلك أبو الطيب اللغوى وابن الأنبارى[١] . وذكر قطرب كثيراً من أمثلة ذلك فى أضداده ، وأخرجها منها ، غير معترف بها .

ولم يرتض ابن الأنبارى فعل المجرد ، وفعل المضاعف ، وأخرج بذلك : (بدن) بمعنى : سمن وحمل اللحم ، و (بدّن) بمعنى أسن وشاخ وكبر وضعف[٢] . وهو متابع لقطرب فى هذا الإخراج . وأخرج أيضاً : لفظ (الطاحى) المضجع وللمرتفع ، مع أن قطرباً عده من الأضداد ، ولكن ابن الأنبارى لم يوافق عليه[٣] .

ولم يرتض ابن الأنبارى من الأضداد ما كان فعلا واسماً :

فحين قال قطرب : من الأضداد : (جمرت المرأة) : بأن جملت لها كالنزعتين من حلق ونتف ، ولها جماران : أى لها ضفيرتان مقبلتان على وجهها . قال ابن الأنبارى : هذا ليس بصحيح[٤] .

فقد اشترط ابن الأنبارى أن يكون المعنيان المتضادان فعلين ، أو اسمين ، أو صفتين ، وكل منها على وزن واحد ، ولا يحكم بالتضاد فيما عدا ذلك .

ونحن لا ننازع اللغويين فى أن اختلاف الصيغة أحياناً يبعد اللفظ عن أن يكون من الأضداد .

---

(١) أضداد قطرب ٢٧٦
(٢) أضداد ابن الأنبارى ٣١٠
(٣) أضداد ابن الأنبارى ٢٠٢
(٤) أضداد ابن الأنبارى ٢٢٩

غير أن ذلك ليس عاماً ، وليس دائماً ، وقد مر بنا الخلاف في اشتقاق (رعد وبرق ، وأرعد وأبرق) ، و(قسط وأقسط) ، مع أن « قسط » بمعنى : عدل ، استعملت في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة ، ومن الثلاثي بالذات ، كما أحصاها بعضهم فكيف يقول اللغويون : إنه (قسط) بمعنى الظلم فقط ؟ !

ويعلل الدكتور أنيس استعمال القاسطين بمعنى الظالمين ، بأنه ليس إلا تأدباً في الخطاب أمام الله ، وتحاشياً لذكر كلمة الظلم أمامه سبحانه ، وكذا استعمالها بمعنى عدم الظلم أمام النعمان وهو ملك عظيم من هذا القبيل[1] .

وإذن فما يقال عن إرجاع الضد أو الاشتراك اللفظي إلى اشتقاقات مبالغ فيها ، قول مبالغ فيه ، فليس الأمر على إطلاقه ، وقد أشار القدامى إلى ذلك ونبهوا عليه .

تاسعاً ـ وقد ينشأ الضد من الاستعمال الخطأ وغلبته .

ومثل له الشيخ العلايلي بالخطأ في إحلال (البرهة) ـ في الشائع من الاستعمال اليوم ـ بمعنى الفترة القليلة من الزمن ، وهي في الاستعمال القديم بعكس ذلك تماماً[2] .

ومثل له الدكتور أنيس بلفظه « هجد » بمعنى : سهر ، وبمعنى نام ، واستشهد للسهر بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[3] واستشهد للنوم بقول المرقش الأكبر :

« . . . فأرقني وأصحابي هجود .

وقال : وعلى هذا ما علل به الشيخ الخضري نشأة الأضداد في كتابه

---

(١) اللهجات لأنيس ١٩٤ ، ١٩٥ (٢) المقدمة للعلايلي ٢٢٦

(٣) الإسراء ٧٩

«الأصول»: بأن يضع الواضع الكلمة لمسمى، وعند الإشارة إليه يكون مع المسمى غيره ، فيتلقاهما عنه السامع من غير أن يتبين حقيقة ما وضعت له الكلمة ، فتستعمل فى الشيء وفيما كان معه جميعاً ، وربما ينفصلان بعد ، وقد يكونان ضدين كما فى نحو « جون » فإنه وضع أولا للسحاب ، وفيه الأبيض والأسود ، حتى إذا كان أبيض صرفاً أو أسود صرفاً فهو « جون »(١) .

« لا نزاع فى هذا ، فكيف نفسر وقوع هذا التضاد إلا عن طريق الأخطاء التى يمكن أن تنسب إلى الأجيال الناشئة : فقد كان للكلمة معنى واحد ، ولكن لقلة شيوعها فهمت فى بيئة من البيئات على معنى آخر ، وبما هذا الفهم وذاع فى الجيل الناشىء ، ثم أصبح معترفاً به فى اللغة النموذجية الأدبية ، فاستعمل القرآن الكلمة بمعنى واستعملها المرقش بمعنى مضاد للمعنى الأصلى ، وقد تم مثل هذا التطور فى عصور الجاهلية قبل نشأة اللغة النموذجية وازدهارها »(٢) .

ولكن يناقض هذا قول قطرب : بأن من أسماء السماء : « الجونة » ، وهى عين الشمس ، واستشهد بقول الخطيم الضبابى كما قال ابن برى ، أو الأجلخ بن قاسط الضبابى ، كما فى الصاغانى :

* وحاجب الجونة أن تغيبا *

وقال قطرب أيضاً : وقالوا : الجون : النهار . والجون فى لغة قضاعة : الأسود . وفيما يليها : الأبيض ، وهذا من الأضداد(٣) . فقد جعلها عين الشمس ، والنهار ، والأبيض ، والأسود . وليس هناك خطأ فى الاستعمال .

(١) بحث الدكتور منصور فهمى للأضداد فى مجلة المجمع ٢/٢٢٨ – ٢٤٤ .
(٢) اللهجات لأنيس ١٩٦ (٣) الأزمنة لقطرب ٣٧

ولسنا نرى أخطاء استعمالية فى هذا المثال : فليس فى الشاهدين المساقين (لمجد) جهد لأجيال ناشئة ، وإنما هما فى كلام يحتج به .

ونعترف بأن الشيوع قد يسعد كلمة ، وقد يدفن أخرى ، على حد قول الشاعر :

وكم فى العرس أبهى من عروس ولكن للعروس الدهر ساعد

ولا نريد التماس أدنى الأدلة لنقوى بها وجود وكثرة المشترك اللفظى فى لغتنا . . فربما جر هذا الصنيع إليها الطعن والنقد عليها ، أكثر من صيانتها وحفظها ، وبيان وجه الحقيقة فى أبحاثها وفقهها .

عاشراً ـ (وقيل : إن) : (التطور الصوتى) ، من عوامل تكون الأضداد :

ومعناه رجوع الكلمة إلى أصلين ، وقد يكون ذلك لانشعاب الكلمة من أصلين : فيكون معنى منحدراً من أصل ، وضده الثانى منحدراً من أصل آخر .

ويمثل الدكتور على عبد الواحد وافى لذلك (بهجد) : فمن المحتمل أن تكون فى معنى النوم منحدرة من (هدأ) إذا سكن . وفى معنى السهر من (جد) إذا اجتهد لما فى السهر من الاجتهاد فى منع النوم(١) .

ومثلوا أيضاً بـ : « أبض » بمعنى سكن وتحرك : فمن المحتمل أن السكوت منشعب عن « بض » فى بضا وباض . . بمعنى أقام وسكن ، وفى معنى التحرك منحدرة من أبّ الشىء إذا حركه . وأيضاً فى « سجد » ربما أخذ الانحناء من سجح بمعنى رمى ، وفى الانتصاب من (سد) لأن ما يسد شيئاً يرتفع فوقه فكأنه منتصب .

---

(١) فقه اللغة لوافى ١٩٢ .

أما الدكتور إبراهيم أنيس فيمثل لهذا العامل بكلمة (جون) ، ويرى أنها لعلها انحدرت من جن بمعنى ستر ، ومنه أظلم .. ثم حدث تطور صوتى فقلب أحد النونين إلى مشابهه وهو الواو ، وجون بالواو تعبر عن النور ، وذلك سبب التباس جنّ بمعنى (جون). وكذلك حاول أن يرجع الفعل (أكعت) : انطلق مسرعاً وقعد : فالتطور الصوتى حدث من قعد إلى كعت : ثم التبس هذا الفعل بآخر من أصل مختلف ، وهو : (أكعت) بمعنى انطلق مسرعاً .

وإذا تركنا تخمينات المحدثين نرى وضوح القدامى فى أصل اللفظ :

فابن فارس يرى فى (هجد) : أنه أصل يدل على ركود فى مكان : هجد : إذ نام ، وإن صلى ليلا فهو متهجد : كأنه بصلاته ترك الهجود عنه ، وهذا قياس مستعمل : والعرب تقول : أهجد البعير : ألقى جرانه بالأرض .

فأيهما نصدق : المحدثون فى ظنونهم وترددهم ؟ أم علماء العربية البصراء بها ، والذين لهم فيها جهد لا يبارى ولا يجارى ؟ ومن المعلوم أن ابن فارس شيخ المؤمنين بالنحت والتركيب[1] .

(وهذا التخريج لما ذكر من الأمثلة أليق وأشبه بالقول « بالثنائية » فى أصل وضع العربية ، ولنا فيها بحث ، فليراجعه من شاء) .

وهى لاتعدو محاولات لتفسير نشأة الأضداد وتكونها ، وكلها من باب الظنون والافتراضات ، التى نرجو أن ترقى إلى مرتبة اليقين ، فتصبح حقائق تفسر نشأة الأضداد ..

أما إذا أراد بها بعض الباحثين نفى الأضداد فهذا دليل تطرق إليه الاحتمالات المختلفة ، ويسقط به الاستدلال كما يقول الأصوليون :

(١) المقاييس ٦/ ٣٤

فقد قيل ـ أيضاً ـ إن جون معربة من (كون) ، وذكر بعضهم أن أصلها اللون ، وقديماً كانوا يلونون بيت الميت بالسواد ، وبيت العروس بالبياض ، وهذا رأى ثالث ذكروه ، ورابع سيجد ، وخير من التشتت والضياع ـ فى وادى الظنون ـ أن نستقى معنى اللفظة ودلالاتها من الجملة والسياق ، ونسائل الشواهد فتنطق بالتضاد كفلق الصبح .

* * *

● **والخلاصة :**

ونخلص مما سلف أن أهم ما جاء من أسباب نشأة التضاد هى :

(ا) أن من سنن العرب أن يسموا المتضادين باسم واحد كما قال ابن فارس ، ومعنى هذا أن أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى ، وضعها العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين .

(ب) ومنهم من يرى أن ألفاظ الأضداد لم يضعها العرب للمعانى المتضادة بالوضع الأول ، وإنما استعملتها بعض القبائل فى معنى من معانيها ، واستعملتها قبائل أخرى فى المعنى المضاد له ، ثم اختلطت اللهجات ، فظهرت الأضداد فى اللغة ، كما ذكر الفارسى من أنها لغات (لهجات) تداخلت .

(ج) أو تكون ناشئة من الاستعمال المجازى ، ثم كثر استعماله حتى غلبت وصارت بمنزلة الأصل ، كما قال الفارسى .

وهذه ـ فى نظرى ـ أهم عوامل تكون الأضداد ونشأتها ، فإذا أضيف إليها ما يؤيد طبيعة اللغة ، وحرية العربى ، ويشهد له الاستعمال الفصيح تكاملت أسباب نشأة الأضداد ، والأصل فيها .

والدكتور منصور فهمى يرد السبب الأول ، لأن مثل هذا الوضع لا يكون إلا فى دور طفولة اللغة ، وبداءة أهلها ، وشبه قبول ذلك بالطفل

الذى يعبر عن أشياء كثيرة بلفظ واحد ، وسبق أن سقنا قول الشيخ العلايلى ـ وهو رأى جيد ـ بأنه لا مانع من قصده بالوضع فى التضاد والمشترك ، إذ أن الملاحن قصدت ـ ولا شك ـ بالوضع كحيلة قانونية ، أو شيفرة عربية ، حين الاضطرار ـ أحيانا ـ والحاجة .

والأديب مصطفى صادق الرافعى يقول : « لابد أن يكون (التضاد) حادثاً فى اللغة فى زمن النهضة التى تقدمت الإسلام ، حين اختلطت القبائل ، وانصرف العرب إلى زينة المنطق والتملح فى الكلام ، لأنه تفنن وتوسع لأوقات مرهونة بأوقاتها ، ثم يعرفون به ويستعملونه فيثبت فى ميراث القبيلة من اللغة »(١) .

وهذا رأى جدير بالاحترام ، ويزكيه أن لفظة (الطفف) كانت لجانب الجبل أو الوادى فى أول وضعها ، فلما جاء الإسلام استعملها فى معنيين متضادين فى قوله تعالى : ﴿ وَيلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾(٢) .

والشواهد الكثيرة تؤيد السبب الثانى ، وحكاها كبار اللغويين ، كأبى عبيدة والأزدى الذى حكى حكاية لفظ « ثب » لرجل من بنى كلاب أو من سائر بنى عامر بن صعصعة مع (ذى جدن) ، وكانت سبباً فى دق عنق الأعرابى ، الذى لا يعرف لهجة حمير فى ظفار .

والسبب الثالث مقبول معقول ، لأن الاستعارة تعتمد عليها كل اللغات فى تطورها ونمو ألفاظها ومعانيها ، كطور جمالى ، وقد يكون هذا المعنى الآخر يخالف أو يضاد ، لقصد ومراد .

---

(١) تاريخ آداب اللغة للرافعى ١/١٩٩ (٢) المطففين : ١ ـ ٣

ورأينا من آراء المستشرقين ، والباحثين من المحدثين ما يؤيد وجود الأضداد فى اللغة العربية ، ويثبت وجودها ،ويعلن نشأتها بطريقة أو بأخرى .

ويمكننا أن نقول : إن أخطر علة فى نشأة الأضداد هى « المعنى الأصلى للألفاظ » ، وما ذكره اللغويون لها من معان .. أما بقية العلل فهى ارتياد لبعض الطرق التى سلكها اللفظ ، ليصل إلى درجة التضاد مثل اللغات (اللهجات) ، والمجاز ، والحذف للتخفيف ، وما أليها من أمور . وصار بها فى الاستعمال متضاداً .

* * *

● **أصل الأضداد ومنشؤها فى رأى المستشرقين :**

بعض الباحثين اللغويين – من المستشرقين – يرد ظاهرة الأضداد إلى عصور قديمة ، عندما كان العقل البشرى ساذج التفكير ، يتعاوره التناقضات فى منطقه وتفكيره .

على أن « جيز » يرى أن العرب قد اقترضوا الأضداد من لغات مجاورة لهم ، وكان معناها الأصلى تختلف إيماءاته ، فأدى ذلك إلى التضاد فى العربية ، وضرب مثالا لذلك بلفظ « جلل » ، الذى أخذته العربية من العبرية ، وهو فيها بمعنى دحرج ، والشىء المدحرج قد يكون ثقيلا أو خفيفاً ، ومن ثم اعتمدت العربية على هذين الإيماءين المتضادين للكلمة الواحدة ، وأعطتها معنيين متضادين هما : عظيم وحقير (١)

ولفظ « الجون » ، الذى يظنه الدكتور وافى – نقلا عن القاموس المحيط ، والألفاظ الفارسية المعربة (ص٤٩) – بأنه معرب من لفظ (كون) الفارسى ، ومعناه فى الأصل : اللون ، وهذا ، وهذا يصدق على الأبيض ، كما يصدق على الأسود . وظنها الأب مرمرجى الدومنكى من السريانية ، وبمعنى

---

(١) مجلة اللسان العربى مجلد ٨ ج ١ ص ٩٩ ، العربية منطقية ١٤٤

اللون أيضاً ، لـكن من باب الإطلاق ، فقيدت بلون عند جماعة فى العربية ، وبآخر عند جماعة أخرى(١) .

ونقول : بأن ما عربته العرب ألحق بكلامها ، ولم تتفق الآراء بأن الـكلمة معربة .

والدكتور منصور فهمى يرى ـ نظراً لتاريخ الأمة الواحدة ـ أن التطور يؤدى إلى التضاد دون استعارة من لغة أو لغات مجاورة ، مثلا : « باع واشترى » : كان المعنى الأصيل لهما (بادل) حينما كان البيع والشراء مبادلة ، فلما عرفت النقود اختص كل فعل منهما بواحد من القائمين بالعمل، ولـكن رواسب العهد القديم بقيت حية ، فـكانت تلقى ظلالها على معنى الفعلين ، فتخلط بينهما ، وضرب الدكتور منصور مثلا من حياتنا المعاصرة ، بالفعل (فتح) فى قولنا : الـكوبرى مفتوح ، فهل هو مفتوح لمرور المراكب فى النيل ، ومغلق أمام السائرين والعابرين ؟ أو العكس ؟ وقد استشهد بهذا المثال أيضاً الأستاذ العقاد ـ رحمه الله ـ فى بحثه فى مجلة المجمع اللغوى بالقاهرة ، كما سبق(٢) .

وبعضهم لم يلتفت إلى التاريخ القديم ولا الحديث ، بل بحث أمر الجماعة والأفراد ـ وهذا صنيع لغوى العرب أيضاً ـ وأخذ من واقع حياتهم ما يفسر طريق نشأة الأضداد ، فذهب إلى أن الظواهر للمجتمع تؤثر فى اللغة ، وترتبط بعض المعانى المتضادة بعضها ببعض وتتداعى فى الذهن ، فتنشأ الأضداد . وساق « جيز » أمثلة على ذلك فى (دائرة المعارف الإسلامية) ، وعللها ، ومثل : بـ (البرق) الذى لا يكاد يظهر حتى يختفى ، فالاختفاء نتيجة لظهور وهما معاً متلاحقان ، ومثل (بالسدفة) التى هى الضوء أو الظلمة ، وقال :

(١) فقه اللغة لوافى ١٩٠

(٢) راجع بحث الدكتور منصور فهمى فى الاضداد فى مجلة مجمع اللغة القاهرى .

بأن تداخل الأحداث كان السبب فى ذلك : لان (السدفة) هى الوقت الذى بين النور والظلمة ، وجاء اللغويون فعدها بعضهم بمعنى النور وحده ، وعدها آخرون بمعنى الظلمة وحدها .

وذكر « جيز » أيضاً أن من أسباب التضاد غموض الانفعالات والمشاعر وانبهامها من شخص إلى آخر ، وتسرب هذا الغموض إلى الألفاظ التى تدل عليها بما أدى إلى الأضداد ... ومثل لذلك (بالزفر) الذى يطلق على طيب الرائحة ونتنها .

هذا موجز ما ذكره بعض المستشرقين فى تعليل نشأة الأضداد ، وتابعهم على ذلك معظم الباحثين فى الأضداد حديثاً .

ولكن ما ذكره هؤلاء يؤيد وجود الأضداد ولا ينفيها ، وطبيعة اللغة تؤخذ من أصل استعمالها ، متى عرف ذلك ، وثبت بالدليل والشاهد .

والقول بأن المعانى تتداعى فى الذهن بسبب تأثير ظواهر المجتمع فى اللغة ، وارتباط بعضها ببعض ... قول لا ينفى حدوث التضاد فى اللغة ، وخاصة وقد وعى بعض المؤرخين اللغويين بأن (السدفة) بمعنى الظلمة لغة لقوم ، وبمعنى الضوء لهجة لآخرين . والشواهد الفصيحة تأتى كفلق الصبح للمعنيين كما فى قول عمر بن أبى ربيعة ـ وهو حجة فى العربية ، كما يقول الاصمعى ـ يصف وجه جميلة : كالشمس حين تسدف .

وقد ذكر ابن الأنبارى لفظ (الصريم) مثلا للتداخل والاتساع .

أما غموض الانفعالات والمشاعر وانبهامها ، وانعكاسها على اللغة ، كما فى مثال (الزفر) الذى ساقه « جيز » فما نظن بأن ذلك عام عند كل الناس ، ولا ظاهرة فاشية بين العرب كلهم . وكان أولى تعليل هذا اللفظ بأنه لعله

بمعنى النتن أصلا ، ولـكنه استعمـل تأدباً فى معنى الطيب ، كما يستعمل القرويون عندنا ـ اليوم ـ لفظ (المسكة) ، لما يجمعون من روث البهائم ، أو لعل الأَصل فى (الزفر) الشدة فى الرائحة مطلقاً .

وكون (باع) من مد باعه ، أو لم يمد باعه ، ـ على القول بأن ذلك كان فى طفولة اللغة ـ فضرب فى وادى الأَوهام والخيالات : إذ ينقض هذا الاستعمال والشاهد ، ولم يعثر أحـد حتى الآن على (مد باعه) بمعنى (باع) .

ولعل منشأ هذه التفسيرات ، وهذه العموميات ، وتلك النظريات عند المستشرقين : أنهم عمموا البحث على كل اللغات ، ومنها العربية ، غير أن العربية تمتاز عن غيرها بالمحافظة على أصولها ، وعدم مدّ باعها فى الاقتراض إلا بمقدار ، ومراعاة طرق تنميتها اللغوية عند إرادة الإثراء والاتساع بقدر وحذر وعلى شروط ، لأَنها لغة التنزيل ، وكل ذلك منذ وعت نفسها شابة قوية مكتملة .

* * *

الأضداد بين الإثبات والنفي

ارتضى جماعة من قدامى اللغويين والنحاة ظاهرة الأضداد، واعترفوا بوجودها في اللغة العربية منهم أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب ... ومن ارتضى رأيهم، مثل: قطرب، وابن دريد، والثعالبي، وابن فارس، وابن الانباري، والتوزي، والسجستاني، وأبي الطيب، والصغاني، وابن الدهان، وابن سيده، وغيرهم ...

وعارضت جماعة أخرى الجماعة السابقة، وأنكرت الأضداد، وعلى رأس هذه الجماعة ـ ولعله الوحيد المعروف من القدامى ـ ابن درستويه. وذكر ابن سيده أن أحد شيوخه كان ينكر الأضداد، التي حكاها أهل اللغة، وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده[1]. ولم يذكر لنا اسم هذا الشيخ.

وتابع هؤلاء وأولئك تلاميذهم والمستشرقون، ومن اعتنق مذهبهم في الأضداد.

ومنهم أيد تأييداً مطلقاً، ومنهم من منع منعاً مطلقاً، ومنهم من اعترف بوجود الأضداد على قلة الألفاظ الواردة، ومنهم من اعترف بها على ندرة، ومنهم من باهل على أنه لا لفظة واحدة تثبت وجود الأضداد: فقد اتفق ابن الأنباري وقطرب على قلتها، مع أن لكل منهما تأليفاً مستقلا فيها:

وابن درستويه نفسه قد اضطر إلى الاعتراف بوجود النادر من تلك الألفاظ، إذ يقول: «... وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز

(١) المخصص ١٣/٢٥٩

للفظ واحد الدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما للآخر لما كان ذلك إبانة ، بل تعمية وتغطية ، ولكن يجيء الشيء النادر من هذا لعلل . »[١] .

وابن سيده يرى التأييد التام لوقوع الأضداد فى العربية ، يقول[٢] :

«فأما اللفظة تدل على (كميتين) مختلفين منفصلتين : كالبشر الذى يقع على العدد القليل والكثير ، والجلل الذى يقع على العظيم والصغير .

واللفظة التى تدل على (كيفيتين) متضادين كالنهل الواقع على العطشان والرى .

واللفظة الدالة على(كيفيات) مختلفة ، كالجون الواقع على السواد والبياض والحمرة ، والسدفة المقولة على الظلمة والنور ، وما بينهما من الاختلاط . فآتى على جميعها مستقص فى فصل الأضداد من هذا الكتاب ، مثبتاً له غير حاجة ، ومضطراً إلى الإقرار به على كل ناف معاند ، ومبرئاً للحكماء المتواطئين على اللغة أو الملهمين إليها من التفريط ، ومنزهاً لهم عن رأى من وسمهم فى ذلك بالذهاب إلى الإلباس والتخليط » .

فهو قد اعترف بها فى الكميات ، والكيفيات ، مستقص لها ، برغم كل منكر ، مبرئاً لعلمائنا من كل طعن وجه إليهم ، لاعترافهم بالاضداد .

* * *

● **حجج الرافضين للاضداد :**

وقديماً علل ابن درستويه ـ فى شرح الفصيح ـ رفضه للأضداد :

بأن اللغة« موضوعة للإبانة عن المعانى ، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين ، أو أحدهما ضد للآخر ، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية[٣] .

---

(١) المزهر ١/١٨٥ (٢) المخصص ١/٣ ـ ٧

(٣) مجلة اللسان العربي مجلد ٨ ج ١ ص ٩٦

وأنكر إبراهيم بن عزرا (١٠٩٢ - ١١٦٧ م) وجود الأضداد فى اللغة المقدسة (العبرية) ، بل ونفاه فى كل اللغات ، لأن الكلامات كعلامات يراد بها الدلالة على ما فى نفس المتكلم ، فإذا كانت الكلمة من الأضداد على نحو ما زعموا ، لا يتيسر الفهم للسامع(١) .

والأستاذ عبد الفتاح بدوى أشد الرافضين للأضداد : وإذا كان ابن درستويه اعترف بالأضداد على قلة .. فإن الأستاذ عبد الفتاح بدوى يعلن :

« إننا لنتحدى الذين يزعمون أن فى اللغة أضداداً ، ونباهلهم بجميع كلمات اللغة العربية ، أن يأتونا بلفظ واحد له معنيان متقابلان بوضع واحد . فإن لم يفعلوا - ولن يفعلوا - فليس فى اللغة تضاد »(٢) . وفى هذا غلو كبير .

وعلى أساس هذا الرفض استند المحدثون ، وقالوا :

« إن التضاد مناف لطبيعة اللغة ، وأنه لا يسهل التفاهم بين الناس : فمن الصعب أن نقبل أن المعانى الأولية المضادة يتفاهم الناس عنها بلفظ واحد . والصعوبة التى تنشأ من التضاد أكبر جداً من التى تنشأ من الاشتراك . وإذا قيل : إن القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليماً حقاً بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات فى سذاجتها ، وإنما هو طور آخر فوق ذلك »(٣) .

أقول : ونسى هؤلاء أن الألفاظ لا تعيش فرادى ، بمعزل عن جاراتها وإنما حياتها فى السياق ، كما يفهم الكلام من الجملة .

ولا نفهم أيضاً : كيف تكون الصعوبة الناشئة من التضاد أكبر من الناشئة من الاشتراك ، مع أن من معانى المشترك ما لا صلة له البتة بغيره ؟

---

(١) نصوص فى اللغة لبكر ١١١/٢

(٢) مجلة اللسان العربى مجلد ٨ ج ١ ص ٩٦

ولم يزد التضاد عن الاشتراك إلا انفراج مسافة الخلف بين المعنيين .

وإذا وعى السامع الجملة فلن يخفى عليه قصد المتكلم . وكلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب فيه إلا إذا استكمل واستوفى جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين : لأنها تتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، فلا يراد بها فى حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد ، كقول الشاعر :

* كل شيء ما خلا الموت جلل *

فالسياق يشير إلى أن الجلل هنا ليس العظيم(١) . وسيظل السياق هو الذى يعين الغرض من اللفظ ، ويشعر بنوع العلاقة الإيجابية والسلبية فيه .

● والشعوبيون الشانئون للعرب تلقفوا القول بأن فى العربية أضداداً ، وجعلوه مادة للتشهير بالعرب ، واعتباره نقيصة ، لأن اللغة للإبانة ، والتضاد تعمية ، فلا حكمة عند العرب .. ودفع ذلك الازدراء فريقاً من العلماء عرباً وغير عرب ، الرد على أهل البدع والزيغ والأهواء هؤلاء .

* * *

● ويجمل ما يراه الدكتور منصور فهمى عن الأضداد فى مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة) ، وما جاء فى دائرة المعارف الإسلامية ، وما لاحظه بعض المستشرقين عن الأسباب التى أدت إلى القول برفض الأضداد(٢) :

١ ـ أن العرب عرفت معظم ألفاظ الأضداد بمعنى واحد ، والمعنى الثانى جاء بندرة ، وهناك شك فى روايتها .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى (المقدمة) والمزهر ١/٣٩٦

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية القاهرى ٢/٢٢٨ ـ ٢٤٤ ، وكتاب الأصول للخضرى ١٧٤ ، ومجلة الهداية ج ٦ ، ٧ من المجلد السادس من مقال للطاهر بن عاشور .

ومثلوا بما رواه أبو زيد من أن تصدق الرجل : إذا أعطى صدقته ، جيد ، وأما تصدق بمعنى سأل فسكوت عنه من ناحية الجودة ، وأقل شهرة[١] وأقول : وفاتهم أن الجيد وغيره ، والفصيح والصحيح ، والشاذ واللغية ، إنما كل ذلك بحسب ضوابطنا للدرس والفهم ، وعلى حسب ما ورد إلينا ، وما ورد إلينا من كلام العرب إلا أقله . وما شهر المشهور إلا بالاستعمال والجد .

٢ ـ وأن بعض الأضداد لا شواهد لها ، ونقول : بأن الأقدمين لم يهتموا بإيراد الشواهد أحيانًا ، إذا ما شهر اللفظ ، ولمسوا الفطنة من السامع ، ولظنهم بأن كل الناس علماء .

وقد حاولت إيجاد شواهد لما لا شاهد له ، فتوفر لى الشيء الكثير بمراجعة بعض القواميس ، ودراسة بعض كتب الأدب .

وجزى الله المحققين لتراثنا الأدبى واللغوى ، كل خير : إذ نسبوا الشواهد غالبًا ، وذكروا ما غفل منها ، وأتموا ما حذف منه ؛ وراجع ـ على سبيل المثال ـ :

تحقيقات الشيخ النجار ، وعبد السلام هارون ، وشاكر ، والميمنى الراجوتى ، والدكتور نصار ، وغيرهم .. تجد الجهد المبذول فى سبيل الحقيقة وتوضيح المبهم ، وإقامة الحجة .

وقال بعضهم : إن ابن الأنبارى لم يذكر الشواهد وأيضًا عدم نسبتها[٢] ، ولعل عذر كثير من المحدثين أنهم لم يطلعوا على قدر كاف من كتب

---

(١) أضداد حاتم ١٢٦ ، وابن الدهان ١٤ ، والأنباري ١١٠ ، وأبي الطيب ٤٣٢ .

(٢) اللهجات لأنيس ١٩٢ .

اللغة فى هذا الجانب ، ولم يكلفوا أنفسهم ـ أيضاً عناء البحث فى بطون المعاجم والأمهات من الكتب الأدبية واللغوية .

وقد اطلعت على ثمانية كتب كلها وضعت فى الأضداد فقط ـ عدا الأبحاث المبثوثة فى المعاجم والكتب ـ بعضها فى المكتبات العربية، وبعضها فى المكتبات الغربية العامة ، وكانوا كرماء فساعدونى فى الحصول عليها ، شكر الله لهم .

٣ ـ ومنها أن السياق قد يكسب اللفظ معنى التضاد ، كقول العرب: « ما ظلمتك وأنت تنصفنى » . أى ما ظلمتك وأنت أيضاً لم تظلمنى . أو ما ظلمتك لو أنصفتنى. فالتضاد إنما أتى من وضع اللفظة فى السياق. وبعضهم رد مثل هذا .

فما ذكره الدكتور منصور فهمى : بأن العرب تزيدوا وتكثروا وتساهلوا ... إلقاء للقول على عواهنه : إذ نبهوا على الضعيف ، وردوا ما لم يستقم مع ضوابطهم ، وأسقطوا ما يتطرق إليه الاحتمال . . . وجعلوا بعض الأمثلة من أشباه الأضداد ، حينما قامت الشبه بأن قانون الأضداد لا ينطبق عليها .

٤ ـ وبعضهم يرد الأضداد ، لأنها من لهجات مختلفة مثل (وثب) فى لغة حمير ، وغيرها . ونقول: بأن بعض العلماء جعل هذا طريقاً للأضداد ، ولهجات العرب ، إذ كلها عربية ، وبعضهم جعل (وثب) فى لهجتين عربيتين.

٥ ـ وبعضهم يرد الأضداد بسبب أن أحد المعنيين ـ أحياناً ـ يكون حقيقياً ، والآخر مجازياً . وقد ذكرنا فى « المشترك »، بأن فى المجاز خطوات كثيرة منسية .

وأيضاً ما عد أحياناً مجازاً عده محققو العلماء حقيقة .

وذكرنا : أن النقل فى اللغة للاستعمال وضع ثان، وأنه فى اللغة كالنسخ فى الشريعة .

ونعترف بأن الأسرار البلاغية لا علاقة لها - فى الواقع - بوضع اللغة ؛ لأنها أمور نسبية تتفاوت طرق التعبير عنها بتفاوت الأشخاص . فلم يكن ضرورياً أن يكون ما استعمل على سبيل التقابل لغرض دالا على التضاد الحقيقى الوضعى، ولكن الناس إذا تناسوا علاقة التقابل هذه (التى تستدعيها الصورة والألفاظ والأفكار المتداعية) نقلوا هذه الألفاظ متوهمين فيها التضاد الحقيقى ، فاجتمع لديهم من ذلك ما اجتمع مما يسمونه «بالأضداد» .. ويمكن أن نسميه بالتضاد فى الاستعمال ، فضلا عن تقادم العهد ، ونسيان الأصل ، وضياع الخطوات ، وتضارب القول بأصل الوضع ، والاستعمال الأخير نسخ .

٦ - وبعضهم أرجع الأمر فى التضاد إلى التفاؤل والتشاؤم ، كما فى (المفازة) و (السليم) .

لكننا نجد : أن بعض علماء اللغة خرج ألفاظ التشاؤم والتفاؤل أحياناً على غير هذا المخرج : كما مر بنا أن ابن الأعرابى جعل (فوّز) بالتشديد بمعنى سلم ومات ، وقيل فى : (السليم) أنه الذى أسلمه ذووه ، كما ذكر الشاعر فيمن مله العواد والمداوون(١) .

ويلاحظ أيضاً أن لفظة (الشوهاء) - بمعنى الجميلة - للفرس الموصوفة بأوصاف مخصوصة : كسعة الفم والمنخارين ، إذا نقلت إلى المرأة الجميلة ،

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى ، صنعة ابن السكيت ٤٦ .

ولوحظ معنى الشوهاء فى المرأة ، فإن المرأة تأنف من ذلك ، لكن إذا اعتبرنا النقل وما أكثره فى الأسماء من النبات والحيوان إلى الإنسان وأسمائه وصفاته ، وأيضاً أن مقاييس الجمال تختلف من عصر إلى عصر : فكانت : « ريا المخلل » تعجب امرأ القيس ، لكنها اليوم تثير الاشفاق ، ويخشى عليها من المرور أمام مركبات السير السريعة ، وبقى أن (الشوهاء) من ألفاظ الأضداد : للجمال والقبح . كما ذكروا فى فرس شوهاء ، واسعة الفم وضيقته .

وابن جنى يجرى الشوهاء مجرى القلب لدفع العين[١] . وهذا يوافق معتقد العوام حتى اليوم .

وللزبيدى كلام مفيد وجامع فى هذا اللفظ (شوهاء) ، جمع فيه ما قاله من قبله ، وجعل (الشوهاء) : واسعة الفم فى الفرس وضيقته : ضد[٢] .

٧ — وبعضهم جعل التضاد فى الألفاظ التى ترجع إلى اختلاف الصيغة أحياناً ، كما فى فعل وأفعل ، أو اختلاف المصادر ، مثل : الصلاة والوجد .

وقد ذكرنا من الرد ما فيه الكفاية فى هذا الجانب فى : «مقدمة المشترك» فراجعه إن شئت .

٨ — وردوا بعض الألفاظ للاختلاف فى تفسيرها ، مثل : «فوق» للعظيم والدون ، كما فى قوله تعالى ﴿مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[٣] ، ويتشبث بعضهم بأن معنى (فوق) لا يكون الدون أبداً ، مع أن كثيراً من المفسرين الأقدمين اختلفوا فيها ، على ما هو موجود فى كتب التفسير بين العظيم والدون . وأيضاً فإن لفظ (الدون) وشواهده تصرح بالأعلى والأدنى .

---

(١) الخصائص ٢/١٢٠ (٢) تاج العروس ٩/٣٩٥ (٣) البقرة : ٢٦

٩ ـ وإذا جنح بعض المؤلفين فى الأضداد إلى اختيار ألفاظ ، لم يقبلها بعض علماء الأضداد الآخرين وردها ، أو نقدوا بسببها ، أو أخرجوها من ألفاظ الأضداد ، فلا ينفى ذلك وجود التضاد ، وإنما ذلك رأى واجتهاد للأولين ، أصابوا أو أخطأوا . . وأمانة من العلماء التابعين لهم فى الدقة والبحث والتمحيص ، فأبقوا ما ارتضوه ، ونفوا ما لم يرتضوه .

والمعانى الفلسفية ، والتأويلات التعسفية والبعد فى التخريج ، والمماحكات اللفظية ، مثل : (باع) بمعنى مد باعه فى البيع والشراء ، والأرض من السكون والفساد ، ولفظ (جون) معربة من (كون) فى لغة أخرى ... كل تلك أشياء ما عرفها العربى البـــدائى البسيط ، ابن الطبيعة الصافية ، وصاحب اللغة .

* * *

المفسِّرُونَ والأضْدَاد

لعل عدة المفسر الأولى هى اللغة ، إذ أنها وعاء التنزيل ، ومن ثم فلابد للمفسر من بصر بالعربية ، يجعله أهلا للتفسير بجانب مؤهلاته الأخرى .

ذكر بعض العلماء أن بعض ألفاظ الأضداد لم يتفق عليها المفسرون ، مما يشكك فى وجود الأضداد ، أو نفيها . . فكان لزاماً علينا أن ننظر فى بعض كتب التفسير ، ونرى رأى المفسرين :

وسنرى أن المفسرين كالقراء لهم بصر بالعربية ، وأنهم اعترفوا صراحة بوقوع الأضداد فى القرآن الكريم ، كما وقع فى السنة النبوية الشريفة .

فقد اعترف قدامى المفسرين بالمشترك والمتضاد ، وتقدم لنا أن شيخ المفسرين « الطبرى » ذكر أن بعض ألفاظ المشترك لم ينص على معنى معين منها قانون منزل ، ولا وحى يتلى ، ومن ثم فلفظة المشترك تتحمل أكثر من معنى .

وجاء فى القرآن (المولى) بمعنى السيد ، واستعمل الموالى بمعنى التابعين الملحقين بالمرء من إماء وحلفاء .

وإذا كانت القراءة المشهورة فى ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[1] فى (بين) تجعله بمعنى الفراق ، فإن القراءة (برفع البين) تجعله بمعنى الوصل .

وذكر كثير من المفسرين أن لفظ (الصريم) فى قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾[2] يتحمل معنيين متضادين[3] .

ولفظ (القرء) ، شغل كثيراً من العلماء والباحثين والفقهاء ، والأصوليين: هل هو الحيض أو هو الطهر ؟

---

(١) الأنعام ٤ ٩٤ (٢) القلم : ٢٠

(٣) اللهجات لأنيس ١٩٩ ، والكشاف ٤/٤٤٢ ، وتفسير الرازي ٣/٨٨

و (القانع) قرر الكثيرون : أنه الراضى بما فيه ، وهو السائل والمحتاج أيضاً .

وراجع (الحميم) و (بعض) عند الفيروز آبادى[(١)] . وإن رد الراغب (بعض) . ولفظ (البيع) فى البصائر[(٢)] . و (عَسْعَسَ) عند أبى عبيدة[(٣)] . وكذلك (تهجد)[(٤)] . بمعنى سهر ونام . و(وراء) ، و (أخفى)[(٥)] . وكذلك (أَسَرُّوا) و (الغابر)[(٦)] .

و (خاف) ، و (بينكم) و (عفا)[(٧)] . وراجع (قرء) ، و (نسخ) عند الجصاص[(٨)] .

• وراجع فى الكشاف للعلامة الزمخشرى ، فى : (ظن) و (قرء) و (فوقها) و (أسروا) و (وراء) و(أخفى) و (صَرِيم) و (عَسْعَسَ)[(٩)]

• وراجع على هامش تفسير الجلالين ، رسالة جليلة للإمام أبى القاسم ابن سلام ، تتضمن ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل ، وفيها من الأضداد ، وجعله من لهجات القبائل العربية ، مثل :

(شروا) باعوا بلغة هذيل . و (وراءهم) : أمامهم بلغة النبطية . و(يرجو) يخاف بلغة هذيل . و(فينسخ) : يبطل و ﴿وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾[(١٠)] توسط وأسرع بلغة هذيل . و (عَسْعَسَ) ، تفسيره : أقبل بظلامه ، وأدبر.

---

(١) بصائر ٢/٤٩٧ ، ٢/٢٥٨ ، ومجاز القرآن ٢/٥ ٢

(٢) بصائر ٢/٢٨٠ ، ١/٣٢٣

(٣) تفسير الرازى ٣١/٧٢ ، والكشاف ٤/٢٢٤ ومجاز القرآن ٢/٢٨٧

(٤) السابق ١/٣٨٩ (٥) السابق ٢/١ ، ٢/١٦

(٦) السابق ٢/٣٥ ، ٢/٨٩ ، ١/٢١٨ (٧) السابق ١/١١٦ ، ١/٢٠٠ ــ ٢٢٢

(٨) أحكام القرآن للجصاص ١/٣٦٤ ـ ٣٧٤ ، والكشاف ٢/٢٤١

(٩) تفسير الكشاف فى هذه الأرقام على التوالى للألفاظ : ١/٢٧٨ ، ١/٣٦٥ ، ٢/٢٤١ ، ٢/٤٩٥ ، ٢/٥٣٣ ، ٣/٥١٠ ، ٤/١٤٤ ، ٤/٢٣٤ (١٠) لقمان : ١٩

وأدبر بلغة قريش[١] ...

● وراجع التفسير الكبير للعلامة الرازى ، فى قوله تعالى: ﴿فما فوقها﴾، بمعنى : ما أعظم وما دون[٢] .

● وراجع فى تفسير غريب القرآن لابن قتيبة :

﴿ فما فوقها ﴾ : فما دونها ، كما فى مشكل القرآن . و (يظنون) : يعلمون ويتيقنون ، والظن : شك ويقين. و ﴿ ثلاثة قروء ﴾: الحيض والطهر. و (الظن) : العلم ، و (وراءهم) : أمامهم . و (يرجو) : يخاف . و ﴿ أَسَرُّوا النَّدَامَةَ ﴾[٣] : أظهروها . و (نستنسخ) : أى نكتب . و ﴿ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾[٤] : أى ظواهرها . و (بالقسط) : بالعدل ، و (القاسِطُون) : الجائرون[٥] ...

● وفى بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز :

(نستنسخ) ، نثبت ونكتب ، أو نزيل ، و (البلاء) بمعنى : النعمة، وبمعنى المكروه ، و (بكى) غنى من الأضداد . و (شروه) . و (المسيح) للضليل ، والصديق . ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾[٦] ، ملأها ، أو أفرغها[٧] .

فلا يقال بعدئذ: إن المفسرين رفضوا الأضداد .

* * *

(١) هامش تفسير الجلالين ، لهذه الألفاظ على توالى هذه الأرقام : ١/١٢٧، ٢/١٠، ٢/١٢ ، ٢/٤١ ، ٢/١٠٢ .

(٢) تفسير الرازى ١/١٣٦ (٣) يونس : ٥٤ . (٤) الرحمن : ٥٤ .

(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة على توالى الارقام للكلمات : ٤٤ ، ٨٦ ، ١٣٦، ٢٣١ ، ٢٥٩ ، ٣٥٧ ، ٤٠٦ ، ٤٤١ ، ٤٥٤ ، ٤٩٠ (٦) النبأ : ٣٤ .

(٧) بصائر ذوى التمييز فى ١/١٢٠ ، ٢/٢٧٤ ، ٢/٢٦٨ ، ٢/٢٨٠ ، ٢/١٤٠ ، ٢/٦١٢

• ثعلب لم ينكر الأضداد :

حكى الجواليقى: أن ثعلبًا أنكر الأضداد ، وأنه قال: « ليس فى كلام العرب ضد : لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالا ، لأنه لا يكون الأبيض أسود ، ولا الأسود أبيض . وكلام العرب ـ وإن اختلف اللفظ ـ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد »[١] . ويفهم من هذا أن ثعلباً ينكر الأضداد.

ولكننا نجد ابن الأنبارى (تلميذ ثعلب) ، قد أكثر من الرواية عن ثعلب ، وصرح : بأن اللفظ قد يفيد مقابل معناه لعلة من العلل ، قال :

« قال أبو العباس (ثعلب) : إنما جاز أن يقع الظن على الشك واليقين؛ لأنه قول بالقلب : فإذا صحت دلائل الحق ، وقامت أماراته كان يقيناً . وإذا بطلت دلائل اليقين ، كان كذباً ، وإذا اعتدلت دلائل اليقين والشك . . كان على بابه شكاً : لا يقيناً ولا كذباً »[٢] .

بل وذكر ابن خير الدين فى « فهرسته » أن ثعلباً له كتاب فى إثبات الأضداد . . ولكن الكتاب لم يصلنا للأسف .

ونكاد نجزم بأنه لم ينكر الأضداد : إذ دعانى هذا إلى الرجوع لآثار ثعلب ، وخاصة مجالسه ، فوجدته يعترف صراحة بوقوع الأضداد فى اللغة .

ونذكر على سبيل المثال من مجالسه :

(المجرع) : الجبان والشجاع[٣] و (بعض) بمعنى بعض وكل[٤] ، ومثل له فى كتب الأضداد . و (الذفر) : من الطيب والنتن جميعاً[٥] .

وقال أبو العباس : (ظننت) تقع لما مضى ولما أنت فيه ، ولما لم يقع[٦].

---

(١) شرح أدب الكاتب للجواليقى ١٧٧ ، وراجع شرح القصائد العشر ١٨٥ .
(٢) أضداد ابن الأنبارى ١٦ (٣) مجالس ثعلب ٢/٤٥٧
(٤) السابق ١/٦٣ (٥) السابق ١/١١٨ (٦) السابق ١/١٨٣

و (هرشم) للرخو والصلب[١] . و (فاز) بمعنى سلم أو مات عن ابن الأعرابى[٢] . و (فاد) بمعنى تبختر أو مات[٣] . و (وعدته) فى الخير والشر[٤] .

و (الجون) : الليل والنهار ، وهو الأبيض والأسود جميعاً ، لأنه من الأضداد ، و(الجونة): الشمس أيضاً، وأنشد: «وحاجب الجونة أن تغيبا»[٥] .

و (الناهل) : العطشان والريان[٦] . و (عفا) لذهب وطال[٧] .

و (شوهاء) : للقبيحة والجميلة[٨] . وقال أبو العباس : ويقال : (طواه) أى أتاه وجازه ، وهو من الأضداد[٩] . و (سبحا) فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾[١٠] . السبح : السكون ، والسبح الاضطراب[١١] . . .

وهذا قليل من كثير مما ذكره ثعلب فى الأضداد ، وفى هذا دليل على أنه قد اعترف بوقوعها فى اللغة ، ومثل لها، وكل ما سلف من أثر واحد له .

✡ ✡ ✡

• **مؤيدو الأضداد :**

من أبرز الذين أيدوا الأضداد ، وردوا على منكريها : ابن فارس ، وابن الأنبارى ، وابن سيده :

• وقد اعتمد ابن فارس على طبيعة اللغـة العربية ، وراعى الاستعمال العربى فى الأساليب الفصيحة ، فقال : « ومن سنن العرب فى الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو : الجون للأسود ، والجون الأبيض » .

---

(١) السابق ١/٢٤٥ . (٢) السابق ١/٢٠٤ . (٣) السابق ١/٢٠٤ .
(٤) السابق ٢/٢٧٤ . (٥) السابق ٢/٣٧١ (٦) السابق ٢/٣٧٩ .
(٧) السابق ٢/٤٨٩ . (٨) السابق ٢/٤٩٠ . (٩) السابق ٢/٣٥٧ .
(١٠) المزمل : ٧ . (١١) مجالس ثعلب ٢/٤٠٣

ووصف رأى المعارضين بأنه ليس بشىء ، وذلك لأن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهنداً ، والفرس طرفاً ، هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد(١) .

وكتب تأليفاً رد فيه على منكرى الأضداد ، وفند حججهم ونقض رأيهم ، يقول : « وقد جردنا فى هذا كتاباً ، ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا ردّ ذلك ونقضه » . وللأسف لم نعثر على ذلك الكتاب من تأليف هذا العلامة صاحب المقاييس والمجمل .

فابن فارس يحتكم إلى طبيعة اللغة ، ويوجب الوثوق برواية الرواة — وعنده الحق — فى كل ما رووا ، وكما صدقناهم فيما رووا فى غير الأضداد ، يجب أن نصدقهم فى الأضداد . وإلا لفتحنا باباً خطيراً للتشكيك فى كل ما جاءنا عنهم .

* * *

● وتلقف الشانئون والحاقدون على العرب القول بنفى الأضداد ، وطعنوا على العرب ، وألصقوا بهم التهم ، فرد عليهم ابن الأنبارى بقوله :

« ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب ، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطباتهم . فيسألون عن ذلك ، ويحتجون بأن الاسم منبىء عن المعنى الذى تحته ودال عليه ، وموضع تأويله . فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى » .

هذا رأى الشعوبية والطاعنين على العرب . ويرد عليهم ابن الأنبارى بقوله :

---

(١) الصاحبي ٩٧ ، ٩٨

« إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه . فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، ولا يراد بها فى حال التكلم والاخبار إلا معنى واحد .. ويجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التى تقع على المعانى المختلفة، وإن لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده ، مما يوضح تأويله »[١] .

وقد فهم الدكتور السامرائى من رد ابن الأنبارى : أن اللفظة ـ مع ما ذكره ابن الأنبارى ـ لا تدل على الشىء وضده فى الوقت نفسه ، وعنده أن خصوصية التضاد مستفادة من خارج اللفظة ، ويقصد بهذا الخارج : أن فى الكلام من القرائن والمجوزات ما أدى إلى هذا التوسع فى المعنى ، من جراء تطور الاستعمال، ونتيجة الجديدفى الدلالة .. ومثل بـ (رغب فى) و (رغب عن) ، فكلاهما لمطلق الرغبة ، وخصوصية التضاد حاصلة فى حرفى الجر : بالاتجاه الإيجابى فى (فى) ، والاتجاه السلبى فى (عن)[٢] .

وردنا عليه : أن الاقدمين فطنوا لذلك ، وخرجوا ذلك من باب الأضداد ، ويمكننا أن نلحقه بالأضداد فى الحروف لا الأفعال ، وأيضاً : فالألفاظ رموز ، ولا حياة للكلمات إلا فى السياق ، فى كل اللغات .

ويؤيد ابن الأنبارى فى قوله : أن كثيراً من اللغات الأجنبية الآن تعتمد فى فهم بعض ألفاظها وتحديد معناها على السياق فى المقام الأول .

فقد تكلم ابن الأنبارى واستقى رده من طبيعة اللغة العربية فى الاستعمال .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى (المقدمة) . (٢) التطور اللغوى للسامرائى ٩١ ، ٩٢

والأستاذ عبد الفتاح بدوى ، يرى فى رد ابن الأنبارى دليلا على نفى الأضداد ، وهذا من أعجب العجب ، يقول : « وإذا قيل : إن القرائن توضح المراد ، كان هذا تسليما حقاً بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة ، لأن الاعتماد على القرائن ، ليس من طبيعة اللغات فى سذاجتها ، وإنما هو طور آخر فوق ذلك »(١).

فقد سبق أن قلنا : إن التضاد ليس من طبيعة اللغة ، لكن الاعتماد على القرائن ، وتحسس السياق له القدح المعلى فى تحديد معنى اللفظة ، وإلا لألغينا المشترك أيضاً من العربية . فاللفظة وحدها رمز ، تلبس الحدث الاجتماعى بعد وقوعه ، ويفسرها السياق والقرائن .

* * *

● ولما كان الأمر خطيراً فى موقف الأضداد فى لغتنا : إذ يتعلق بالاعتراف أو النفى ، وهمنا فى هذا البحث إنما هو إظهار الحقيقة بعون الله.. فليعذرنا القارىء الكريم إذا نحن وقفنا طويلا أمام رد ابن سيده الأندلسى ، فيما يرويه عن أبى على الفارسى ، إذ عقد فصلا فى « مخصصه » بعنوان : « كتاب الأضداد » ، وبدأه بتقسيمات سيبويه لكلام العرب ، ثم راح يثبت وجود الأضداد ، ويقيم الحجة على المنكرين ، وينقض حججهم ، بقوله :

وأنا أشرح ذلك كله إن شاء الله تعالى ، وأتحرى فيه أشفى ما سقط إلىّ من تعليل أبى على الفارسى :

اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو وجه القياس الذى يجب أن تكون عليه الألفاظ ، لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لا يشركه فيه لفظ آخر ، فتنفصل المعانى بألفاظها ولا تلتبس .

(١) مجلة اللسان العربى مجلد ٨ جـ ١ — يناير سنة ١٩٧١ ص ٩٧

واختلاف اللفظين والمعانى بعد واحدة للحاجة إلى التوسع بالألفاظ ، وبيّن أن هذا القسم لو لم يوجد من الاتساع ما يوجد بوجوده : ألا ترى أنه إذا سجع فى خطبة أو قفّى فى شعر فركب السين ، قال فجاء به مع ما يشا كله. ولو لم يقل فى هذا المعنى إلا بعد أن ضاق المذهب فيه ؛ ومن هنا جاءت الزيادات فيه لغير المعانى فى كلامهم نحو : صباب وعجوز وقضيب فيما حكى لنا عن محمد بن يزيد .

وأيضاً فإذا أراد التأكيد قال : قعد وجلس، فتكون المخالفة بين الألفاظ أسهل من إعادتها أنفسها وتكريرها :

ألا ترى أن فى التنزيل : ﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾[1] والغرابيب هى السود عند أهل اللغة ، فحسن التكرير لاختلاف اللفظين ، ولو كان غرابيب لم يكن سهلا .

وأما القسم الثالث وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغى ألا يكون قصداً فى الوضع ولا أصلا ، ولكنه من لغات تداخلت . أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشىء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل ...

قال : وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التى حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة لشىء وضده . (ولعله لم يعين شيخه لأنه أنكر رأيه) .

ثم ذكر أنه لا حجة للمنكرين بوجه ما ، يقول :

والقول فى هذا : أنه لا يخلو فى إنكار ذلك ودفعه إياه من حجة من جهة السماع أو القياس . ولا يجوز أن تقوم له حجة تثبت له دلالة من جهة

---

(١) فاطر : ٢٧

السماع بل الحجة من هذه الجهة عليه : لأن أهل اللغة كأبى زيد وغيره ، وأبى عبيدة والأصمعى ، ومن بعدهم ، قد حكوا ذلك ، وصنفت فيه الـكتب ، وذكروه فى كتبهم مجتمعاً ومفترقاً ؛ فالحجة من هذه الحجة عليه لا له .

فإن قال : الحجة تقوم من الجهة الأخرى ، وهى : أن الضد بخلاف ضده ، فإذا استعملت لفظة واحدة لهما جميعاً ، ولم يكسب كل واحد من الضدين لفظاً يتميز من هذه ويتخلص به خلافه أشكل وألبس ؛ فعلم الضد شـكلا ، والشكل ضداً ، والخلاف وفاقاً ، وهذا نهاية الإلباس وغاية الفساد .

قيل له : هل يجوز عندك : أن تجىء لفظتان من اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين ؟

فلا يخلو فى ذلك أن يجوّزه أو يمنعه :

فإن منعه ورده : صار إلى ردّ ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ، ومنع ما ثبت جوازه وشبّهت عليه الألفاظ ، فإنها أكثر من أن تحصى وتحصر : نحو وجدت الذى يراد به العلم والوجدان والغضب ، وجلست الذى هو بخلاف قمت ، وجلست الذى هو بمعنى أتيت نجداً ، ونجداً يقال لها : جلس .

فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ، ثبت جواز اللفظة الواحدة للشىء وخلافه .

وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشىء وخلافه جاز وقوعها للشىء وضده ، إذ الضد ضرب من الخلاف ، وإن لم يكن كل خلاف ضداً ...

وضرب مثالا بقوله : « ويدل على جواز وقوع اللفظة لمعنيين مختلفين قولهم : « ظننت » والظن بمعنى الحسبان وخلاف العلم ، واستعمل أيضاً لمعنى اليقين ،

كقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾(١) . (ثم يعترض ويجيب فى سخرية) :

فإن قال قائل : إن معنى الظن هاهنا وفيما حكاه الله تعالى عن المؤمنين فى قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾(٢) الحسبان ، فهو عظيم ؛ لأن الشك فى لقاء الحساب كفر ، لا يجوز أن يمدح الله به ! ! فإذا لم يجز ذلك ثبت أنه علم ويقين . فهذا مستعمل فى الكلام وخلافه لا يشك فى ذلك مسلم ..

ثم يستمر فى سوق الأدلة يقول :

« ومما يدل على فساد قول من دفع أن اللفظ يقع لمعنيين قوله تعالى فى وصف أهل الجنة : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾(٣) وطمعهم هذا لا يخلو من أن يكون على معنى اليقين ، أو الطمع الذى يجوز معه كون المطموع فيه وخلافه ، فلا يجوز أن يكون هذا الطمع ، لأنه ليس فى الآخرة شك فى شىء من أمور الجنة والنار ، والعلم بذلك كله اضطرار .

ويدل على أن الطمع بمعنى اليقين ما أخبر الله تعالى به عن إبراهيم — عليه السلام — : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾(٤) ، فهذا الطمع لا يكون شكا ، ولا يتوجه على غير اليقين ؛ لأن إبراهيم عليه السلام، لا يكون شاكًا فى الله عز وجل ، بل كان عالمًا بأن الله سيغفر له ذلك »(٥) .

ونستخلص من كلام ابن سيده وغيره ما يلى :

١ — أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو وجه القياس ، حتى يختص كل لفظ بمعنى .

٢ — المشترك والمتضاد ليس قصداً فى الوضع ، ولا أصلا ، ولكنه :

---

(١) البقرة : ٤٦ — (٢) الحاقة : ٢٠

(٣) الأعراف : ٤٦ — (٤) الشعراء : ٨٢

(٥) المخصص ١٣/٢٥٨ - ٢٦٣

إما من لغات تداخلت ، أو من استعمال اللفظ لمعنى مجازى ، ثم غلبة هذا المعنى المجازى حتى يصير بمنزلة الأصل .

٣ ـ الأضداد ، مما اتفق لفظه واختلف معناه ، فالضد ضرب من الخلاف وإن لم يكن كل خلاف ضداً .

٤ ـ ورأيناه اعتمد فى رده على طبيعة اللغة فى استعمالاتها ، وهذا رائع منه ، كما ذكره ابن فارس .

وأن ابن الأنبارى شكك فى نيات النافين للأضداد ، واعتمد على السياق وموضع الكلمة ، ومساعدة الجوار على فهم نحواها ، وأصاب فى ذلك .

واستعمل ابن سيده : المنطق والجدل فى رده ، فأفحم المعارضين وسد عليهم منافذ القول .

* * *

أضداد بلا شواهد :

رمى بعض المحدثين علماء الأضداد القدامى ، بأنهم ساقوا بعض ألفاظ الأضداد بلا شاهد أحياناً ، وبدون نسبة مرة أخرى . ونسبوا أكثر ذلك لابن الأنبارى . ولما اطلعت على الكثرة من كتب الأضداد أدركت أنهم لم يطلعوا إلا على قلة من كتب الأضداد ، أو على كتاب بن الأنبارى وحده (والرافعى لم يره مطلقاً) .

وحين نظرت فى كتاب الأضداد لأبى الطيب اللغوى ، وجدت أن الشواهد التى أغفلها ابن الأنبارى قد استشهد لها أبو الطيب اللغوى فى اثنتين وأربعين لفظة .. ولم يبق من الألفاظ التي لا شاهد لها عند ابن الأنبارى ، سوى ثمانية وعشرين لفظاً .

ومنعاً للإطالة أذكر بعض الألفاظ التى لم يستشهد لها ابن الأنبارى وجاءت شواهدها عند أبى الطيب اللغوى ، فليراجعها من شاء ، ومن هذه الألفاظ :

« بيع، السكرى ، قد انقبض الرجل، يوم معمعان، خل، طلعت ،اجلعب، العريض ، الثنىّ ، بعل ، الفجوع ، الزجور ، الرغوث ، قشيب ، عروك ، ظؤر ، رحول، الحضارة ، الخابط، زعوم، الثلة، حططنا، رعيب، النحيض، بنة ، افترط ... » ومن يرجع إلى القواميس المعتبرة يجد شواهد كثيرة .

وأما نسبة الشواهد إلى قائليها ، فقد قام المحققون المخلصون بدور هام فى هذا الجانب ، وأذكر من هؤلاء الأفاضل الأساتذة والمشايخ :

محمد عبده ، ومحمد على النجار ، وسيد صقر ، والشنقيطى ، ودكتورة عزة حسن ، ودكتور محمد حسين ، وعبد العزيز الميمنى الرجواتى (الهندى)، ومحمد على البجاوى ، ومحمود شاكر ، وأبو الفضل إبراهيم ، وعبد الستار فراج، وعبد السلام هارون ... وغيرهم ممن أسدوا إلى العربية يداً تذكر فتشكر . . فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

ولو كلف الذين عابوا على القدامى سوق الألفاظ بلا شواهد ، أو بلا نسبة .. لو كلفوا أنفسهم الرجوع إلى موسوعة ، أو إلى تحقيق أصل ، أو أصل محقق، أو قاموس معتبر، أو إلى جهد عالم .. لما كتبوا ما كتبوا ، ولأراحو واستراحوا .

وعلى سبيل المثال راجع شواهد (العنعف) ، فى تاج العروس ٦/٢٥٩ . وفى (الفائق) للزمخشرى راجع شواهد (ثلة) فى ١/١٦١، ٢١٤ . و(الحرفة) فى ١/٢٥٢، ٢٥٣، و(الأيم) ١/٣٧٠ ، و (الهبل) ١/١٠٠ .

وفى « أساس البلاغة » راجع شواهد : (رثماء) ١٥٤ ، و (أرز) ٤ ، و (قعد وقدد) ٣٧٢ ، وفى أضداد طيب ٥٦٨ ، و (النمف) ٤٦٤ . هذا فضلا عما سبق من الشواهد التى ساقها أبو الطيب فى كتابه ، لما أغفله ابن الأنبارى وسنذكر شواهد لما عرى من الشواهد ، وألفاظًا جديدة تناولتها أمهات الكتب الأدبية واللغوية وكتب الأضداد المتأخرين .

* * *

● **الشبيه بالأضداد :**

نبه بعض علماء الأضداد على أن من الألفاظ ما يفسر تفسيرين مختلفين ، لكنهم ضنوا عليها بعدّها من الأضداد ، وأطلقوا عليها : « شبه الأضداد » .

وجعلها ابن سيده تحت عنوان : « ومما هو فى طريق الأضداد » ، وعد منها : (سنح) للسهل والحرج ، و (وجاح) للستر وضده ، (والحورى) للذى يخالط الناس ، والذى يجتنبهم[1] .

وذكر ابن الأنبارى بعض هذه الألفاظ فى أضداده ، ومعظمها من ألفاظ الألوان .

والتنبيه على الشبيه بالأضداد ، دليل على : أن علماء الأضداد لم يجمعوا كل ما هب ودب ، ونسبوه للأضداد ، كما نقدم بذلك بعض المحدثين .

وهذه نماذج من الشبيه بالأضداد :

(الأحمر) مما يشبه الأضداد : يقال للأحمر وللأبيض : قال أبو عمرو ابن العلاء: أكثر ما تقول العرب فى الناس أسود ، وأحمر ، قال: وهو أكثر من قولهم : أسود وأبيض[2] . وأنشد ابن السكيت لأوس بن حجر :

---

(١) المخصص ١٣/٢٦٦

(٢) أضداد ابن الأنبارى ٢٤٦ ، وشرح المفضليات لابن الأنبارى ٢٣٨

وأحمر جعداً عليه النسور[1]

و (الأخضر) يقال: للأخضر، وللأسود، قال الشماخ:

وليل كلون الساج أسود مظلم   قليل الوعى داج كلون الأرندج[2]

(الساج: طيلسان أخضر. فشبه الليل بالطيلسان الأخضر ويريد شدة سواده، والوعى: الصوت. والأرندج: جلود سود).

وقال أبو هريرة - رضى الله عنه - «أصحاب الدجال عليهم السيجان، شواربهم كالصياصى: (قرون البقر) وخفافهم مخرطمة». أى لها خراطيم[3]

وقال ذو الرمة: (فى ظل ليل أسود):

قد أعسف النازح المجهول معسفه   فى ظل أخضر يدعو هامه البوم[4]

(أعسف: سار على غير هدى. النازح: البعيد. والمجهول: الذى لا علم له. والأخضر: يقصد به ها هنا الليل. والهام: ذكر البوم).

وقال ذو الرمة: يصف نبتاً اشتدت خضرته:

كسا الأكم بهمى غضبة حبشية   تؤاماً ونقعان الظهور الأقارع[5]

(البهمى: نبت - والنقعان: حيث يستنقع الماء. والظهور: ما ارتفع من الأرض، والأقارع من الأرض: الصلاب). فقال حبشية: وهو يريد شديد الخضرة.

ونبه بعض اللغويين على أن الأخضر ليس من حروف الأضداد، وإن ذهب به إلى معنى السواد، لأن الشىء إذا ما اشتدت خضرته رُئى أسود،

---

(١) السابق   (٢) أضداد ابن الأنبارى ٣٤٧   (٣) السابق.

(٤) ديوان ذى الرمة ٥٧٢، أضداد ابن الأنبارى ٣٤٨

(٥) ديوان ذى الرمة ٥٠٤، أضداد ابن الأنبارى ٣٤٨

والدليل على هذا : أن بعض المفسرين فسر قول الله تعالى : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[(١)] فقال : خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الري[(٢)] .

وقال اللهبي : (أبو أمية الفضل بن العباس بن عتبة) ، يفخر بأن لونه أسود كلون العرب :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب[(٢)]

و (الأسود) : شبيه بالأضداد ، يقال للأسود : ويقال درهم أسود : إذا كان أبيض خالص الفضة جيدها[(٣)] .

وقد روى بالسند : أن الأعمش سئل عن حديث فأبى أن يحدث به ، فلم يزل السائلون يحاورونه ويداورونه ، حتى استخرجوه منه . فضرب لهم مثلا فقال : جاء قفاف إلى صيرفي بدراهم يريه إياها ، فقف منها الصيرفي سبعين درهماً ، فلما وزنها القفاف عرف النقصان ، فقال :

عجبت عجيبة من ذئب سوء أصاب فريسة من ليث غاب

وقف بكفه سبعين منها تنقاها من السود الصلاب

(قفاف : سارق الدراهم باصبعه . السود : يقصد البيض) .

وقال بعضهم : ليس الأسود من الأضداد ، لأن الدرهم إذا وصف بالسواد فإنما يذهب به إلى أنه قديم الفضة جيدها ، وأنه قد تغير لونه ، واسود بعض الاسوداد ، لمرور الأيام والليالي ، كما حكى ابن الأنباري[(٤)] ونقول : لكن أصبح لها وصف السواد .

* * *

(١) الرحمن : ٦٤

(٢) أضداد ابن الأنباري ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ومعجم الشعراء ٣٠٩ ، والمؤتلف والمختلف ٣٥ ، أضداد أبو الطيب ١/٢٣١ ، واللسان (خضر)

(٣) أضداد ابن الأنباري ٣٤٩

(٤) السابق .

علماؤنا أمناء .. وباللغة بصراء

علماؤنا الأقدمون كان علمهم حسبة لله تعالى ، ومن ثم فلا يعتبر نقدهم لبعض حسداً ، ولاهدماً ... إنما كان نقدهم بناء ، ولوجهة نظر ، واستدراك على وجهة نظر مخالفة أو إدلاء بما لم يصل إلى الآخرين . . وقبل كل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى .

كما احتاطوا للأمر بقولهم : أظنه ، أو لا أحقه ، أو لم أسمع به ، أو لا أدرى ، أو والله أعلم[1] .

وخالفوا بأدب كقولهم : وهم ، زعم ، وليس الأمر كما قال ، وغاب عنه ، وعندى ، ولا أقول بذلك . . .

ولم يغمطوا فضلا لسابق ، ولا رأياً لراء ، فساقوا حججه ، وذكروا أدلته ، ودعوا له بخير .

واستفاد العلماء اللاحقون من السابقين ، واعترفوا بذلك أمانة وتواضعاً .

وجوزوا أكثر من وجه إذا سمع من الفصحاء ، كما يعلق على ذلك أبو الطيب بقوله : « وكل صواب مسموع العرب »[2] . ويستشهد له .

ويرجحون شيئاً ويردون شيئاً ، متى قام الدليل . وكل ما أشار به المحدثون ، وتحدثوا عنه ، كقولهم : البيع يقوم على المبادلة ، فكلا الطرفين بائع ومشتر . . وأشار إليه الأقدمون[3] .

---

(١) أضداد الطيب ١/٣٦٣ .   (٢) السابق ١/٢٣

(٣) السابق ١/٤٩

وميزوا بين الاشتقاقات والجموع ، ونبهوا إلى اختلاف المادة ، حتى لا يكون الاشتراك كاذباً ، مثل : هوى (فعل ماض) ، وهوى : اسم . وجمع (حرف) للناقة القوية ، أحراف . ومن الخط حروف . ومن الجبل حرفة[١] .

ومتى استقام له الشاهد وقف عنده : كقول أبى الطيب :

« ولكن من الأضداد عندى قولهم : ضيعت الرجل أضيعه تضييعاً إذا قصرت فى أمره ، أو جعلته فى ضيعة يعالج فيها » . أما ضاع بمعنى : ضياع الشىء ، وبمعنى ظهر ، فلم يعده أبو الطيب من الأضداد ، لاختلاف التصريف ، وإن عده السجستانى منها[٢] .

والمفازة من (فوّز) إذا مات أشاروا إليها[٣] . وأبو الطيب يرى القشيب بمعنى القديم أيضاً ، ما دام قد حكاه عدة من علمائنا ولا يحسبه إلا صحيحاً[٤] . ورد السجستانى « بردية » بمعنى سخنيه ، كما يزعم قطرب ، ووافق أبو الطيب السجستانى لأن المعنى لا يستقيم على ما ذكر قطرب[٥] .

وردوا ما لم يستقم لديهم ، ولم يقبلوا بعض الألفاظ وعددوها فى طريق الأضداد ، وردوا ما تكلمت به العرب مقلوباً عن وجهه ، كما صنع أبو الطيب فى آخر كتابه (الأضداد) وراعوا الدقة فى تسمية العرب لكل دقيق وجليل باسم يخصه ، كالثفنات فى الأضداد .

فعلماؤنا القدامى — رحمهم الله — كانوا من أعرف الناس بالحدود التى يجب أن يقفوا عليها وعندها .

---

(١) السابق ١/١٩٢
(٢) السابق ١/٤٠١
(٣) السابق ٢/٥٠٧
(٤) السابق ٢/٥٨٨
(٥) السابق ١/٨٦

واعـــتزوا بالسند : جاء فى أول شرح المفضليات للضبى ، أن ابن الأنبارى (شارح المفضليات) قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الجراح الخزاز قراءة عليه قال :

قرأ ابن الأنبارى (الـكتاب) على والده ، ورويت القصائد بالسند عن عامر بن عمران أبى عكرمة الضبى ، عن الضبى نفسه مجلساً مجلساً ، وذكر أنه أخذها عن أبى عبد الله بن زياد الأعرابى وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبى .

وقال ابن الأنبارى : كنت أسأل أبا عمرو بندار الـكرخى وأبا بكر العبدى ، وأبا عبد الله محمد بن رستم ، والطوسى وغيرهم ، عن الشىء بعد الشىء ، فيزيدوننى على رواية أبى عكرمة البيت والتفسير ، وأنا أذكر ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى . فلما فرغنا منها صرت إلى أبى جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح فقرأتها عليه كلها ، شعرها وغريبها ، فأنـكر على أبى عكرمة أشياء أنا مبينها فى مواضعها ، ومسند إلى أبى جعفر ما فسر وروى فى موضعه إن شاء الله .

• ولاحظ علماؤنا القدامى استعمال الشاعر الواحد للاسم الواحد فى أكثر من مسمى ، مثل : (القلعة) بمعنى الارتفاع والانخفاض فى استعمال الشاعر الراعى .

و (دوم) بمعنى سكن وتحرك ، عند ذى الرمة . واستعمال : (الإهماد) للجد فى السير ، والإهمال فيه أيضاً عند رؤبة .

وأبو الطيب لا يرى السوق ساقطاً ، بل مدهمناً بمعنى الجيد .

وابن الأنبارى يرى الأصل الجامع للمعنيين ، كالذفر بمعنى شدة الريح

مطلقاً فى الطيب والنتن جميعاً . وهناك فرق بين الثلاثى والرباعى فى بعض الاستعمالات ، وأحياناً لا فرق كما فى « شام » ، وقد حكاه ثعلب عن مسلمة عن الفراء .

فهل يجوز – بعدئذ – رمى هؤلاء بالتزيد ، أو الافتراء ، أو التعسف ، أو عدم الدقة ، أو إلقاء القول على عواهنه ، أو عدم الفقه لما تناولوه ؟ ! اللهم إن هذا لا يجوز .

* * *

الأضْداد كثيرَة

● **ألفاظ مخبوءة وشواهد مبثوثة :**

وصف بعض العلماء ألفاظ الأضداد بالقلة ، ووصفها بعضهم بالكثرة ؛ فقد ذكر منها ابن الأنباري ، أربعمائة لفظة بينما « جيز » لم يذكر منها سوى عشرين لفظة . وقالوا : إن ابن سيده توسط فذكر مائة وعشرين لفظة .

والأمر – في نظري – يزيد على أربعمائة لفظة بكثير ، وهذا ليس بالقدر اليسير في تنمية اللغة العربية ؛ من باب أنه إذا كان التخاطب والتفاهم ممكناً بحوالي ثلاثة آلاف كلمة ، فإن أكثر من أربعمائة كلمة في التضاد ليست بالأمر الهين في التنمية ، حينما ترى المعنى في وجهين مختلفين ، فضلا عن التوسعة بالمشترك اللفظي كما رأينا في كثرة معاني اللفظة الواحدة ، وكذلك المشترك المعنوي (المترادف) .

وإن من يطالع القاموس – مثلا – فإنه واجد – ولا شك – إشارات كثيرة صريحة لألفاظ جديدة للألفاظ ، استشهد لمعظمها صاحب تاج العروس وغيره . والمحكم لابن سيده ، والنهاية لابن الأثير ، وغيرها . . . ونسوق هنا بعض ما وجدناه من الشواهد والألفاظ ، ومعظمها لم تذكره كتب الأضداد ، مشيرين إلى مصادره في إيجاز ، ورأي العلماء فيه :

(كتم) من الأضداد : قال أوس بن حجر :

كَتُومُ طِلَاعِ الْكَفِّ لا دُونَ مِلْئِهَا
وَلاَ عَجْسُهَا مِنْ مَقْبِضِ الْكَفِّ أَفْضَلاَ

وصف القوس بأنها مرتفعة الصوت ، بقوله : (كتوم) لأن الكلمة من الأضداد[١] .

و (ترك) شبيه بالأضداد : فهو القهر والاختيار ، والجعل أيضاً ، كأنه ضد . وشاهد القهر قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٢]. وشاهد الاختيار قوله تعالى : ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾[٣] .

و (زهم) حرف من الأضداد[٤] . وجاء في القاموس ، والتاج : المزاهمة : المقاربة والعداوة : ضد .

و (مديان) من الأضداد : للذي يقرض الناس كما قال ابن برى وابن خالويه ، ووصفوه بالغريب . وفي الصحاح هو من يأخذ بالدين ويستقرض . واستشهد ابن الأثير لهذا بالحديث : « ثلاثة حق على الله عونهم : منهم المديان الذي يريد الأداء »[٥] .

و (جعفر) هو النهر عامة ، أو النهر الصغير حكاه ابن جني وأنشد :

إِلَى بَلَدٍ لَا بَقَّ فِيهِ وَلَا أَذَى ... وَلَا نَبَطِيَّاتٌ يُفَجِّرْنَ جَعْفَرَا

رآه الجوهري وابن الأعرابي : النهر الصغير . وابن الأجدابي اقتصر على الكبير (أي ضد باعتبار الوصف) . قال : قاله شيخنا وأنشد عن شيوخه :

يُثْنِي مَعَاطِفَهُ وَأَذْرُفُ عَبْرَتِي ... فَإِخَالُهُ غُصْنًا بِشَاطِئِ جَعْفَرِ

وأنشد ابن الأعرابي : تأود عسلوج على شط جعفر[٦] .

---

(١) ديوان أوس ٨٩ ، نظام الغريب للربعي ١٠١ (٢) الدخان : ٢٥

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٩٨ ـ والآية من سورة الدخان : ٢٤

(٤) القاموس (زهم) ، تاج العروس ٨/٣٠٣

(٥) الصحاح ، والنهاية لابن الأثير (دين) وتاج العروس ٩/٢٠٧

(٦) الصحاح والقاموس (جعفر) وتاج العروس .

و (جعشوش) : الطويل والقصير : ضد[١] . و (الجلمد) : الصلب الشديد ، ومن النساء : المسنة[٢] .

و (صرى) إذا باد ، وإذا تخلف ، قال أبو الطيب : وهو أيضاً من الأضداد ، وحكى عن ابن الأعرابى[٣] .

و (أوجى) : أعطى عن أبى عبيد والكسائى ، وأنكره شمر ، وسألته فأوجى : أى بخل ومنع[٤] .

و (الونى) : التعب والفترة : ضد . كما فى المحكم والصحاح . قال امرؤ القيس :

مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثَرْنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُوَكَّلِ

وأنشد القالى :

وَصَيْدَحَ مَا يَفْتُرُ وَنَاهُ
وَإِنْ وَنَتِ الرِّكَابُ جَرَتْ أَمَامَا[٥]

و (شجا) للهم والحزن ، وللطرب أيضاً : ضد[٦] .

و (شرى) رذال المال وخياره قاله ابن السكيت ، وقال الراغب : وشريت بمعنى بعت أكثر . وحكى عن الجوهرى رذال المال ، وحاول بعضهم أن يوهنه ويوهمه ، ودافع عنه البدر القرافى ، بأنه لا نص على الوهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ[٧] .

و (نضوب) : السيلان والجفاف . قال علقمة : ... قوارير فى أدهانهن نضوب . (جفاف)[٨] .

---

(١) القاموس (جعشوش)
(٢) السابق (جلمد)
(٣) أضداد أبو الطيب ١/٤٤٧
(٤) تاج العروس ١٠/٣٨٤
(٥) تاج العروس ١٠/٤٠٢
(٦) السابق ١٠/١٩٣
(٧) السابق ١٠/١٩٧
(٨) ديوان علقمة بشرح الاعلم ١٧

و (شنيع) : ذكر أشنع عال ومرتفع ، وأشنع بيّن الشناعة ، قال ابن دريد : فأحسبه من الأضداد ، وأنشد :

وَكَانَتْ غَدْرَةً شَنْعَاءَ فِيكُمْ تَقَلَّدَهَا أَبُوكَ إِلَى الْمَمَاتِ[1]

و (النبيل) : الشيء الخسيس ، والنبيل : الجليل أيضاً ، قال حضرمي ابن عامر :

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ أُورَثَ ذَوْداً شَصَائِصاً نَبْلَا[2]

و (الخيلولة) للشك واليقين ، كما ذكر الثعالبي[3] .

و (صمرد) من النوق ، القليلة اللبن والكثيرة : (ضد) هذا من كلام المحققين وشرحهم[4] .

و (عبيثران) : شجر منتن الريح عن الأموي ، قال الشاعر :

يَا رِيَّهَا إِذَا بَدَا صِنَانِي كَأَنَّنِي جَانِي عُبَيْثِرَانِ

وقال غير الأموي : هو شجر طيب الريح[5] .

و (الحفض) : المتاع ، والبعير الذي يحمل المتاع أيضاً . وفي المثل : (يوم بيوم الحفض المجوّر) أي صنع به كما كان يصنع[6] .

وأنشد الأخفش للعجير السلولي :

فَبَيْنَاهُ (يَشْرِي) رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَمَلٌ رَخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبُ

ضل البعير فيئس منه صاحبه ، وجعل يبيع رحله ، ثم سمع أعرابياً يبشر بوجوده[7] .

---

(١) الاشتقاق لابن دريد ٣٨٣ (٢) السابق ٣٩٤ ، والكامل للمبرد ٦٨/١

(٣) فقه اللغة للثعالبي ٣٤٩ (٤) المنصف لابن جني ٣٧٠

(٥) نوادر ابن الأعرابي ٨٢ ، والحيوان للجاحظ ٢٤٤/١ ، والمخصص ١٨٥/١١ ، وإصلاح الألفاظ ١٦٢ .

(٦) نوادر ابن الأعرابي ٣٩٣ . والأمثال للميداني ٤١٥/٢ واللسان (حفض) .

(٧) الكتاب لسيبويه ٢٢/١ .

و (اقفنسس) : الشديد الوطأة ، والمتثاقل المتباطىء أيضاً[١] .

و (دخال) أن يدخل القوى بين ضعيفين ، أو العكس ، قال لبيد ابن ربيعة :

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ وَلَمْ يَزُدْهَا وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَغَصِ الدِّخَالِ[٢]

و (المجلعب): الماضى فى السير، وأيضاً: الممتد المضجع. قال ابن الأعرابى يصف فرساً : وإذا قيد اجلعبا . . وتناوله الأزهرى بالحديث ، وابن سيده ، وصاحب اللسان[٣] .

و (دقع) : شبع وجاع : وفى الحديث : « إذا جعتن دقعتن » ، وقدم أعرابى إلى الحضر فشبع حتى أتخم ، فقال :

أَقولُ لِلْقَوْمِ لَمَّا ساءَنِي شِبَعِى أَلاَ سَبِيلُ إِلَى أَرْضٍ بِهَا الْجُوعُ
أَلاَ سَبِيلَ إلى أَرْضٍ يَكونُ بِهَا جُوعٌ يُصَدِّعُ مِنْهُ الرَّأْسُ دَيْقُوعُ

ودقع الفصيل : بشم . كأنه ضد[٤] .

و (أحم) : الأحم : الأسود من كل شىء . وقيل الأحم : الأبيض ـ عن الهجرى ـ ضد . وأنشد . . أحم كمصباح الدجى[٥] .

و (طلع) ظهر وغاب[٦] . و (ذمة) : بئر ذمة : كثيرة الماء وقليلته : ضد[٧] .

و (مرس) : مرس الحبل أبعده عن مجراه، وأيضاً أعاده إلى مجراه[٨] .

و (جلل) : فى هين يسير ، جاء قول العباس يوم بدر : « القتل جلل

---

(١) نوادر ابن الأعرابى ٤٠٠

(٢) الكتاب لسيبويه ١/٢١٩

(٣) اللسان ١/٢٦٦

(٤) المحكم ٢/٩٩

(٥) السابق ٦/٣٨٦

(٦) السابق ٦/٣٤١ .

(٧) البئر لابن الأعرابى ٦٢ ، والمخصص ١٠/٣٨

(٨) البئر لابن الأعرابى ٧٢ ، والغريب المصنف ١٧/٢٤٧

ما عدا محمدا »[١].

و (القسط) : العدل : وفى الحديث: « إن الله يخفض القسط ويرفعه »، أى ينزل العدل إلى الأرض مرة ، ويرفعه أخرى[٢].

و (خفى) من الأضداد : ففى الحديث : « ما لم تصطبحوا أو تختفوا بقلا » ، أى تظهرونه ، وفى الحديث أيضاً : « أنه كان يخفى صوته بآمين » أى يظهره[٣].

و (التطفيف) يكون بمعنى الوفاء والنقص . وفى حديث حذيفة أنه استسقى دهقاناً ،فأتاه بقدح فضة ، فحذفه به ، فنكس الدهقان وطففه القدح. وفى حديث عمر لمن ترك صلاة العصر بلا عذر : (طففت) ، أى نقصت[٤].

و (ملحة) : الكلمة القبيحة ، وأيضاً المليحة ، قالت عائشة رضى الله عنها ، لمن قالت لها : أأزم جمل ؟ (أى تسحر له) : « ردوها علىّ ملحة فى النار »[٥].

و (الكُنْتى) القوى والضعيف ، قاله ابن بزرج وأنشد :

وَقَدْ كُنْتُ كُنْتِيًا فَأَصْبَحْتُ عَاجِنًا   وَشَرُّ رِجَالِ النَّاسِ كُنْتُ وَعَاجِنُ

وروى : فأصبحت كنتياً وقد كنت عاجناً . وقال أبو زيد :

إِذَا مَا كُنْتَ مُلْتَمِساً لِغَوْثٍ   فَلَا تَصْرَخْ بِكُنْتِيٍّ كَبِيرِ[٦]

و (القعدد) : الشريف النسب والحسب ، قال الجوهرى : وكان عبد الصمد على بن عبد الله الهاشمى : « قعدد بنى هاشم » . والقعدد : اللئيم الخسيس، قال الطرماح يهجو رجلا ،أقعده عن المكارم لؤم آبائه وأمهاته :

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢٨٨/١   (٢) السابق ٥٣/٢
(٣) السابق ٥٦/٢   (٤) السابق ١٢٩/٣   (٥) السابق ٣٥٤/٤
(٦) الاغراب فى جدل الأعراب ولمع الأدلة لابن الانبارى ١١٨ ، وتاج العروس ٥٧٩/١

وَلَـكِنَّهُ عَبْدٌ تَقَعْدَدَ رَأْيُهُ   لِئَامُ الْفُحُولِ وارْتِخَاصِ الْمَنَاكِحِ

والقعدد الجبان اللئيم ، وأنشد الأزهرى :

قَرَبنى تسوف قَفَا مُقْرِف   لَئِيمٍ مآثِرُهُ قُعْدُدُ[١]

و (أنشد) الضالة : عرفها واسترشد عنها . (ضد)[٢] .

و (النجر) قال ابن الأعرابى : العطش وشدة الشرب ، وقيل : هو أن تمتلىء البطن من الماء واللبن الحامض فلا يروى من الماء . قال أبو محمد الفقسى يصف إبلا بها عطش شديد :

* حتى إذا ما اشتد لوبان النجر *[٣]

و « اليفن » : الصغير والكبير[٤] .

و « عج » : عجت الأم أولادها أخرت رضاعها عنهم ، أو عجلته ، من الأضداد ، قال الأعشى :

ما تعادَى عنهُ النَّهارُ ولاَ   تَعْجُوهُ إلاَّ عفَافَة أَوْ فوَاقُ

أى لا تتباعد الظبية عن ولدها إلا ريثما يجتمع اللبن فى ضرعها[٥] .

و « ضخضخ » : الكثير والقليل ، قال أبو ذؤيب يصف رعداً وبرقاً وسحاباً (كثيراً) :

يَجِشُّ رعداً كهدْرِ الفحلِ تَتْبَعُهُ   أُدْمٌ تَعطّفَ حَولَ الفحلِ ضَخْضَاخ

وأصله الماء الرقيق[٦] . و (مقلص) حرف من الأضداد : طويل مرتفع وقصير[٦] .

و (البلاء) : الإحسان ، والإساءة : قال ربيعة بن الكودن يمدح :

---

(١) تاج العروس ٢/٤٧٠ (٢) السابق ٢/٥١٤ (٣) السابق ٣/٥٠٦
(٤) السابق ٩/٣٧٠ (٥) ديوان الاعشى الكبير ٢١١
(٦) السابق ٦/٤٣١

كريماً مِنَ الْفِتْيانِ مِثْلَ خُوَيْلِدٍ أَخَا ثِقَةٍ وَذَا بَلَاءٍ ومَصْدَقِ[1]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾[2] ، و﴿ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً ﴾[3] .

و (الخل) : البعير المهزول والسمين ، قال تأبط شراً ، فى الضعيف :

فاسْقِنِيهَا يا سَوَادَ بنَ عَمْرو إِنَّ جِسْمِى بَعْدَ خَالِى لَخَل[4]

و(ريّض) : الناقة التى قد ريضت ، والتى لم ترض . قال الراعى النميرى ، فى التى قد ريضت :

وكَأَنَّ رَيِّضَهَا إِذَا يَاسَرْتَهَا كانَتْ معاودةَ الرَّحيلِ ذَلُولاَ[5]

و (الشف) : الزيادة والنقصان ، جاء فى النقصان :

فلأعرفنْ ذَا الشّفّ يَطْلُبُ شَفَّهُ يُدَاوِيهِ مِنْكُمْ بالأَدِيمِ الْمُسَلَّمِ[6]

وفى الزيادة ، قال سويد بن أبى كاهل فيمن لا يعجز بحمل الديات :

وَإِذَا مَا حَمَلُوا لَمْ يَظْلَعُوا وَإِذَا حَمَلَتْ ذَا الشِّفِّ ظَلَعَ[7]

و(الماثل) : القائم المنتصب ، والذاهب أيضاً ، وشاهد القائم قول المزرد :

تقولُ إذا أبصرتَهُ وهُو صائمٌ حِبَاءٌ عَلَى نُشْزٍ أَوِ السِّيدُ مَاثِلِ

ويقال : رأيت شخصاً ثم مثل ، أى ذهب[8] .

و (جران) : جلد ظاهر العنق أو باطنه ، عن ابن الأنبارى ، قال المثقب العبدى :

وأغضتْ كَمَا أَغْضَيْتُ عَيْنِى فعرسَّتْ
على الثَّفنَاتِ والجرانُ هُجُودُها[9]

---

(١) السابق ٢/٦٥٨ (٢) الصافات : ١٠٦
(٣) الأنفال : ١٧ (٤) السابق ٢/٨٣٨
(٥) شرح ديوان ابن أبى حصينة للمعرى ٢٣٠ ، وديوان الراعى ٢١٤
(٦) المعانى الكبير لابن قتيبة ١/٥٠٤ (٧) شرح المفضليات لابن الأنبارى ٣٩٥
(٨) السابق ١٦٥ (٩) السابق ٢٠٥

و (حفض) البعير الضعيف والقوى . قال شبيب بن البرصاء ، فى معنى الضعف :

فَلَمْ تَذْرُفِ العَيْنَانِ حَتّى تحَمَّلَتْ
مَعَ الصُّبْحِ أَحْفَاضٌ لَهُمْ وحُدوجُ

وقال رؤبة : ياابن قروم لسن بالأحفاض[1] .

و (اللوث) : الشدة والضعف ، أنشد يعقوب فى القوة .

فَالْتَاثَ مِنْ بَعْدِ الْبُزُول عامين   فاشتدَّ ناباهُ وغير النَّابَيْنْ

وقال العجاج :

☆ بِذَاتِ لَوْثٍ أَوْ نَبَاجٍ أَشْدَفَا ☆

وللأعشى (فى ناقة شديدة لا تعثر) :

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٌ إِذَا عَثَرَتْ   فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَن أَقُولَ لَعَا

وقال حميد الأرقط فى الضعف والاسترخاء :

إِذَا بَاتَ ذُو اللَّوثَةِ فى منامِهِ   يَرْمى بِهِ الجَهْدُ عَلَى أَجْرَامِهِ[2]

و (فلاه) طرده ، أو رباه ، قال الحطيئة فى معنى رباه :

سَعِيدٌ وما يفعلْ سَعِيدٌ فَإِنَّهُ   نَجِيبٌ فَلَاهُ فى الرِّبَاطِ نَجِيبُ[3]

وقال بشامة النهشلى :

وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَداً   إِلاَّ افْتَلَيْنَا غُلاَماً سَيِّداً فِينَا

وقال ابن السكيت: فلوت المهر عن أمه فصلته عنها وقطعت رضاعه منها.

---

(١) السابق ٣٣٦   (٢) السابق ٥٨٢
(٣) شرح ديوان الحطيئة للجماعة ٢٤٧

و (هرشم) للرخو ، أو للصلب : أنشد ثعلب لراجز :

عاديّة الجَوْلِ طَمُوحُ الجَمِّ　　جِيبَتْ بجَوْفِ حجْر هَرَشّم[١]

(عادية : قديمة . والجول : جانب البئر) .

و (الاخفاس والاخناذ) قلة الماء ، أو كثرته : يقال : إذا سقيته فاخنذ ، أى أقلل الماء وأكثر النبيذ ليسكر ، وهذا من كلام الشطار[٢] .

و (قوى) اشتد ، أو ضعف واحتبس ، شكا أعرابى فقال : « ... إن الغيث كان قد قوى عنا »[٣] .

و (ارتعج) : ذهب وجاء[٤] .

و (اللجبة) الغزيرة اللبن ، أو قليلته ، قال عمرو ذو الكلاب ، أو خراش الهذلى فى ذئب سطا على غنم : فاجتال منها لجبة ذات هزم[٥] .

و (الطلل) لما ارتفع أو انخفض جميعاً[٦] .

و (رغوث) لذات اللبن الكثير من الحيوانات ، قال طرفة بن العبد يهجو عمرو بن هند ، (فى الكثير . أما القليل فهو مذكور فى كتب الأضداد) :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلْكِ عَمْرو　　رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ[٧]

وأبدلوا (فاد) من (فاز) و (المفازة) ، قال ابن الأعرابى : ويقال : فاد يفيد إذا تبختر ، وفاد يفود ، إذا مات[٨] .

و (هال) نبش التراب ، قال مساعدة بن جؤية يصف ضبعاً تنبش قبراً :

---

(١) مجالس ثعلب ٢٤٥
(٢) السابق ٢٤١
(٣) السابق ٣٥٩
(٤) السابق ٤٠٣
(٥) السابق هامش ٣٨
(٦) السابق ٤٤٢
(٧) ديوان طرفة ١٧٧
(٨) مجالس ثعلب ٢٠٤

فَذَاحَتْ بِالْوَتَائِرِ ثُمَّ بَدَّتْ يَدَيْهَا عِنْدَ جَانِبِهِ تَهِيلُ[١]

وذكر السيوطى فى (المزهر) أن ابن دريد قال فى الجمهرة : « البك » الجمع أو التفريق ، كأنه من الأضداد . والنبه : للشىء الضائع ، وللموجود أيضاً . وللشراشر ، موضعان : الحمى والحفظ ، أو الثقل[٢] . و (الضمد) : رطب الشجر ويابسه ، وصالحة الغنم وطالحتها . و (نصل) الخضاب من اللحية : سقط منها ، وثبت فلم يخرج . و (الحوز) : السوق اللين والشديد . و فلان : (قفوتى) أى خيرتى أو تهمتى ، و (المكلل) : الجاد الشجاع والجبان ، كأنه من الأضداد[٣] .

وفى المجمل لابن فارس ، حكى ابن دريد (تظاهر القوم) إذا تدابروا ، فكأنه من الأضداد . وأقول : بل هو من الأضداد ، وسمعتهم فى بيروت يقولون : ظهر فلان ، بمعنى : مشى وخرج .

وفى المشاكهة للأزدى : (حبل متين) : للقوى والضعيف .

وفى الأفعال لابن القوطية : (أشجد) المطر : أقلع ودام ، من الأضداد[٤] .

وفى القاموس : (أكمت) : انطلق مسرعاً ، وقعد . و (قعث) له العطية : أجزلها : وأعطاه قليلا . و (الشحشح) من الأرض ، ما لا يسيل من الأرض إلا من مطر كثير أو قليل . و (النجادة) السخاء والبخل . و (نشخ) شرب دون الرىّ ، أو امتلأ . و (العربد) : حية تؤذى أو لا تؤذى . و (قعد) قام وقعد . و (القعدد): القريب الآباء من الجد الأكبر والبعيد[٥] .

(١) شرح أشعار الهذليين ٣/١١٥٧
(٢) المزهر ١/٣٩١
(٣) المزهر ١/٣٩٣
(٤) المزهر ١/٣٩٤
(٥) القاموس ، والمزهر ١/٣٩٤

و (المصد) : شدة البرد والحر . و (النـكد) الغزيرات اللبن ، والتى لا لبن لها . و (المحاوزة) : المخالفة والموافقة . و (جفا) الباب : أغلقه ، أو فتحه . (ودرأته) : دافعته ولاينته . و (الجوشب) : الضامر والمنتفخ الجنبين . و (الساقب) : القريب والبعيد . و (أورق) الغازى : أخفق وغنم من الأضداد[١] . و (الجرج) : الجبان ، والملازم للقتال الذى لا يفارقه[٢] .

وبعد : فهذا قليل من كثير من شواهد قد أهمل ذكرها فى كتب الأضداد ، وكلمات وعتها القواميس ، والمعاجم ، ونبه عليها العلماء ، ولعل فيه (مقنعاً) للذين يقولون بقلة الأضداد .

وأنا زعيم إذا ما استعرضت أمهات تراثنا بإخراج الكثير من الألفاظ المتضادة ، وإيراد الوفير من الشواهد لما ذكر بلا شواهد .

على أن بعضهم — كما ذكرنا — قصد ذكر ألفاظ الأضداد بلا شواهد ، كما يقول الحسن بن محمد الصغانى :

« ولولا تحرى الاختصار لذكرت شواهدها من الأشعار »[٣] .

وبعض المتأخرين من المؤلفين فى الأضداد كالصغانى قد ذكر بعض ألفاظ مما ذكرناه ، مثل : (جبأ) ، و (الجعفر) ، و (جفأت) ، و (أقعث) ، و (اجلعب) ، و (الحفض) و (المخاوذة) و (الساقب) و (السمرد) و (أعبل) و (الموثة) و (النبة) و (المنجاب) و (نصل) و (أورق) و (هرشم)[٤] وراجع (الخل) و (الرغوث) و (الأعبل) و (أفاد) و (أورق)[٥] .

---

(١) المخصص ١٥/٥١ (٢) المخصص ١١/٢٦٦

(٣) أضداد الصغانى ص ١٦٣ مخطوط (٤) السابق ١٦٤ — ١٧١

(٥) أضداد ابن الدهان ٩٣ — ١٠٨ فى قسم المخطوطات

وذكرها هنا وهناك ، فى أمهات الكتب يقوى كونها مما آمن بها العلماء ، فضمنوها كتبهم . وليست ألفاظ الأضداد — إذن — قليلة أو نادرة .

ونستطيع أن نجمل القول بأن التضاد من خصائص اللغة العربية الواضحة . ويعجبنى ما أشار إليه بعض الظرفاء : بأن العربية أجدر بها أن تسمى لغة التضاد لا لغة الضاد .

● وبعد :

فقد وجدنا أن من أنكر الأضداد ، كابن درستويه ، لم ينكرها كلية ، ولكن ذكر قلتها أو ندرتها . .

ومن رفض وجودها فى اللغة إنما رفضوا أصالتها : أى أنهم رفضوا أن تكون قد وضعت أصلا للمعنى وضده ، ولكن ما خضعت له من تطور بالتوسع أو المجاز أو الحذف أدى إلى لفظين متماثلين فى كل شىء ، غير أن معنييهما متضادان .

ويكفينا منهم هذا القدر : فإنا نعترف بكل العوامل المكونة للأضداد ولهم أن يأخذوا بأيها شاءوا ، وقد رأينا من يشترط الواضع الواحد ومن يجزم باستحالة ذلك .

وأخيراً : لماذا ينكرون الضدية ، « والضدية نوع من العلاقة بين المعانى ، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى : فمجرد ذكر معنى من المعانى ، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن ، ولا سيما بين الألوان : فذكر البياض يستحضر فى الذهن السواد . . . فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء فى تداعى المعانى . فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ما ، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين ، لأن

استحضار أحدهما فى الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر »[١] .

وبعض الباحثين من المستشرقين مثل « ردسلوب » يعترف بالأضداد[٢] ، لكنه يخرج منها عدداً كثيراً مما عده علماء اللغة من الأضداد ، مثل : الحروف ، والصيغ الفعلية المختلفة للفعل الواحد ، مثل (كان) التى تدل على الماضى ، وعلى الاستقبال كقول الشاعر :

فأدركت من قد كان قبلى ولم أدع   لمن كان بعدى فى القصائد مصنعا

ويخرج كذلك أسماء الأعلام ، مثل : إسحق ويعقوب وأيوب ، وكذلك أخرج ألفاظ التشاؤم والتفاؤل والتهكم والسخرية . . .

وهو بذلك اعترف بالأضداد ولم يرفضها كلية ، لكنه أخرج بعض ألفاظ منها . .

• وبعد :

فنحن نجد أنفسنا أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى التعاكس .

كما نجد أنفسنا أمام كلمات حفظ لنا فيها معنى الترادف والاشتراك ، والتضاد نوع منه ، ومهما نحاول أن نرد تطوراتها المعنوية إلى أصولها اللغوية الوضعية البدائية ، فلن نستطيع أن نقاوم قانون الصراع اللغوى الذى يحفظ المعانى المتماثلة ، أو المتناظرة ، أو المتقابلة ، بوحى من الظروف الاجتماعية ، المحيطة بكل أمة . ولا نستطيع – بالتالى – أن نسلم برأى منكرى الأضداد .

ولا نزاع فى أن هناك ما يسمى بتداعى المعانى والألفاظ ، الذى يقضى بالتلازم فى الذهن بين كل من الليل والنهار ، والكبير والصغير ،

---

(١) اللهجات لأنيس ١٩٥ .

(٢) بحث الدكتور منصور فهمى لمجلة المجمع اللغوى بالقاهرة .

والأرض والسماء ، والأبيض والأسود ، وذلك لوجود صفة مشتركة بين كل ضدين ، وإذا ذكر أحد الضدين دعا ضده إلى المثول في الذهن معه .

وقد سلمنا في البلاغة — أيضاً — بأن أحد الضدين أقرب إلى المثول في الذهن عند ذكر أحدهما من غيره .

وعلى هـذا : فإن من السهل أن ينزلق اسم أحد الضدين إلى الضد الآخر ليعبر عنه ، فيصبح اللفظ بذلك من الأضداد ، وإن كان ذلك لا يفسر كل ما جاء من الأضداد في اللغة طبعاً .

* * *

المشترك المعنوى
الترادف اللغوى

• اضطربت آراء علمائنا اللغويين قديماً وحديثاً فى شأن قضية « الترادف اللغوى » . أو المشترك المعنوى فى العربية ، واتسع مسار الخلف بينهم بين مثبت وناف ومتردد .

ولذا بات حسم الخلاف واجباً فى قضية طال أمدها ، صيانة للغة ، ورأفة بأجيال حاضرة وآتية .

• فإذا كان « الترادف » من عوامل نمو العربية وحركيتها .

فبأى قياس نفحصه ؟ وما موقف علم اللغة الحديث منه ؟ .

أيبارك « اختصاصية » الكلمة ، أم يقر لها « اشتراكيتها » فى معنى بعينه مع تعدد اللفظ ؟

وهل يستطيع المحافظة على جوهر اللغة وسمة البلاغة ، والمحافظة على التوازن بين جسد اللغة الممثل فى (لفظها) ، وبين (روحها) الممثل فى معناها ؟ .

وهل الترادف خاص بلغتنا ؟ أم هو قدر مشترك بين لغات عديدة ؟

أسئلة كثيرة ، وخواطر شتى ، تدور بالأذهان ، وتلوح فى أفق الباحث تتحدى وتستحث ، وتتطلب إجابات شافية ، وحبذا لو كانت وافية . .

ونحب أن نذكر بادىء ذى بدء :

أن العرب تتصرف فى لغتها ، ولا تعرف لها قيوداً اصطلاحية ، وما من عربى إلا وهو فى حكم العرب كلهم ، باعتبار الفطرة اللغوية التى يرجع إليها

أصل الوضع . فهي مفردات وضعها أفراد ، وقد يرى كل واحد منهم أشياء ويصفها على نحو ما يجد فى نفسه من أثرها وصفاتها المختلفة ، فلا جرم أن تختلف الألفاظ الموضوعة لها بحسب ذلك .

كما أن الكلمة الواحدة فى لغتنا تعطى من المعانى والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات ، لأن كثرة الاستعمالات لابد أن تخلق كلمات جديدة تلبى بها مطالب الحياة والأحياء .

وإن علماء اللغة « لم يدونوا منها إلا كفاية الحاجة القليلة ، أو المتناظرين ..

أما تدوينها على أنها أصل من أصول الدلالة التاريخية فى اللغة ، فلم يتنبه له أحد إلا القليل النادر .

والسبب أن تدوينها كان لخدمة القرآن والسنة ولغتهما قرشية حضرية مهذبة ، وذلك يقلل الاختلاف ، لأن الحضرية ثابتة فكأنها فى حكم المروية »[١] .

ومن ثم فقد أصبحنا بحاجة ملحة إلى معجم لغوى تاريخى ، على نحو ما نادى به الأستاذ يحيى حقى ، من أننا « فى أشد الحاجة إلى المعجم اللغوى التاريخى حتى يتتبع منشأ الكلمة وتطورها واستعمالاتها المجازية على مر العصور ، ويساعدنا ـ اليوم ـ على استحداث المجازات الجديدة ، داخل نطاق اللغة الصحيحة »[٢] .

ولأنه لإثبات أن فى لغتنا ترادفاً ، فلا بد من استقراء تاريخ اللغة[٣] .

وبذا يسهل حل مشكل الترادف ، ويبين وجه الحق فيه .

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ١ / ١٢٤

(٢) مجلة المجلة ـ عدد ١٣٨ مايو ١٩٦٣ م .

(٣) مجلة الفكر التونسية ـ عدد ٤ سنة ٢١ ـ يناير ١٩٧٦ م

● **تعريف الترادف :**

«الترادف» : هو توالى الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد ، باعتبار واحد ، كالإنسان والبشر[(١)] .

أو الألفاظ التى اختلفت صيغها وتواردت على معنى واحد . كالقمح والبُر والحنطة وفى والباء[(٢)] .

أو هو دلالة عـــدة ألفاظ على معنى واحد ، كالبُر ، والقمح ، والحنطة . فالبر يستعمله أهل العراق ، وعند أهل مصر يطلقون عليه القمح ، وعند أهل مكة : الحنطة .

ويراه الجرجانى بمعنى : « التقابل فى كل الخصائص »[(٣)] .

والتوحيدى يشير « بالنظائر » إلى المترادفات .

ويعد المبرد من كلام العرب :

« . اختلاف اللفظين والمعنى واحد » مثل : ظننت وحسبت ، وذراع وساعد . وأنف ومرسن »[(٤)] .

ويقول الإمام الشافعى :

« وتسمى ـ العرب ـ الشىء الواحد بالأسماء الكثيرة ، وتسمى بالاسم الواحد المعانى الكثيرة » ، وإن ذلك من سنن العرب[(٥)] .

وعد بعض المتأخرين (أسماء الله تعالى) من أقسام الترادف وسماه : « المتكافئة » . وكذا (أسماء النبى ﷺ) .

ويقول الشيخ عز الدين :

إن من جعلها مترادفة نظر إلى اتحاد دلالتها على الذات ، ومن منع :

---

(١) المزهر ١/٤٠٢ (٢) علم أصول الفقه للشيخ محمد عبد الله أبو النجا ٣٢
(٣) الأسرار للجرجانى ١٥ (٤) ما اختلف لفظه المبرد ٢
(٥) الرسالة للامام الشافعى ٣٢

نظر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى ، فهى تشبه المترادفة فى الذات ، والمتباينة فى الصفات(١) .

* * *

● **شروط تحققه** :

وشرط علماء اللغة فى الترادف : أن يكون من لغة واحدة ، لا لغات متعددة ، كما قرر الأصفهانى(٢)، وأن يتفق اللفظان تماماً فى المعنى على الأقل فى ذهن الكثرة ، مع اتحاد العصر(٣) :

فلا ترادف بين الشىء وصفته ، ولا بين الحقيقة والمجاز ، ولا بين الألفاظ المتباينة بالتفاضل أو التواصل ، كالسواد والبياض ، والسيف والصارم(٤) ولا بين الحد والمحدود: لأن الأول يفيد الفصل، والثانى يفيد الماهية إجمالا. ولا بين الحد والرسم ، لدلالة الأول على الذاتيات والثانى على العرضيات .

يقول د . أنيس : إذا دلت نصوص اللغة على أن تلك الفروق طفيفة لا يصح أن تعد من المترادفات ، لأن شرط الترادف الحقيقى : هو الاتحاد التام فى المعنى(٥) .

كما شرط غيره من المحدثين ضرورة الاتحاد فى البيئة اللغوية ، والانتساب للهجات بينها ترابط قوى ـ ومع الاتحاد فى العصر(٦) .

ولكننا نثير هنا سؤالا .

إن اللفظ كثيراً ما يستعمل فى غير ما وضع له ، لحال شبيهة بحال وضعه ومعناه ، وقد لا يلمح بسهولة أصل اللفظ المنقول فيما نقل إليه لكثرة استعماله

---

(١) المزهر ١/٤٠٥ (٢) السابق ، والخصائص ١/٢٦٢
(٣) اللهجات العربية د. نجا ٩٨ ، وفى اللهجات د. أنيس ١٦٦
(٤) المزهر ١/٢٦٨ (٥) السابق ١/٤٠٢
(٦) دلالة الألفاظ د. أنيس ٢١٣ ، واللهجات العربية د. نجا ١١٦

فيه ، وقد ينسى الوضع الأصلي ، حتى اختلف العلماء حينئذ : هل هو وضع ثان ؟ أم هو باق على المجاز ؟ فقد أثر عن بعضهم : « النقل فى اللغة كالنسخ فى الشريعة » .

أفلا يجدر بعلماء اللغة قديماً وحديثاً ـ والحالة هذه ـ أن يخففوا من صرامة الشروط وتراكم وتصلب التحرزات والقيود ؟ ؟

لن نتناسى الفروق ، ولن نهمل الوضع ، ولكن لا نبالغ فى القيود ، وفيها مغمز ، ومنها مخرج .

* * *

● **نماذج له :**

وقد يؤنس المقام أن نعرض نماذج للترادف وللنموذج قيمته وأثره فى الاستشهاد والدليل . مع ملاحظة: أن « الأقدمين عدوا الجزيرة العربية وحدة لغوية واحدة . وحسناً فعلوا ؛ للحركة الدائبة والهجرة الدائمة ، والاجتماعات المتكررة »(١) .

فحين نشط علماء اللغة لجمعها خوف الضياع والاختلاط، وفدت أم الهيثم إلى العراق ـ وكانت أعرابية فصيحة ، تؤخذ عنها اللغة ـ فالتفوا حولها ، وسألها أبو عبيدة ليؤنسها :

مم كانت علتك ؟ فقالت :

« كنت وحمى للدكة ، فشهدت مأدبة ،فأكلت جبجبة من صفيف هلعة، فاعترتنى زلخة» .

فقيل لها : يا أم الهيثم ، أى شيء تقولين ؟

(١) اللهجات العربية د . نجا ٩٨

فقالت : أو للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم إلا العربى الفصيح .

فاستفهم اللغويون عن ألفاظها الغريبة عليهم ، فكانت : وحمى = متوحمة. والدكة = الدسم . والحبجة أو الجبجبة = المصران . والهامة = العنز[١].

والمستعرض للقرآن الكريم ، والأدب الجاهلى ـ يجد الترادف مبثوثاً فيهما بكثرة ، يقول تعالى :

﴿ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا ﴾[٢] ، ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[٣] ، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ ﴾[٤] ، ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ ﴾[٥] ، ﴿ أَشْكُوا بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللهِ ﴾[٦] .

ومسائل ابن الأزرق ، وإجابات ابن العباس عليها مشهورة ، ذكرها ابن الأنبارى فى كتابه : « المواقف »، والطبرانى فى « معجمه الكبير »، وفيها تفسير هذه المواد : الوسيلة ، والشرعة ، والمنهج ، وبيأس ، والفوم ، ومراغماً . . على الترتيب بمعنى : الحاجة ، والدين ، والطريقة ، ويعلم (فى لغة بنى مالك) ، والحنطة ، ومنفسحاً (بلغة هذيل) . واستشهد على أن الحوب هو الإثم فى لغة الحبشة ، بقول الشاعر :

فإنى وما كلفتمونى من أمركم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا

ـ ويروى المطرز الزاهد ، عن ثعلب عن ابن الأعرابى ؛ أنه سأل أعرابياً فصيحاً ـ ما رأى أفصح منه منذ ثلاثين سنة ـ عن « الخجال » بمعنى « السم » فقال : القشب ، قلت : فما القشب ؟ قال : الزعاف . قلت : وما الزعاف ؟ قال : الزئفان . قلت : فما الزئفان ؟ قال : الزيفان . قلت :

---

(١) الاتقان ، للسيوطى ١/ ١٢
(٢) يوسف : ٩١
(٣) البقرة : ٤٧
(٤) الأنعام : ١٠٩
(٥) النساء : ٦٢
(٦) يوسف : ٨٦

فما الزيفان ، قال : الديفان . قلت : فما الديفان ؟ قال : الأرون . قلت : فما الأرون ؟ قال : الجوزل قلت فما الجوزل ؟ قال : الحرسم . قلت : فما الحرسم ؟ قال : السم . قلت : فما السم ؟ قال : السم[1] .

وقد كان أعرابى ابن الأعرابى مهذباً ، وصبوراً . وليس كأعرابى أبى زيد ، والذى حدث عنه ابن دريد فى « الجمهرة » :

أن أبا زيد ، قال : قلت لأعرابى : ما المحبنطىء ؟ قال المتكأكىء : قلت : فما المتكأكىء ؟ قال : المتآزف . قلت فما المتآزف ؟ قال : أنت أحمق[2] .

ويقول النبى – ﷺ – لأبى هريرة : « ناولنى السكين ، حين وقعت منه ، فتلفت أبو هريرة يمنة ويسرة ، وقال : آلمدية تريد يا رسول الله ؟ أو تسمى سكيناً عندكم ؟ » وإن كان بعضهم يرد القصة ، لأن أبا هريرة لم يسلم إلا فى السنة الثامنة الهجرية[3] .

وقال ابن جنى بالسند : إن ابن الأعرابى أنشد للمرقش الأكبر :

وموضع زبن لا أريد مبيته . .

فقال له شيخ من أصحابه : أنشدتنا : وموضع ضيق : فقال : سبحان الله : تصحبنا منذ كذا وكذا ، ولا تعلم أن الزبن والضيق واحد . وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[4] .

. . . ويقول ابن جنى أيضاً : « إذا جاز أن يكون فى أصول هذه اللغة

---

(١) المداخل ، للزاهد ٧٣ .
(٢) المزهر ١/٤٠٢ .
(٣) فى اللهجات د . أنيس ١٦٤
(٤) الإسراء : ١١٠

المقررة على اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، كان جميع ما نحن فيه جائزاً سائغاً ، ومأنوساً به متقبلا »(١) .

كما ذكر ابن جني ـ أيضاً ـ : إن من الحرفين ما يستعمل أحدهما مكان الآخر ، كقوله تعالى: ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾(٢)، بمعنى بنسائكم ، أو مع . لكن الرفث هنا بمعنى الإفضاء فصح استعمال (إلى) . . ويعلق بقوله :

(وفيه أيضاً موضع يشهد على من أنكر أن يكون فى اللغة لفظان بمعنى واحد ، حتى تكلّف لذلك أن يوجد فرقاً بين قعد وجلس ، وبين ذراع وساعد) . . . فابن جني يؤكد وجود المترادف ما وجد سبيلاً إلى ذلك .

ويؤكد أيضًا بقول رؤبة بن العجاج : (بال بأسماء البلى) . . فجعل للبلى ـ وهو معنى واحد ـ أسماء(٣) والعرب تكرر إذا اختلف اللفظان كنأى وبعد ، وأقوى وأقفر .

وقال الضبي: المجد: الأصل . وقال يعقوب: المحتد ، والمحفد ، والنحت، والإرث . . . كل ذلك بمعنى الأصل(٤) .

وذكر قرطب أن « الجونة » من أسماء الشمس ، واستشهد بقول الخطيم الضبابى ، كما قال ابن برى ـ أو قول الأجلخ بن قاسط الضبابى ، كما فى الصغانى ـ يصف حماراً وحشياً .

يبادر الآثار أن تؤوبا وحاجب الجونة أن تغيبا

قال : ومن أسماء (الشمس) : ذكاء ، واستشهد بقول ثعلبة بن صعير المازنى يصف ظليماً ونعامة :

---

(١) الخصائص ٢/٤٦٧ (٢) البقرة ، ١٨٧ (٣) الخصائص ٢/٣١٠

(٤) مفضليات الضبي ، بشرح ابن الأنبارى ٥٠٩

فتذاكرا ثقلاً وثيداً بعدما ألقت ذكاء يمينها فى كافر [١]

وقال عدى بن زيد :

وقددت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذباً وميناً [٢]

وقال الحطيئة :

ألا حبذا هنـد وأرض بهـا هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

والـكذب هو المين ، والنأى هو البعد ، فقد نسقه عليه لم خالف لفظه [٣]

وقد أولع المتأخرون بالمترادف ، كما شغل المتقدمين ، فجاء فى تذكرة الحفاظ :

(كالحسن) والجمال قل : نضارة وسامة وضّـــاءة ونضره

(صبــاحة) ملاحة رشاقة ورونق وزهرة وزينـه

(كالأصل) والعنصر قل : جرثومة والنحر والضئضىء والأرومه

(ومحتد) ونجـة ومنبت عرق نجار مغرس أبوه [٤]

هذا غيض من فيض ، مما حفلت به أمهات الـكتب الأدبية واللغوية ، من شواهد الترادف اللغوى . والمتأمل لها يأنس بوجوده فى لغتنا .

وهى بذا ليست بدعاً بين اللغات التى تحوى المترادفات ، على نحو ما روى العارفون باللغات والباحثون .

* * *

(١) الأزمنة اقطرب ـ مجلة المجمع العلمى بدمشق ١/٣٧ للسنة الثانية .

(٢) الشعر والشعراء ١٤٣ ، وذيل ديوان عدى بن زيد ١٨٣

(٣) شرح الجاهليات لابن الأنبارى ٢٩٨

(٤) تذكرة الحفاظ فى مترادف الألفاظ الحضرمى ٣

• **سر وجوده فى العربية :**

وجود الترادف فى العربية يرجع :

إما إلى الاختلاط الكثير بسبب الهجرة الدائبة والدائمة للعرب ، جرياً وراء الكلأ والرعى . حين تمحل الأرض أو تبخل السماء .

أو حين يجتمعون فى الأسواق ، فيستعمل بعضهم ألفـــاظ بعض ، فتنتشر هذه الألفاظ وتشيع على الألسنة .

وقد يكون سبيله المجاز الذى اشتهر ، حتى أصبح فى درجة الحقائق .

والعرب تتصرف فى لغتها ، ولا تعرف لها قيوداً اصطلاحية ، وما من عربى إلا وهو فى حكم العرب كلهم ، باعتبار الفطرة اللغوية التى يرجع إليها أصل الوضع ، إذ هى مفردات وضعها أفراد ، وقد يرى بعضهم أشياء ويصفها على نحو ما يجد فى نفسه من أثرها وصفاتها المختلفة ، والقريبة أو البعيدة ، ويذهب غيره منحى آخر :

فمن تمورهم — مثلا — البرنى والصرفانى ، والعرب تعالجه بالماء أو السمن . وله فى كل حالة لفظ يدل عليه ، وتسميه قبيلة بما لا تسميه به الأخرى .

والعرب كلها حجة فى لغتها ، فلا مناص بعدئذ من اختلاف الألفاظ الموضوعة للمعنى الواحد أحياناً بحسب ذلك .

ونادراً ما يكون الترادف من واضع واحد ـ كما ذكر السيوطى ، بحسب الملحظ فى الأثر أو الصفات عند التسمية والوضع .

(والأقدمون عدوا الجزيرة العربية وحدة لغوية واحدة ـ وحسناً فعلوا ـ للهجرة والاجتماعات المتكررة ، وبخاصة حين يتفق اللفظان تماماً

في المعنى على الأقل في ذهن الكثرة واتحاد العصر ، شريطة ألا يكون ذلك نتيجة لتطور صوتي)[1] .

ويقول الشيخ عبد الله العلايلي :

« يتخذ بعض من دراسي العربية اليوم (الترادف) علامة على قلق اللغة .

وبعض آخر يتخذه آثراً من الاختلاف القبلي أو ما يشبه الرواسب المتبقية من جراء امتدادات طويلة .

والحقيقة وإن كان في المذهب الأخير شيء من الحق والصدق ، ليس هو كل الحق » .

ويرى الشيخ العلايلي القول الأول منكراً من القول وزوراً ، لا ريب في ذلك ولا شك . ولقد يكون صحيحاً لو لم يكن من مواد الاشتقاق بخصائصها المعنوية التي تعين ملحظ الاشتقاق في المترادف دليل قصده ، فأين منه القلق المزعوم[2] .

فالشيخ العلايلي نفى القلق ، لكنه لا يقبل أن يكون الترادف من اختلاف القبائل على علاته ، المبالغة في كثرة الترادف أحياناً إلى حد المئات والألوف كما أنه ينحو منحى تاريخياً ، ونحن معه في ذلك .

ويقول الأصمعي : « إذا تظرف العربي كثر كلامه ، وإذا تظرف الفارسي كثر سكوته »[3] . وقد تأتي كثرة الكلام بالترادف .

وكان ادعاء هذه الكثرة الكاثرة مدعاة للتوسع عند بعض الباحثين في الترادف ، فعد من ألوانه :

---

(١) في اللهجات د. أنيس ١٦٥ (٢) مقدمة الشيخ العلايلي ٢٠٦
(٣) عيون الأخبار ٢/١٢٨

مترادفات وضع ، لاختلاف القبائل ، كالإنسان ، والبشر ، والأسد والليث .

ومترادفات اشتقاق : كالمطس والمبسم للأنف والفم . .

أو حروف دون ترتيب (القلب المكانى) مثل : جذب وجبذ ، وشرائع وشعائر .

أو تصحيف ، مثل لدع ولذع . ومزح ومرح . .

أو مجاز ، كالأسل للرماح .

أو كناية ، كسبط الأنامل ، وطويل النجاد ، للكرم .

أو تناسب ، مثل : نهق ونعق .

أو اتباع ، مثل : حسن بسن .

أو حذف مثل : عم صباحاً ، من أنعم[1] .

* ✡ *

• بين النافين والمثبتين :

واستقراء تاريخ الشواهد ينبؤنا أن علماء القرن الثانى الهجرى — أو كثيراً منهم على الأقل — قد سلموا بوجود الترادف اللغوى .

ولكن القرن الذى يليه : « شهد تلمس العلماء للفروق الدقيقة بين الألفاظ المترادفة ، وعلى رأسهم ثعلب .

واشتد الجدل فى أمر الترادف فى القرن الرابع الهجرى ، وظهر من ينكره ، ومن يؤيده صراحة »[2] .

ومحصل هذين المسريين أن وجد فريق يؤكد وجود الترادف فى الفصحى ، بل وبكثرة كاثرة ، وعدوا ذلك مبعث افتخار واعتزاز باللغة والتراث .

---

(١) مجلة المجمع اللغوى القاهرى ٩/١٢٤ لسنة ١٩٥٧ ، من بحث للاستاذ خليل السكاكينى

(٢) فى اللهجات د . أنيس ١٦٣

كما وجد فريق آخر من العلماء يثير الشك ، ويبعث الحيرة ، ليصل إلى إنكار الترادف ورده .

ونتيجة لهذا الخلف نشأت فرقة متوسطة بين الإفراط فى الاعتراف ، والغلو فى الإلغاء ، وخير الأمور الوسط .

والقرن الرابع - إذن - شهد ذروة الجدل والخلاف بين العلماء اللغويين حول الترادف ، بين مثبت ومنكر ، إلا أننا نلاحظ أن الأكثرية منهم على إثباته ووجوده فى العربية :

« وممن أيد وجوده : المبرد ، كما أسلفنا[1]. والإمام الشافعى ، رضى الله عنه ، وهو عربى له بصر بالعربية . والمطرز الزاهد فى (المداخل) ، وابن الأنبارى فى (الوقف) ،وفى شرح القصائد الجاهليات . والطبرانى فى (المعجم الكبير) . وابن دريد فى (الجمهرة) . وعلى عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى فى (حلية الفرسان وشعار الشجعان) . وابن النحاس فى (شرح المعلقات) . والقالى فى (أماليه) ، وقطرب فى (الأزمنة والأمكنة) . وابن سيده فى (المخصص) . والضبى فى (المفضليات) ، ومجد الدين الفيروزآبادى فى (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف) وابن خالويه فى : (أسماء الأسد ، وأسماء الحية) . وفى (أمالى) القالى والزجاجى . (والاشتقاق) لابن دريد.. وغيرهم من علماء اللغة والأدب .

كما أيد وجوده : « الرازى . والسبكى ، وابن السكيت ، والهمذانى ، وقدامة بن جعفر مؤلف : (جواهر الألفاظ) .

وأبو الحسن الرمانى (ت ٣٨٤) جامع كتاب (الألفاظ المترادفة) .

---

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه المبرد ٢

كما ذكر ذلك الأستاذ مصطفى أبو هلال فى مقاله القيم عن (الترادف) بمجلة « الفكر » التونسية (٢١ ع ٤ – ١٩٧٦ م) .

وجمع ابن منظور خمسمائة اسم للأسد ، ومائة للثعبان ...

ويروى من هجّيراه البحث والغوص والتدقيق (ابن جنى) – رحمه الله – : أن « اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين كثير فى كتب العلماء وقد تناهبته أقوالهم ، وأحاطت بحقيقته أقوالهم »(١) .

ويؤكد ابن جنى – أيضاً – أنه لا فرق في التعبير بأحد الألفاظ المترادفة ، وكأنما المقصود باللفظ الذى عبر به هو هو لا يتخالف ، يقول :

« وهذا ونحوه – عندنا – هو الذى أدى إلينا أشعارهم وحكاياتهم بألفاظ مختلفة على معان متفقة ، وكأنه إذا أورد المعنى المقصود بغير لفظه المعهود كأنه لم يأت إلا به ، ولا عدل عنه إلى غيره ، إذ الفرض فيهما واحد ، وكل واحد منهما لصاحبه مرافد .

ومن التقريب والتنظير : كان أبو على الفارسى (أستاذ ابن جنى) . – رحمهما الله – إذا عبر عن معنى بلفظ فلم يفهمه القارىء عليه ، وأعاد ذلك المعنى عينه بلفظ غيره ففهمه ، يقول : هذا إذا رأى ابنه فى قميص أحمر عرفه ، فإن رآه فى قميص كحلى لم يعرفه ...

وقرأ أبو سوار – أو أبو سرار المازنى – وهو أعرابى فصيح من رواة اللغة – :

« فحاسوا خلال الديار »(٢) بالحاء المهملة ، فقيل له : إنما هو « جاسوا » ؟ فقال : حاسوا وجاسوا واحد .

---

(١) الخصائص ٢/ ٩٤ (٢) الاسراء : ٥ – بلفظ « فجاسوا »

وعلق ابن جنى على ذلك بقوله :

هذا يؤنس بأن القوم كانوا يعتبرون المعانى ويخلدون إليها ، فإذا حصلوها وحصنوها ساهموا أنفسهم فى العبارات عنها[1] ..

ويحكى ابن جنى ـ أيضاً ـ أن قوماً ترافعوا إلى الشعبى فى رجل بخص عين رجل فشرقت بالدم ، فأنشدهم بيت الراعى :

لها أمرها حتى إذا تبوأت

بأخفافها مأوى تبوأ مضجعا

ولم يزدهم على ذلك ، فانصرفوا « راضين » بالفتوى ، وهم عارفون بغرضه فيها . والمراد: ينتظر بها إلى أن يستقر أمرها ، ثم يحكم فى أمرها بما توجبه الحال[2] .

مما يدل على أن أمر الترادف كان معروفاً لدى القاضى والدانى ، وأنه لم يمنع الدقة فى حكم جنائى .. وبالتالى فهو لا يمنع من نهضة علمية حديثة .

وكثير من علماء فقه اللغة اليوم يؤيدون وجود الترادف ، شريطة الاعتدال وعدم المبالغة فى وجوده ، ومعهم الحق .

وهناك فئة تلقى القول على عواهنه ، فتزعم ـ كذباً ـ أن جامعى اللغات وضعت مفردات من عند أنفسها ، تزيداً فى كلام العرب ، لحاجات فى نفس يعقوب .. وهذه فرية ننزه عنها رجالا مخلصين ، أفنوا العمر كداً ودأباً ابتغاء وجه الله ، ولغة القرآن والسنة ، وإلا شككنا فى كل ما وصلنا عنهم ، وهدمنا تراثنا .

ومن ذلك ما يحاوله البعض من التشكيك فيما روى عن أم الهيثم البصرية

(١) المحتسب لابن جنى ٢/٢٣٦ (٢) الخصائص ٢/٦٧ .

العجوز من بنى منقر ، حين قالت لرواة اللغة كلاماً مافهموه . لأنه لم يبلغهم أو طال به العهد ، فأقسمت لهم أنها ما كلمتهم إلى بالعربى الفصيح[(١)] .

ويقول المشككون : إن ابن دريد[(٢)] ذكر النص منسوباً لأبى حاتم ، ومسنداً لأعرابية أخرى .

ونقول : ورد النص ، فلا يضر اختلاف الرواة . وإلا شككنا فى كل ما ورد عن الأعلام ، ورونه الثقات ، وحفظته أمهات الكتب ، وكثيراً ما يختلف السند ولا يقدح ذلك فى الواقعة .

* * *

● **وممن أنكر الترادف :**

أبو على الفارسى ، وقد اعترض على ابن خالويه ، حين قال فى مجلس سيف الدولة : إنه يحفظ للسيف خمسين اسماً ، فقال الفارسى : أما أنا فلا أحفظ له إلا اسماً واحداً ، هو السيف ، وأرجع الباقى إلى الصفات . وتهكم على ابن خالويه بأنه لا يفرق بين الاسم والصفة[(٣)] .

كما أنكره ثعلب[(٤)] وابن فارس فى (الصاحبى) . وابن الأثير فى (المثل السائر) . وأبو هلال العسكرى فى (الفروق اللغوية) . والأب هنرى كولا منس اليسوعى فى (فرائد اللغة فى الفروق) . والأستاذ حفنى ناصف فى (مميزات لغة العرب) . والدكتورة بنت الشاطىء فى مؤلفها : (كتاب العربية الأكبر) .

ومحصلة كلامهم :

أنه لا يوجد لفظان مترادفان ، إلا وبينهما فرق فى المعنى ، كما فى أسماء

---

(١) أمالى القالى ٣/٦٩ . (٢) الجمهرة ١/١١ .

(٣) المزهر ١/٤٠٥ ، واللهجات العربية د . نجا ٩٧ .

(٤) مجالس ثعلب ١/٢٩٣

السيف ، فبعض أسمائه من عمله : كالحسام ، والباتر ، وبعضها ينسب لبلده : كالمهند واليمانى ، وبعضها من لونه كالأبيض . أما موضوع الآلة : فهو السيف فقط لا غير . والحق ليس معهم فى الحقيقة ، لما سيجىء .

❁ ❁ ❁

ويلخص القول فى أمر الترادف أديبنا — البليغ — مصطفى صادق الرافعى فى أربعة آراء :

(ا) الإنكار المطلق من بعض العلماء ، مثل ثعلب وابن فارس ، لأن وجوده ينفى الحكمة عن هذه اللغة الحكيمة . . واعتبروا أن المترادفات إنما هى أسماء تزيد معنى الصفة .

(ب) أو الإنكار المطلق أيضاً — كالرأى السابق — ولكن على أساس أن المترادفات صفات محضة ، كما يرى الفارسى .

(ج) أو إثبات الترادف ، لكنه مخصوص بإقامة لفظ مقام آخر ، لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد ، كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعث .

أما إطلاق الأسماء على المعنى الواحد فيسمونه المتوارد : كالخمر والعقار ، والليث والأسد . « وهذا من تقسيم بعض علماء الأصول » .

(د) إثبات الترادف مطلقاً : بدون قيد ولا اعتبار ولا تقسيم ، وعليه أكثر اللغويين والنحاة »[1] .

فالأمر يدور بين الإثبات والإنكار أولا ، لكن على اعتبارين لكل منهما . والأكثرية على الاعتراف به .

❁ ❁ ❁

ونذكر بأن من حق العرب أن تقول ما تشاء لأنها لغتها ، وهى صانعتها ، ولها فى صناعتها حرية تواكب حرية العربى الواسعة فى حياته بجوانبها العديدة .

---

(١) تاريخ آداب العرب للرافعى ٢٠٤

كما أن اللهجات العربية كلها فصيحة صحيحة على اختلافها ، والآخذ بإحداها مصيب غير مخطىء كما قرر الفارسى وابن جنى .

بل وجوزوا للعربى أن ينتقل إلى لغة غيره إذا رأى ذلك : إذ جوز ابن جنى للعربى أن ينتقل لسانه ، ويصبح حجة إذا انتقل لسانه إلى فصيح .

ولا يظن ظان أنه مع هذه الحرية أن الأمر كان فوضى : فقد عرفت العرب الدقة الدقيقة والفائقة فى التعبير اللغوى :

يقول الأصمعى : سأل رجل من أهل الحضر رجلاً من أهل البادية : هل عندكم ما رعى ؟ فقال البدوى – وهو يهزأ به – :

نعم ، عندنا : « مقمل ومدب ، وباقل ، وحانط ، وثامر ، ووارث » .
وإنما عنى بذلك كله (الرمث) لأن الرمث أول ما يتفطر بالنبت يقال له : أقمل : فإذا زاد على التفطر شيئاً ، قيل قد أدبى ، وهو الباقل . ثم الحانط وهو المدرك من كل شىء ، والثامر : الذى أخرج ثمره »[1] .

ومن مظاهر حريتهم فى لغتهم : ذكر الواحد ، والمراد به الجمع ، والعكس : قال تعالى : ﴿ هَؤلاءِ ضَيْفِي ﴾[2] ويقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾[3] .

واعتبر ابن جنى من شجاعة العربية : الحمل على المعنى : لأن العرب ذكرت المؤنث وعكسه ، وتصورت المعنى الواحد فى الجماعة وعكسه ، كقول الشاعر :

إن امرأ غره منكن واحدة ... بعدى وبعدك فى الدنيا لمغرور

وقال تعالى : ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾[4] .

---

(١) الخصائص ٢/٤٣٦
(٢) الحجر : ٦٨
(٣) الحج : ٥
(٤) يوسف : ١٠

وتأول السهيلي حديث الرسول ـ عليه السلام ـ « أقبلت راكباً على حمار أتان » ، ونظر له بحية ذكر ، وبطة ذكر ، وهو شاة ، وهذا بقرة »[١] .

بل أنثوا لفظة « رجل » و « ثور » : ذكر المبرد لبعضهم :

كل جار ظل مغتبطاً   غير جيراني جبله
خرقوا جيب أمهم   لم يبالوا حرمة الرجله[٢]

وقال الأخطل :

جزى الله فيها الأعورين ملامة   وعبدة ثغر الثورة المتضاجم

(ثغر الثورة : فرجها ، والمتضاجم : الواسع) .

وصغر أعرابي الحبارى على حبرور ، ولم يجمع ابن الشجرى الحرنجم (لأنه ما فرقه شيء يجمعه) ، وحقر بعضهم الدمكمك (القوى من كل شيء) على : شخخيت (الضعيف من كل شيء)[٣] وغير ذلك كثير . . . مما دعا ابن الأعرابي أن يقول : (هي العرب تقول ما تشاء)[٤] .

إذا كانت تلك هي حرية العرب في قولها ، أفيكثر عليها ، أو نحجر عليها أن تقول الألفاظ المترادفة ؟ !

يقول أبو عثمان المازني[٥] : سمعت أبا سرار الغنوى يقرأ قوله تعالى : « وإذا قتلتم نسمة فادارأتم فيها »[٦] . فقلت له : إنما هو « نفساً » فقال : « النسمة والنفس واحد » . أفتراه كان يجرؤ على القراءة والقول ، لو لم يكن الترادف سنداً ؟

ذاك طرف من وجهات النظر بين النافين والمثبتين للترادف قديماً وحديثاً ، فما هو الرأي المستخلص والمرتضى ؟

---

(١) أمالي السهيلي ٦٢
(٢) الكامل ، المبرد ١/٢١٠
(٣) المفضليات بشرح ابن الانبارى ٢١١
(٤) بصائر ذوى التمييز
(٥) أمالي القالي ٢/٧٨
(٦) البقرة : ٧٢ بلفظ « نفسا » .

• **الرأى الذى نذهب اليه :**

أن العرب عالجوا ألفاظ لغتهم معالجة استثمار، فأكثروا فيها المترادفات لمعنى واحد ، أو معان متشابهة .

ولا نقول : إن مترادفاتهم بلغت المئات والألوف .

وليست العربية بدعاً فى ذلك بين لغات البشر ، فكثير من اللغات تعرف هذا الترادف ، وتعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظة ، كما فى الإنجليزية مثلا .

واعتبر صاحب القاموس ، أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، أو كماله فى أمر من الأمور :

فدلت كثرة أسماء الأسد على كمال قوته . وكثرة أسماء القيامة دلت على كمال شدتها وصعوبتها ، وكثرة أسماء الله تعالى دلت على جلال عظمته ، وكثرة أسماء القرآن دلت على كمال شرفه وفضيلته ، وَعَدَّ منها : القرآن ، والكتاب ، والفرقان ، والصدق ، والذكر ، والوحى ... وساق الشواهد على ذلك[١] .

أقول : إن نزعة الغلو هذه دفعت بالطرف الآخر إلى المسار المعاكس ، حين تضخم قاموس الترادف اللغوى أضعافاً مضاعفة ، لحشد ألفاظ كثيرة عُدَّتْ مترادفة على ضعف الشبه والصلة بينها ، مما دعا الطرف المنكر للترادف أن ينكره ويشكِّك فى وجوده .

ولا ننسى أيضاً أن من العرب القدامى من شغلتهم الموسيقا اللفظية وولعوا بها فتلمسوا المترادف ، وشغلوا به عن الفروق بين الدلالات، وحدث أن تضخم قاموس المترادفات بحق وبغير حق ، ففرح المثبتون ، وتهكم المنكرون ، وكان العاصم هو الاعتدال والدقة .

(١) دلالة الألفاظ ٢٢١ .

ولا ترضينا نزعة الغلو هذه ، كما لم ترض غيرنا ،

ذلك لأن أصحابها « تناسوا كل الفروق بين الكلمات حتى المتميزة منها ، وقد أوسع لهم هذا المجال قدح الزناد بطلاقة لا تمت إلى الضبط العلمى بأوثق الصلة ، زد على هذا الخلط بين ألفاظ جاهلية وأخرى إسلامية حسبوها مترادفة » (١) .

وسيجد من هذا الغلو ـ ولا شك ـ المعجم اللغوى التاريخى ، على أن الفرق الزمنى بين العهدين ليس بالطويل فى مرحلتى الجاهلية والإسلام بالذات.

ولأن الغلو دعا إلى وجوب « تحديد معانى الألفاظ تحديداً منطقيًا ، فلا نسرف فى اصطناع المترادف الذى يجعل الألفاظ غير مفصلة على قدود المعانى(٢) . حتى نجعل العربية مبسطة وميسرة فى مجال التطبيق التعليمى .

وقد ذهبت فئة متسرعة من العلماء قديماً وحديثاً : تثير الشكوك حول المترادف ، « وأظهروا بوضوح عدم وجوده فى العربية ، ولم يقفوا بأبحاثهم عند هذا الجانب السلبى ، بل تلمسوا الأدلة ، وأبرزوا الدواعى ، واتجهت عنايتهم لبيان وتعداد الفروق ومغامز الفصل بين الدلالات المقول بترادفها.

وأبحاثهم ـ وإن كانت دقيقة وعميقة التحليل ، وفيها بعد التصور ، وشمول الاستقراء ـ إلا أنها اصطبغت بصبغة « جدلية » ، كانت تنتهج سبيلها على إشعاع مبدأ : إخضاع اللغة للفلسفة ، خاصة وأن عقولهم فى ذلك الوقت كانت متأثرة « بالميتافيزيك » كما يرى المستشرق (جاك بيرك) .

ومن ثم يجب ألا نترك الحبل على الغارب لهذا الغلو فيكون ذلك داعيًا قويًا إلى إنكار الترادف ، والوقوف فى وجهه ، وكيل التهم للقائلين

(١) مشكلات العربية ، الأستاذ محمود تيمور ، نقلا عن « الفكر » التونسية .

(٢) مجلة الفكر التونسية س ٥ ، ع ٥ ، ص ١٠

بوجوده . . وسلفاً نحن لسنا أهلا لأن نـكيل التهم لأَجْدَاد أَفْذَاذٍ عملوا وأخلصوا لوجه الله تعالى .

فاللغة لا تخضع للفلسفة ، وحرية العربى فيها كبيرة كما أسلفنا .

فمن المغالاة ـ إذن ـ ما ألمعت إليه د . بنت الشاطىء » فى كتابها : (كتاب العربية الأكبر) من أن رفض الترادف فىالعربية يعلل بأنه تزكية وإعلاء لها ـ حسب آفاق مناهج علم اللغات الحديث ـ ذلك أنه رئى فى الترادف فقدان حس لغوى ، وعجز عن ضبط الدلالات والمفاهيم .

كما أن الفن الأدبى ينـكر لغة يمكن أن يستبدل لفظ فيها بعشرات أو مئات أو ألوف الألفاظ .

واستناداً إلى ذلك قررت ـ الدكتورة ـ أن القرآن حسم قضية الترادف ، لأن التقيم الدقيق لألفاظه يرينا أنه لا ترادف بين الألفاظ . واستشهدت لذلك باستعمال القرآن الـكريم لمادتى (حلف ، وأقسم) ، وهما بمعنى واحد فى كتب اللغة والتفسير ، لـكن مواضع استعمالها فى القرآن كله يمنع هذا الترادف ، حيث تأتى مادة (حلف) دائماً فى مقام الحنث باليمين »[١] .

وعلى هذا النهج يقول (بويسون) : « ويكفى قليل من التفـكير لـكى نرى أن اللغة الحية لا تحوى مترادفات كاملة » .

بل ذكر بعضهم ـ فى خبث ـ إن فى العربية ترادفاً ، ليسلط عليها حكماً بالجمود ، وهو فناء : فـ « العربية لا تصلح أن تـكون لغة علم لعجزها عن تحديد دلالات الألفاظ ، وضبط مفاهيمها ، حيث تـكثر المترادفات فيها

(١) مقال للأستاذ مصطفى بو هلال ، فى الفكر التونسية .

كثرة فاحشة »[١] .

هكذا قالوا ، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم ، وتجديف غير علمى .

ومن نماذجهم فى التفرقة ترصلا لجحد الترادف :

١ – الفرق بين القديم والعتيق : أن العتيق هو الذى يدرك حديث جنسه فيكون بالنسبة إليه عتيقاً ، ولهذا لا يقال : إن السماء عتيقة وإن طال مكثها ، لأن الزمان لا يؤثر فيها ، ولا يوجد من جنسها ما تكون بالنسبة إليه عتيقاً[٢] .

٢ – والبخل هو المنع من المال نفسه ، والشح هو بخل الرجل من مال غيره[٣] .

ويضاف إلى ذلك ما استقاه السيوطى من الأصفهانى فى مفرداته وكذا الإمام الجوينى ، مثل : الخوف والخشية ، والسبيل والطريق ، والإيتاء والإعطاء ، والتمام والكمال »[٤] .

وأقول : تلك تفرقة جائرة ، لا يدركها العربى الأول .

بل صرح بعضهم بأن ما ظن من الترادف إنما هو من التباين ، إما لأن أحدهما اسم للذات والآخر اسم للصفة ، أو صفة الصفة وهذا رأى قديم حديث : يقول ابن فارس : مذهبنا أن هناك فرقاً بين هذا وذاك . كما نفاه الإمام الرازى فى الأسماء الشرعية[٥] .

وفرّق ثعلب وابن فارس بين الإنسان من النسيان ، والبشر من أنه ظاهر البشرة أى الجلد . وللسيف اسم واحد وما بعده صفات[٦] .

---

(١) السابق .
(٢) الفروق اللغوية للعسكرى ٣٤ .
(٣) التعريفات للجرجانى ٣٤ .
(٤) الاتقان للسيوطى ١/١٩٤ .
(٥) المزهر ١/٤٠٢ ، وحاشية البنان على المحلى ٢٩١ .
(٦) الصاحبي ٦٦ ، والمزهر ١/٤٠٣ .

كما قرر أبو على الفارسى فى مجلس سيف الدولة ، منكراً أن يكون للسيف أسماء كما ذكر ابن خالويه ، تصل إلى الخمسين(١) .

ويبالغ ابن الأثير فيرى أن الذى « لا يفرق بين الأسد والفدوكس والغصن والعسلوج فليس بعالم(٢) .

وألف الأب هنرى كولا منسى اليسوعى : « فرائد اللغة فى الفروق » معتمداً على فقه اللغة للثعالبى ، وكليات أبى البقاء ، ومفردات الأصفهانى والألفاظ الكتابية للهمذانى ، ونفى بذلك وجود الترادف على زعمه .

ومن الطريف أن بعضهم ينكر الترادف ، لأن وجوده يحوج إلى حفظ الكل وفى هذا مشقة »(٣) .

وسيأتى رد على ذلك فى بيان الحاجة إلى الترادف .

ومثله طرافة : أنه (الترادف) لو وقع لعرى عن الفائدة ، واللازم باطل فبطل الملزوم ؛ لأن قيام الواحد كاف فى الإفهام ، والزائد عبث لا يليق لحكيم »(٤) .

هكذا قيل ، وهو دليل على ضعف الذاكرة والطبع اللغوى قبل أى شىء آخر .

وفى هذا المسار (مسار الإنكار) ما يراه المرحوم حفنى ناصف من أنه عند الإمعان لا ترادف فى الحقيقة ؛ لأن قبائل العرب ليست بحاجة إلى أزيد من لفظ لكل معنى . .

والطريف أنه يرجع ما ورد ـ من مثل ذلك ـ إلى اختلاف القبائل

---

(١) السابق . (٢) المثل السائر ٣٦٠ .
(٣) شرح البدخشى والإسنوى لمنهاج الوصول ٢١٦ .
(٤) علم أصول الفقه للشيخ محمد أبو النجا ٣١ .

القسم التى أخذت عنها اللغة .. وإذا كانت القبائل عربية فعلام نحمل كلامه بالرفض ، وهو الذى يروى فى بحثه أن الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال يوماً لـكاتبه :

« الصق روانفك بالجبوب ، وخذ المزبر بشناترك ، واجعل حندورتيك إلى حيهلى ، حتى لا أنغى نغية إلا أودعتها بحماطة جلجلانك » . ومرادف ذلك : ألصق مقعدتك بالأرض ، وخذ القلم بأصابعك ، واجعل عينيك إلى وجهى ، حتى لا أنبس نبسة إلا وعيتها وحفظتها فى حبة قلبك »[1] .

يقول ابن خلدون : مما ينبغى إثباته : أن اللغة إثبات أن اللفظ كذا ، لمعنى كذا »[2] .

أى يختص كل لفظ بمعنى معين ، وبذلك تصبح الـكلمة بمثابة العلاقة للمعنى ، ومتى طرقت السمع أثارت فى الذهن دلالة معينة ، يشترك فى فهمها أفراد البيئة اللغوية « بهذا جرت الـكثرة الغالبة من ألفاظ اللغات فى العالم[3]

وأقول : لعل تلك نظرة تعليمية وتيسيرية ، بعد أن عمت الشكوى من استعجام الطبع والذهن .

على أن ابن خلدون يقول : إن العربية دخلها تغيير حتى فى قبائل العرب نفسها ، لأنه كثيراً ما يجاب التفاعل الإنسانى والحياة باتساع الثنايا ، وتنوع الـكائنات ، وتشابه الحادثات ، وتقارب الظواهر والأشياء وتلاحمها . . ويقسم كل ذلك باختلاف النظرة للمسميات تشقت ملـكة التقييم . لذلك نشأت ألفاظ التقت فى معناها أجزاء وأخرى تم فيها التطابق واستقر استعمالها عند الجميع ، بما فيها تلك المفردات التى تشترك فى معنى واحد ،

---

(١) مميزات لغة العرب ٣٩ . (٢) مقدمة ابن خلدون ١٠٦٤ .

(٣) دلالة الألفاظ ٢١٠ ـ ٢١٥ .

والتى صدر كل منها عن لسان قوم[١] .

وقد قلنا من قبل إن شبه الجزيرة العربية اعتبرت واحدة .

تلك نماذج من أحاديث واستنتاجات وعلل الرافضين للترادف قديماً وحديثاً دعت بعض المفكرين والكتاب ـ مما ليسوا بصراء باللغة إلى التردد والتوقف في قبول الترادف سقناها على طولها ، إنصافاً للجانبين ، وتلمساً للحقيقة .

ونقول : إذا كانت اعتراضات المعترضين ، لتيسير العربية فى المجال التعليمى والتطبيقى لظروف تقتضى ذلك ـ مجال آخر .

ـ كما أن الفروق اللغوية كثيراً ماتمحى ، أو تنسى ، أو تموت ويصبح البديل فى قوة الأصيل ، وسبق أن ذكرنا إن النقل القار للفظ كالنسخ فى الحكم .

ـ وإخضاع اللغة للنزعات والسبحات الفلسفية ، والقيود المنطقية ، أمر لا يتفق وحرية العربى الواسعة فى حياته ولغته .

ـ وإذا مالت صاحبة (كتاب العربية الأكبر) إلى إنكار الترادف وبخاصة فى القرآن ـ كما أسلفنا فى لفظتى (حلف وأقسم) فهذا رأى قديم حديث .

إلا أنه بالاستقراء ، والرجوع لكبار المفسرين ، الضالعين فى اللغة فإننا نلقى الترادف : « بكثرة فى ألفاظ القرآن ، رغم محاولة بعض المفسرين أن يلتمسوا فروقاً خيالية لا وجود لها إلا فى أذهانهم للتفرقة بين الألفاظ القرآنية « المترادفة » .

---

(١) الفكر التونسية ، السالفة .

ويسوق الأستاذ مصطفى هلال مثالا يؤيد ذلك من تفسير « التحرير والتنوير » للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ، فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١).

فقد قال (المفسر) : الافتراء : الكذب وهو مرادف الاختلاق . ونظيره إطلاق اسم الاختلاق على الكذب ، فالافتراء مرادف للكذب ، وإردافه بقوله هنا « الكذب » تأكيد للافتراء ، وتكررت نظائر هذا الإرداف فى آيات كثيرة »(٢) .

فالقول بخلو القرآن الكريم من الترادف تجديف فى قضية كبرى . لا يكفى الحكم فيها بنظرة عجلى ، ورأى قد يكون فطيراً ، لما شابه واكتنفه من العجالة فى النظرة .

* * *

● **للترادف فوائد :**

لغتنا قد وسعت حضارات ، وتسنمت ذروة العظمة ، أيام كان أبناؤها فى أوج نشاطهم ورقيهم الفكرى ، وكانت حواضرهم مركز إشعاع على تتيه به على حواضر الدنيا من حولهم . فلما أمسوا من النائمين أو النامين ، فقدوا حسهم اللغوى والوجودى .

فلم تفقد اللغة حسها ، وإنما فقده أبناؤها ، فالعيب فيهم وليس فيها .

● والترادف فى كل لغات الدنيا موجود ، وليست لغتنا بدعاً من بين هذه اللغات .

● وعابث من يدعى العبث فى الألفاظ الزائدة ، وإلا فمن أين يتأتى حسن

(١) آل عمران : ٩٤ (٢) الفكر التونسى السابق ، ودلائل الإعجاز للجرجانى ٢٥٢

اختيار اللفظ المناسب ؟ ومن أين يتأتى تسنم ذروة البلاغة ، والإبداع القولى ؟ وغير خاف أن اللغة للامتاع ، كما هى للاستعمال .

- والقول بأن فى حفظ الزائد من الألفاظ مشقة تذرع بلداء أو كسالى .

- ولا وجه للتشكيك فى صلاحية لغتنا بمرادفاتها ، لمجاراة العصر بعلومه ، إذ فيها من المرونة والسعة ما لا يبارى : فقد بدت حين بدا أصحابها ، وتحضرت حين تحضروا ، ووسعت ما وفد واستجد ودعت الحاجة إليه ، وضبطت بدقة متناهية المفاهيم والآلات ، وأثبتت أنها صاحبة قدرة فائقة على ملاحقة التقدم والتحديث والتعبير العلمى فى مختلف المجالات . . فهى قديماً وحديثاً ومستقبلا ــ بحق ــ أداة حضارة وصانعة بلاغ .

وتأصيل العلوم فى أية أمة ناهضة إنما يكون بلغتها ، فعلى أبناء العربية الأخذ بيدها وإشاعة استعمالها فى كافة الميادين ، وسيرون قدرتها على الوفاء بما يطلب منها ، وأنها جديرة بأن تكون لغة العلم الحديث . . تدريساً ، وتأليفاً ، واستعمالا ، وإمتاعاً ... حين تكون المعايشة الكاملة لها ومعها . وحيّا الله شعوباً عربية سبقت فى هذا المضمار ونجحت وبذّت فى جعلها لغة التدريس فى كل المراحل التعليمية (كما فى سوريا الشقيقة وغيرها) ، ولعل هذا النجاح يطامن من ادعاءات بعض رجالنا فى جامعاتنا من أن العربية ليست لغة علم . .

والتاريخ والواقع يكذبهم ، ومن جهل شيئاً عاداه . والمرء ابن اللغة ، وهم قد ألفوا غير العربية فنشأوا لغتهم وأبغضوها ــ جهلا ــ وأحبوا غيرها تعصباً ، والتعصب بغير حق أعمى ومعيب .

* * *

واللغة — أية لغة — قوية الارتباط بالوجود الاجتماعى وتطوره ، ومفرداتها تتطور تبعاً لذلك خشونة ونعومة، وثقلا وخفة، ويروضها الاستعمال والتداول استئناساً ووحشة ، إن قيل بالغرابة ، وعــدم الالف لبعض المفردات فى الترادف اللغوى عند اللااستعمال .

فيجب إذن ألا نبالغ فى التماس فروق — قد تبدو ضعيفة واهية — للتمييز بين المترادفات تمهيداً — لإنــكارها أو التشكيك فيها، فقيود المنطق الصورى وحدوده لا تطبق على العربى ولغته .

وعلينا أن لا نؤمن بأن الحديث اللغوى هو الذى أمدنا — على ترامى الأجيال — بكلمات مترادفة أصلا .

وعلينا ألا نستسلم للسبحات الفلسفية اللغوية ، ولا للخطرات الجوارية ، ونجعلها سبب الضيق أو السعة فى وجود المترادفات .

وعلينا بالتالى ألا نفرط فنجعل من الترادف فوضى ، فينتظم الألوف والمئات من الألفاظ ، كما صنع الفيروزآبادى .

ولا نرفض ما كان من طبيعة اللغــة ، وورثناه عن الموثوق بهم من علمائنا الأجلاء، ولسنا أهلا لأن نتهمهم فيما وثقوه وأصلوه .

وعندئذ لن ينكر الحس اللغوى الصادق الترادف اللغوى .

وسنربط التعليم فى مراحله المختلفة بالمجتمــع فى وطننا العربى بمودة وحب وإقبال .

ولن يكون هناك استيراد غير وداع أو اقتراض بلا وداع ، لنهضتنا فى التعمير والتفــكير .

وستزدهر ثروتنا اللغوية ، وسيبعث ما فى بطون المعاجم المليئة ، ليكون عوناً لنا حين نحتاج إليه مدداً ورديفاً طيباً .

وما حفظته معاجمنا الحافلة به إلا للإرهاص بأنه رديف صالح يسد الحاجة ويفي بها ذاتيًّا بجدارة عند الحاجة .

* * *

وليس بصحيح ـ إذن ـ ما يقال : من أن الترادف يعاكس الروح العلمية .

وأن روح العصر لا تستسيغ التكرار فى الأدب .

لأن فى الترادف ما يستعمل كوجه من أوجه السحر البيانى ، مع فصاحة فى التأنق فى الاختيار اللفظى : بين كون هـذه اللفظة (مألوفة) مستعملة ، وتلك (غريبة وحشية) . أو أن حروف هذه أخف وامتزاجها أحسن(١) . كما مر فى حديث أم الهيثم .

أو يكون لإحدى المترادفتين : (فى تحسين المعنى وتزيينه ، وإحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون للأخرى) .

كتب الأستاذ سيد قطب فى استعمال لفظه « القارعة » ما يلقى صورة الفزع واللطم .. ومن تناسق العرض أن تسمى بالقارعة ، ليتسق الظل الذى يلقيه اللفظ ، والجرس الذى تشترك فيه حروفه كلها ، مع منظر الناس كالفراش المبثوث ، والجبال كالعهن المنفوش (٢) .

وفى استعمال لفظة « الواقعة » تثير فى الشعور صوراً ومشاعر أخرى : بما فيها مد ثم سكون أشبه بسقوط الجسم الذى يرفع ثم يترك فيقع ، فينتظر له الحس فرقعة ورجّة . وهكذا يلبى السياق ما يتوقعه الحس ، فهى

---

(١) دلائل الإعجاز ٣٢٤

(٢) مشاهد القيامة فى القرآن ٦٦

(القيامة) خافضة رافعة[١] .

فلا ينكر ـ إذن ـ منصف ضرورة وجود المترادف وفائدته .. إذ يسر انتقاء اللفظ الملائم ، ووسع مجال التصرف ، وستر العيوب اللسانية .

(ا) وإذا كانت البلاغة هى : « أن يؤتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته ، ويختار له اللفظ الذى هو أخص به ، وأكشف عنه ، وأتم له ، وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية »[٢] ففصحاؤنا بحاجة إلى الترادف ، كما فى لفظتى القارعة والواقعة للتصوير الدقيق .

(ب) والترادف وسع مجال التصرف فأصبح من نتائج سعة « العربية » به : اقتدر أصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب بين عاطل ، ومهمل ، ومنقط ، ومشترك وبعض المفسرين كتب تفسيراً للقرآن الكريم بألفاظ ليس فيها حرف منقط[٣] ..

وبعضهم ذكر شعراً بلا نقط ، كقول القائل :

الحمد لله الصمد حال السرور والكمد
الله لا إله إلا الله مولاك الأحد
كل سواه هالك لا عدد ولا عدد

وإن كان ترفاً عقلياً ، فلا شك إن به إمتاعاً .

فميزة الترادف : فى هذا الصدد : كثرة الطرق للإختيار عما فى النفس ، واختيار الأخف والأظهر بين الألفاظ ، أو الترويح والإمتاع بالأحاجى والألغاز .

---

(١) السابق .　　(٢) دلائل الإعجاز ٨٥

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٥٥

وعلق الشيخ محيي الدين عبد الحميـــد ـ فى تحقيقه على شرح القصائد العشر ـ على إنـكار ثعلب وابن فارس للترادف بقوله :

« وهذا كلام عجيب من ثعلب : فإن فائدة تعدد الألفاظ لمعنى واحد ليست مقصورة على دلالة اللفظ على معناه :

فأين التفنن فى الأسلوب ؟ وأين قوافى الشعر ؟ بل أين أوزانه ؟

ألا ترى اللفظ قد يصلح قافية فى بيت ، ولا يصلح فيه اللفظ الآخر ؟ وهذا لا يدع مجالا للشك فى أن العرب قد استعملوا ألفاظاً متعددة لمعنى واحد ، والنصوص تؤيد ذلك ... فادعاء غير ذلك لا يقوم على دليل »[١] .

(ج) ويستر الترادف العيوب اللسانية ، وما حكى عن الخطيب المصقع ، واصل بن عطاء ، مشهور غير منكور ، وقد كان لا يحسن نطق « الراء » فخلت خطبته ـ التى ذم فيها بشار ـ من الراء ، ومن ثم مدحه الشاعر بقوله :

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه   وجانب الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطراً والقول يعجله   فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

قال الجاحظ : وسألت عثمان البرى : كيف كان واصل بن عطاء يصنع فى العدد : فى عشرة ، وعشرين ، والمحرم ، وصفر ، ورجب ، وربيع ؟ فقال: مالى فيه إلا قول صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله   جم خواطره جواب آفاق[٢]

وقد يستعذب الأديب نطق وتـكرار ما لا يحسن نطقه ، ولا يستطيعه ، طرافة وملاحة ، أو حين يعجزه الإتيان بالمرادف ليتخلص من عيبه اللسانى فيمتص تهكم الآخرين بالعيب ، كصنيع أستاذنا الشيخ إبراهيم البديوى ـ

(١) شرح القصائد العشر ، هامش ٣٢٢ (للمحقق) .

(٢) نوادر المخطوطات ١/١٢١ ، والبيان والتبيين للجاحظ ١/٧١ ، وأمالى المرتضى ١/١٣٩ .

وقد كان أديباً فكهاً وشاعراً فذاً ، وله خلق ، وفيه مروءة وسماحة ـ أراد أن يهنىء الأميرة « فريال » وكان لا يحسن نطق الراء ، فقدم لقصيده بقوله:

مالى خرجت اليوم عن مكنون عاداتى فنظمت قافيتى من « الراءات »
« الراء » من « فريال » قد كررتها فنجا لسانى وانجلت عثراتى

فكانت مقدمته اعتذاراً بليغاً وملحة طريفة .

* * *

● وبعد :

فإن اللغات تزداد ثروة وحيوية بقدر ما يتاح لها من شروط النماء والحياة . وفصحانا أتيح لها من عوامل التنمية الذاتية ، بما لا نظير لها فى لغات العالم والكلمة الواحدة ـ قد تعطى من المعانى والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات ، « لأن كثرة الاستعمال لابد أن تخلق كلمات جديدة تلبى بها مطالب الحياة والأحياء والرقى . واحتفاظ لغتنا بالمهجور إرهاص بأنه قد يستعمل ، ويستغنى به لأنه رديف صالح »(١) .

وكان كل مصر من العرب يفخر باستعمال لهجته وأنها أفصح من غيرها :

يقول الجاحظ : قال أهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر : ليست لكم أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة .

فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى لألفاظ القرآن ، وأكثرها موافقة له فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم :

(أنتم تسمون « القدر » برمة ، وتجمعونها على برم . ونحن نقول : قدر وقدور . وقال الله سبحانه : ﴿ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ﴾(٢) .

---

(١) دراسات فى فقه اللغة ، للشيخ صبحى الصالح ٣٠١
(٢) سبأ : ١٣

وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت « علية » وتجمعونها على علالى ، ونحن نسميه « غرفة » ونجمعه على غرفات وغرف . قال تعالى : ﴿ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾(٢) .

وأنتم تسمون الطلع (الكافور) والإغريض . ونحن نسميه (الطلع) وقال الله تعالى : ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾(٣) .

يقول الجاحظ عن أبى سعيد عبدالكريم بن روح : فعدّ عشر كلمات ، لم أحفظ أنا منها إلا هذه(٤) .

ولعل هذا يطامن من حدة المنكرين للترادف اللغوى .

ويحكون إن أعرابياً وفد إلى اليمن لزيارة زيد بن عبد الله بن دارم ، على ربوته فقال له : « ثب » بمعنى اجلس فى لغة اليمن ، فقفز الأعرابى — سمعاً وطاعة — من العلو الشاهق ، فدقت عنقه ، لأنه ظن أن « ثب » بمعنى اقفز فقفز(٥) .

وبعض اللغويين يستشهد بهذه القصة ، على أنه فى الإمكان التعبير عن شىء واحد بلفظين مختلفين ، ما دامت البيئتان اللغويتان متباينتين ، ولو صدر لفظ (وثب وقعد) بمعنى واحد عن قبيلة واحدة ، وفى بيئة لغوية واحدة .. لما كان ثمة احتمال للترادف بين اللفظين ، على أن المراد باختلاف بين لغتين الاختلاف بين لهجتين ، كلتاهما فرع للغة واحدة ، وتفرعهما عن أصل واحد هو الذى يسوغ ضم ما عند هذه إلى تلك .

---

(١) الزمر : ٢٠ (٢) سبأ : ٣٧ (٣) الشعراء : ١٤٨

(٤) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٨ (٥) السابق والصاحبى ٢٢

فيصح لنا ـ على هذا الأساس ـ التغنى بمآثر لغتنا ، التى تشتمل على محصول لغوى لا مثيل له بين لغات العالم[١] .

وحسبنا أن نصفها عندئذ بأنها غنية وغناها ذاتى حفلت به معاجمها المليئة دليلا على ذلك .

ولن نستنكف عن رد الاعتبار إلى لهجة كل قبيلة لم تطرأ العجمة على ألسنتها ، ولم تلابس اللكنة الدخيلة ملاحنها ، فمثل هذه اللهجات سنستنبط منها مزايا لغتنا ، ومعانى مفرداتها وتراكيبها ومدى سعتها وتصرف أصحابها فى طرق تنميتها .

والترادف أخيراً : ـ كما يقول الشيخ عبد الله العلايلى :

« عنوان على فراغ الأمة إلا من القول من وجه ، وعلى مرونة اللغة من وجه آخر . . وبما أنه أصبح صفة ظاهرة من صفات العربية إلى حد التفرد . وليس هذا فقط ، بل أصبح الأديب العربى يضيق جداً إذا لم تكن له فسحة من الألفاظ الشتى التى تتلاقى على معنى واحد .

وجب على الواضع الحديث ألا يهمل هذه الناحية أبداً ، وفى اللغة كفاء وغناء . . ويستطرد الشيخ العلايلى فيقول : « ولكن ضعف الطبع اللغوى فى اللغويين ، جعلهم يتمنون على اللغة الأمانى :

يتمنون أن لو كان لهم بهذه الكثرة من الترادف غنى يتناول ما فى العلم وما تجيش به النفس ! ! ولكنها أمنية — لو علموا — تنالهم أنفسهم دون اللغة »[٢] .

---

(١) دراسات للشيخ صبحى الصالح ٣٠١

(٢) مقدمة الشيخ العلايلى ٢٢٧

وسيبقى فى هذا الترادف الذى سخروا منــــه جوابها على مر الأيام والليالى ، هتافاً عله يثير شاكلة انتباه من سمع من يأتى من الأجيال :

أعزائى أبناء الضاد : هذا غناى إلى حد التزيد ، وهذا ضعفكم حتى عن الاستفادة بالأعلام المنثورة فى بطون معاجمى ، وفى منعطفات السبل .

فلا ينبغى أن نغض الطرف ، ونقصر الجهد ، ونقر بالعجز ، ونرضى بالقليل ، ونرفض ونرد الترادف وقد ثبت وجوده ووضح كضوء الفجر الصادق ، لا ريب ولا شك فى ذلك .

* * *

القسم الثـــانى

فى التطبيق

فى هذا القسم شواهد :

- **المشترك اللفظى ، والمداخل ، والمشجر ، والمسلسل**
- **والمتضاد**
- **والمترادف .**

شواهد المشترك اللفظى

● **لفظ الأمة من المشترك :**

من معانى « الأمة » : أتباع الأنبياء ، والجماعة ، والصالح والذى يؤتم به ، والدين ، والمنفرد بالدين ، والحين من الزمان ، والأم ، والقامة ، والوالدة[1].

١ ـ فالأمة بمعنى « الواحد» الصالح الذى يؤتم به ، ويكون علماً فى الخير، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً ﴾[2] .

وفى معنى الواحد المنفرد بالدين : قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ' قلت : يارسول الله ، إن أبى كان على ما رأيت وبلغك ، أفلا أستغفر له ؟ قال : « بلى ، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » . وفى حديث قس بن ساعدة: « أنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » .

٢ ـ والأمة بمعنى « الجماعة » كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾[3] . ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾[4] . وحديث : « لولا أن الكلابَ أُمَّةٌ تُسبِّح لأمرتُ بقتلها »[5] .

٣ ـ وبمعنى « الحين » من الزمان جاء قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾[6] .

وأبو عبيدة يقول : بعد قرن . وقال الأعشى :

أَتَذْكُرُ بَعْدَ أُمَّتِكَ النَّوَارَا ... وَقَدْ قَنِعَتْ بَنُو شَيْبٍ عذارا[7]

---

(١) أمالى القالى ٢/٣٠١ ، بصائر ذوى التمييز ٢/٧٩ ، أضداد ابن الأنبارى ٦ ، تفسير الكشاف ٢/٣٣ ؛

(٢) النحل : ١٢٠ (٣) القصص : ٢٣ (٤) البقرة ١٣٤

(٥) النهاية ١/٦٨ ، مجاز القرآن ١/٩٩ ، نوادر ابن الأعراب ٤٤٨ ، والاشتقاق لابن دريد ٢٣٦

(٦) يوسف : ٤٥ (٧) جمهرة أشعار العرب ١٥

٤ — وفى معنى « القامة » جاء قول الأعشى الأكبر ، فى (الأمم جمع أمة) :

فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ عِظَامُ القِبَابِ طِوَالُ الأُمَمْ[١]

٥ — وبمعنى الجماعة : قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[٢] ، بتفسيرين مختلفين ، قال بعضهم : الأمة هاهنا بمعنى للمؤمنين ؛ لأن الله لما أغرق الكافرين ونجى نوحاً عليه السلام ومن معه ، كان الناجون كلهم بعد ذلك من المؤمنين .

وقال آخرون : الأمة ها هنا بمعنى الكافرين ، والتأويل :

كان الناس قبل أن يرسل الله نوحاً كافرين كلهم ، فأرسل إليهم نوحاً وغيره من بعده ليبشروهم وينذروهم[٣] .

٦ — والأمة : « الملة » والسنة والدين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾[٤] . وفسره أبو عبيدة : ملة واستقامة[٥] .

٧ — والأمة ، والأمهة ، والأم والام « الوالدة » قال الشاعر :

تَقَبَّلْتَهَا مِنْ أُمَّةٍ لَكَ طَالَمَا تُنُوزِعَ فِى الأَسْوَاقِ عَنْهَا خِمَارُهَا[٥]

وقال آخر : أُمَّهَتِى خِنْدِفُ وَالْبَأْسُ أَبِى[٥] .

وقال الشاعر :

وَمَا الأُمُّ إِلاَّ أُمَّةٌ فِى حَيَاتِهَا وَأُمٌّ إِذَا مَاتَتْ، وَمَا الأُمُّ بِالأُمَمْ[٦]

٨ — وأرجع ابن فارس الهمزة والميم إلى أصول أربعة متقاربة هى :

(١) ديوانه ٣٢ ، أمالى القالى ٢/٣٠١ (٢) البقرة ٢١٣
(٣) أضداد ابن الأنبارى ٢٦٩ (٤) الزخرف : ٢٣
(٥) أمالى القالى ٢/٣٠١ ، ومجالس ثعلب ١/٥٠
(٦) بصائر ذوى التمييز ٢/١١١

الأصل والمرجع والجماعة والدين . ثم إلى ثلاثة أصول هي : القامة ، والحين ، والقصد ، وقال : إن الخليل يقول : كل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه ، فإن العرب تسمى ذلك أمًّا(١) .

وحكى عن الكسائى : أن أمة الرجل : بدنه ووجهه . وقال أبو زيد : يقال : إنه لحسن أمة الوجه . ويقال : لا أمة لبنى فلان ، أى ليس لهم وجه يقصدون إليه ، لكنهم يخبطون خبط عشواء . وقال اللحيانى : ما أحسن أمته : أى خلقه .

وجاءت الأمة بكسر الهمزة وضمها فى قول النابغة الذبيانى(٢) ، بمعنى الدين والاستقامة :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً   وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو إِمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ

(أى لا آثم وأنا ذو دين وفى طاعتك) .

٩ — والأمة : النعمة ، قال الأعشى :

وَلَقَدْ جَرَرْتَ إِلَى الْغِنَى ذَا فَاقَةٍ   وَأَصَابَ غَزْوَكَ أُمَّةً فَأَزَالَهَا(٣)

١٠ — والأمة : الجنس :(٣) ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾(٤).

٭ ٭ ٭

• **ولفظ (أمم) من المشترك :**

ترجع الهمزة والميم عند ابن فارس إلى : الأصل . والأم : هو الشيء اليسير والحقير ، حكاه الخليل ، وهو القريب المتناول ، وهو القصد ، كما حكاه الخليل أيضاً .

وقال يونس : هذا أمر مأموم يأخذ به الناس .

---

(١) المقاييس ١/٢١-٢٧

(٢) ديوانه ٢٠٣ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٩٩

(٣) تاج العروس ٨/١٨٩

(٤) الأنعام : ٣٨

وقال أبو حاتم : قال أبو زيد : يقال (أمم) أى صغير وعظيم ، من الأضداد .

وقال أبو عمرو : رجل مئيم أى لا يؤم البلاد بغير دليل[(١)] .

١ – الأمم : (الصغير) واليسير ، والحقير .

قال عمرو بن قميئة (جاهلى) :

يَالَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ ... أُفْقِدْ بِهِ إِذْ فَقَدْتُهُ أَمَمَا[(٢)]

وقال الأعشى : أبو بصير ميمون :

لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيداً لَمْ يَكُنْ أَمَماً ... لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَثِلِ[(٣)]

أى لم يكن صغيراً حقيراً .

وأكل الأخطل تمر أمة وزبيبها المخزون ، فجاءت بخشبة لتضربه ، فهرب من وجهها ، وقال :

أَلَمَّ عَلَى عَنَبَاتِ الْعَجُو ... زِ وَشَكْوَتِهَا مِنْ غِيَاثٍ لَمَمْ

فَظَلَّتْ تُنَادِي أَلَا وَيْلَهَا ... وَتَلْعَنُ وَاللَّعْنُ مِنْهَا أَمَمْ[(٤)]

فلعن أمه له ، أيسر من الضرب بالخشبة .

وأنشد صاحب القاموس فى بصائره : (بمعنى العظيمة) :

وَمَا الْأُمُّ إِلَّا أُمَّةٌ فِي حَيَاتِهَا ... وَأُمٌّ إِذَا مَاتَتْ ، وَمَا الْأُمُّ بِالْأَمَمْ[(٥)]

٢ – والأمم : « القريب » المتناول .

قال زهير :

---

(١) المقاييس ١/٣٠ .

(٢) المقاييس ١/٣٠ ، أضداد السجستانى ٨٠ ، والأنبارى ١٢٥ ، والطيب ١/٤ .

(٣) ديوان الأعشى ٤٨ (٤) الأغانى ٨/٣٠٢

(٥) بصائر ذوى التمييز ٢/١١١

كَأَنَّ عَيْنِيَ وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ ... وَجِيرَةَ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمْ(١)

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات :

كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتُهَا ... لاَ أَمَمٌ دَارُهَا وَلاَ صَقَبُ(١)

(أمم : قريب ، وصقب : قريب أيضاً ، وجاز الجمع بينهما لاختلاف اللفظين) .

وقال أمية بن أبي الصلت :

قَوْمِي أُنَادِي لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ ... وَلَوْ أَقَامُوا فَتَهْزِلُ النَّعَمُ(٢)

(أي لو أنهم قريبون لطلبتهم ، وأحببت نزولهم معي ، ولو هزلت النعم ، للمكث في مكان واحد) .

٣ ـ والأمم : « القصد » : هذا مأموم : أي مقصود يأخذ به الناس :

قال عمرو ذو الكلاب الهذلي :

يَالَيْتَ شِعْرِي عَنْكَ وَالأَمْرُ أَمَمَ ... مَافَعَلَ الْيَوْمَ أُوَيْسٌ فِي الْغَنَمْ(٣)

(أمم : قصد . أويس : الذئب) .

ومنه مئم ، وأنشد أبو عمرو :

* احذرن جواب الفلا مئما(٤) *

ومنه ﴿وَلاَ آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾(٥) جمع أم : يؤمون ، أي يقصدون(٦) .

* * *

---

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٦ ، أضداد السجستاني ٨٥ ، المقاييس ١ / ٣٠ ، وديوان زهير ٢٩٨

(٢) ديوانه ٦٠ ، أضداد أبي الطيب ١/ ٧

(٣) أضداد أبي الطيب ١/ ٧ ، والأنباري ١٢٤

(٤) المقاييس ١/ ٣٠

(٥) المائدة : ٢

(٦) المقاييس : ١/ ٣٠

● **ولفظ (الجد) ، بفتح الجيم و (الجد) بكسرها من المشترك :**

أرجع ابن فارس لفظه (جد) إلى ثلاثة أصـــــول ، وهى : العظمة ، والحظ ، والقطع .

وصرفه ابن الأنبارى بقوله : يقال : جد يجد ، وأجد يجد فى الأمر ، وجد النخيل يجده ، إذا صرمه . وجد الرجل يجد : إذا صار ذا جد ، وذا حظ . وجددت تجد ، إذا صرت ذا جد .

وذكر الفيروزآبادى : أن القطع هو أصل الكلمة(١) .

١ ـ فالجد : « أبو الأم » أو أبو الأب ، يقول زهير بن أبى سلمى :

إِلَى مَعْشَرٍ لَمْ يُورِثِ اللُّؤْمِ جَدُّهُمْ
أَصَاغِرُهُم وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلُ(٢)

وقال امرؤ القيس :

كَمَا لَاقَى أَبِى حُجْرٍ وَجَدِّى ... وَلَا أَنْسَى قَتِيلاً بِالْكِلَابِ(٣)

٢ ـ والجد : « العظمة » :

قال الله تعالى :

﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً ﴾(٤) : أى عظمته سبحانه ، وزاد الفيروزآبادى ، أو : فيضه سبحانه .

وقالت سعدى بنت الشهرول الجهنية ـ فى معنى العظمة ـ ، ترثى أخاها :

ذَهَبَتْ بِهِ نُهُزٌ فَأَصْبَحَ جَـدُّهَا
يَعْلُو ، وَأَصْبَحَ جَدُّ قَوْمِى يَخْشَعُ(٥)

---

(١) المقاييس ١ / ٤٠٦ ، وشرح ديوان المفضليات لابن الأنبارى ٦٤٨ ، بصائر ذوى التمييز ٢/٣٧٠ ، ومجالس ثعلب ١/٤٠٢ (٢) ديوانه ٢٧٤

(٣) ديوانه ٦٢

(٤) الجن : ٣ (٥) بصائر ذوى التمييز ٢/٣٧١ ، والأصمعيات ١٠٣

٣ ـ والجد : « الحظ » ، وهو الذى تسميه العامة (البخت) ، كما ذكر ابن الأنبارى .

قال امرؤ القيس :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وَبِالأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعِقَابُ

وجعل ابن الأنبارى مثله حديث : (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) ، أى لا ينفع ذا الحظ حظه من أمرك[١] . وفسر الحديث الفيروز بقوله : « أى لا يتوصل إلى ثواب الله بالجد ، وإنما ذلك فى الآخرة بالطاعة والجد فيها ، واستشهد بقول الشافعى رضى الله عنه :

أَرَى هِمَمَ الْمَرْءِ اكْتِئَابًا وَحَسْرَةً ‏ ‏ ‏ ‏ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ اللهُ جَدَّهُ
وَمَا لِلْفَتَى فِي حَادِثِ الدَّهْرِ حِيلَةً ‏ ‏ ‏ ‏ إِذَا نَمَّهُ فِي الْأَمْرِ قَابِلُ سَعْدِهِ

وقال مجد الدين : وقيل فى معنى الحديث : أى لا ينفع أحـداً نسبه وأبوته .

وقال ابن الأثير : ولا ينفع الفتى غناه ، وإنما تنفعه الطاعة[١] .

ويقول الحطيئة ، (فى معنى الحظ) :

فإنّ الشَّقِىَّ من تمادى صُدُورُهم ‏ ‏ ‏ ‏ وذوا الجَدِّ مَنْ لانُوا إليه ومَنْ ودوا[٢]

وقال عمر بن أبى ربيعة :

ربّ ، علقتُهَا تجدِّدُ هجرى ‏ ‏ ‏ ‏ ذاكَ ، واللهِ ، مِنْ شَقَاوة جَدِّى[٣]

وأنشد مجد الدين :

بِجَدِّكَ لا بِجِدِّكِ ما تُلَاقِى ‏ ‏ ‏ ‏ وما جَدٌّ إذا لم يغن جَدٌّ[٤]

---

(١) شرح الجاهليات لابن الانبارى ٥ ، بصائر ذوى التمييز ٢/ ٣٧٠ ، النهاية ١/ ٢٤٤
(٢) شرح ديوان الحطيئة ١٤٠ ‏ ‏ (٣) ديوانه ٩١
(٤) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٣٧٠

٤ ـ والجد : العمر ، ذكره ثعلب .

قال طرفة بن العبد :

فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عِيشَةِ الْفَتَى وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِى(١)

(العود : عواد المريض، وقيامهم كناية عن يأسهم من حياته، وجدك: عظمتك ، وقال بعضهم : وحظك(٢) ، وقيل : هو أبو الوالد) .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يتغزل :

لم تَسْلُبِينِى عَقْلِى وَجَدِّكِ عَنْ ضَعْفٍ ، ولكنْ بالنَّفْثِ فى العُقَدِ(٣)

* * *

● (والجد) بكسر الجيم :

١ ـ ضد الهزل : كقول الحطيئة يمدح :

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بعيدًا أناتها وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِيظَةُ والجِدُّ(٤)

وقال الكميت :

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الحياةِ وطُولِهَا يَجِدُّ بِنَا فى كُلِّ يومٍ وَنَهْزِلُ(٥)

وقال بشر بن أبى خازم :

جَدَدْتُ بِحُبِّهَا وهَزِلْتُ حتى كَبِرْتُ وقِيلَ : إِنَّكَ مُسْتَهَامُ(٥)

٢ ـ والجد : الاهتمام والإسراع والقطع والانكماش :

ومنه الحديث:« كان ـ ﷺ ـ إذا جَدَّ السَّيْرِ ، جمع بين الصلاتين »:

(معناه : اهتم وأسرع) .

وقال الحطيئة ، (فى معنى الانكماش) :

رأى مَجْدَ أقوامٍ أضيعَ فَحَثَّهُمْ على مَجْدِهِم لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الجِدّ(٥)

---

(١) مجالس ثعلب ٤٠٢/١ (٢) ديوانه ١٥٠ ، وشرح الجاهليات ١٩٤
(٣) ديوانه ٧٧ (٤) ديوانه ١٤٠
(٥) شرح المفضليات ١٤٨ (٦) ديوانه ١٤٠

وفسر ثعلب : « إن عذابك الجد . . . » بالانكماش[١] .

وقال معاوية بن مالك بن جعفر بن محلاب (معود الحكماء) (فى معنى الصرم) :

أجدَّ القلبُ مِنْ سلْمى اجْتِنَابا ... وأقصرَ بعدَ ما شابتْ وشابا[٢]

وقال خالد بن مالك الخناعى :

إِذَا أَدْرَكوهُمْ يُلْحِفُونَ سَرَاتَهُمْ ... بِضَرْبٍ كَمَا جَدَّ الحصيرُ الشَّواطِبُ[٣]

(يلحفون : أى يجعلون لهم لحافاً بالسيوف من الضرب . وجد : قطع . الشواطب جمع شاطبة : وهى التى تعمل الحصير)[٣] .

٣ ـ والجد : « الغنى » .

وشاهده : حديث القيامة : « وإذا أصحاب الجد محبوسون »[٤] .

* * *

● **ولفظ (الخال) من المشترك :**

(الخال) له شهرة كبيرة فى دنيا المشترك : فقد عنى به العلماء والأدباء والشعراء[٥] .

١ ـ فالخال : أخو الأم :

قال الله تعالى : ﴿ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ ، أو بيوتِ خَالَاتِكُمْ ﴾[٦] .

وقال الذبيانى يعتذر :

فِدَاءٌ لامرئٍ سارَتْ إليهِ ... بعذْرةِ رَبِّها عَمِّى وخَالِى[٧]

---

(١) مجالس ثعلب ٤٠٢/١

(٢) شرح المفضليات ٦٩٧ ، وديوان عامر بن الطفيل برواية ابن الأنبارى عن ثعلب ٤٦

(٣) شرح أشعار الهذليين ٤٦٧/١ (٤) النهاية ٢٤٤/١

(٥) مراتب النحويين ٣٣ ، والمزهر ٣٧٦/١ ، والمخصص ١١١/٢ ، وتاج العروس ٣١٣/٧ ، واللسان ١٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤٧ ، والنهاية ٩٣/٢ ، ومجالس ثعلب ٣٥٢/٢

(٦) النور : ٦١ (٧) ديوان النابغة ٢٥٧

وقال المرقش الأكبر :

فَنَحْنُ أَخْوَالُكَ عَمْرُكَ والْخَا ... لُ لَهُ مَعَاظِمٌ وحُرُم(١)

٢ ـ والخال : علامة على الخد ، أو العلامة مطلقاً فى الجسد .

قال ابن سيده : الخال شامة سوداء ، وجمعه خيلان .

وقال أبوعبيد : رجل مخيل ومخيول أومخول . وقال ابن دريد : رجل أخيل به خيلان(٢) .

قال عمر بن أبى ربيعة :

إذْ تَمَنَّيْتُ أَننى لَكِ بَعْلٌ ... آهِ ، بل ليتنى بِخَدِّكِ خَالا(٣)

وأنشد ابن برى للخليل :

وَلِلْخَوْدِ تَصْطَادُ الرجالَ بِفَاحِمٍ ... وَخَدٍّ أَسِيلٍ كالوذِيلَةِ ذِى الْخَالِ (٤)

(الوذيلة : قطعة من اللحم أو لحم السنام) .

وقال مزاحم بن عمرو ، (والذى قتله ابن الدمينة) :

أغشى نِسَاءَ بنى تيم إذا رَقَدُوا ... بعدَ العِشَاء ولا أبغى مَقَارِيها

بآيةِ الخالِ مِنْهَا عندَ سُرَّتِهَا ... وقولِ رُكْبَتِهَا حينَ تَثَنِّيهَا

ويروى : « تبيان ذلك خال عند سرتها »(٥) .

واعتبار الخال عند السرة ، أو فوق الحالب . وهو حينئذ لا يخال به ، إن قيل هو مجاز من الخيلاء .

ويقول ابن المعتز فى صاحب غدار :

غَلاَلَةُ خَدِّهِ وَرْدٌ جَنِيٌّ ... وَنُونُ الصُّدْغِ مُعْجَمَةٌ بِخَالِ(٦)

---

(١) ديوان المفضليات ٤٩٠

(٢) المخصص ٢/١١١

(٣) ديوانه ٢٢٥ .

(٤) اللسان (خيل) ١٣/٢٤٠ ـ ٢٤٧

(٥) شرح ديوان ابن الدمينة للمعرى ٧

(٦) شرح مقامات الحريرى ٤/١٨٨

وفى صفة خاتم النبوة : « عليه خيلان » (جمع خال) ، وهو الشامة فى الجسد .

وفى الحديث : « كان المسيح ـ عليه السلام ـ كثير خيلان الوجه »(١) .

٣ ـ والخال (سحابة ممطرة) : سحابة مخيلة بفتح الميم ، إذا استخلت فيها المطر ، أى ظننته ، وهى الخال أيضاً ، وجمع المخيلة : المخايل .

أنشد أبو زيد :

أَرِقْتُ له وشايَعنِي رِجالٌ ... وقد كَثُرَ المَخَايِلُ والسُّدُودُ(٢)

(السدود : السحائب السود التى تسد الأفق) .

وقال صخر الهذلى : (أخو الأعلم) ، فى سحابة :

لِشَمَّاءَ بعدَ شَتَاتِ النَّوَى ... وقدْ بِتُّ أَخْيَلْتُ بَرْقاً وَلِيفاً

أجشَّ رِبَحْلاً له هَيْدَبٌ ... يُكَشِّفُ للخالِ رَيْطاً كَشِيفا(٣)

(شتات النوى : تفرق الوجهة . وأخيلت : رأيت المخيلة ، وهى السحاب . وأجش : فيه بحة . ربحلا : ثقيلا . وهيدب : قريب من الأرض . وكشيفاً : متفرقاً) .

وقال أبو ذؤيب الهذلى :

رفعتُ لَهُ صَوْتِى وأَيقَنْتُ أَنَّهُ ... أَزَامِلُ نَجْمٍ خالَهُ غَيْرَ كَاذِبِ(٤)

(أزامل : أصوات نوء من النجم . وخاله : سحابه) .

وقال الفرزدق :

أَتَيْنَاكَ زُوَّاراً ووفداً وشامة ... لِخَالِكَ خالُ الصِّدْقِ مَجْدٌ وماطِرُ

(١) النهاية لابن الأثير ٢/٩٤ .

(٢) اللسان (سود) ، وأضداد أبى الطيب ١/٢٢٩

(٣) شرح أشعار الهذليين ١/٢٩٤ (٤) السابق ٢/١٢٢

وفسره المفضل فى الفاخر : (شامة : نظر إلى مقر البرق . والخال : السحاب)[١] .

وقال النمر بن تولب :

ولكنْ دَعَتْنِي هِمَّتِي حينَ أبلغتْ   إليكَ، وخالٌ مِنْ نَوَالِكَ هاضبُ[٢]

٤ ـ والخال (العزب) : قال امرؤ القيس :

كذبتِ لَقَدْ أُصْبِي عَلَى المرءِ عِرْسَهُ   وأمنعُ عِرْسِي أنْ يُزَنَّ بِهَا الخالى[٣]

(أصبى : أميل . ويزن : يتهم) .

وقال ثعلب :

إذا رَئِمَتْ رَبْعاً رَئِمْتُ رِباعَهَا   كما رَئِمَ الْمَيْثاءَ ذُو الرِّيبَةِ الخالى[٤]

(رئمت : أصبت . والريبة : ما يريب . والخالى : العزب) .

٥ ـ والخال : الماضى :

قال عبيد بن الأبرص (يذم الشيب ، ويتحسر على سواد الشعر) :

والشيبُ شَيْنٌ لِمَنْ يحتلُّ ساحَتَهُ   لِلّهِ دَرُّ سَوَادِ اللِّمةِ الْخالى[٥]

وأنشد ابن برى للخليل بن أحمد :

يعرفُ أطْلاً لاَ شَجْوَنَكَ بِالْخالِ   وعيشِ زمانٍ كان فى العُصُرِ الخالى[٦]

وقال امرؤ القيس :

ألا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي   وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ فى العُصُرِ الخالى[٧]

(عم : أمر من وعم ، بمعنى نعم)

---

(١) الفاخر للمفضل ٢٧
(٢) السابق ٣٢٣
(٣) ديوانه ٢٥
(٤) مراتب النحويين ٣٣
(٥) ديوانه ١١١
(٦) مراتب النحويين ٣٤ ، اللسان (خيل) .
(٧) ديوانه ٢٤ .

٦ ـ والخال : التكبر : والخيلاء ، والتباهى ، والتفاخر :

رجل خال ، وامرأة خالة ، مشتق من الخيلاء ، وهو التكبر والتبختر : قال أبو عبيدة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾(١): المختال ذو الخيلاء والخال ، وهما واحد ، ويجىء مصدراً ، وأنشد قول العجاج :

قال العجاج :

وَالخالُ ثوبٌ من ثيابِ الجُهَّالِ فيـــــه غَفْلَةٌ للغفّال

وقال الشاعر : ونسبه فى مجاز القرآن للعبدى :

فإنْ كنتَ سَيِّدَنا سُدْتَنا وَإِن كنتَ للخالِ فاذْهَبْ فَخَلْ(٢)

وقال أبو صخر الهذلى (فى غير مختال) :

يَفُوحُ المسكُ منهُ حينَ يَغْدُو وَيَمْشِى الزَّاهِرِيَّةَ غيرَ خَالِ(٣)

(الزاهرية : التبختر) .

وقال الراجز :

مازالَ ذُو الْبَغْىِ شَدِيداً هَبْصُهْ يَطْلُبُ مَنْ يَقْهَرُهُ وَيَهُصُهْ

حَتَّى أَتَاهُ قِرْنُه فَيَقِصُهْ فَفَادَ عَنــهُ خالَه وَعِرْصَـــهْ(٤)

(هبصه : نشاطه وسرعته . ويهصه : يدق عظامه فتتداخل . فيقصه : فقصده وأتاه . ففاد : مال وذهب . خاله : تكبره وخيلاؤه . وعرصه : نشاطه وبغيه) .

٧ ـ والخال : برد من برود اليمن الموشية :

وقال الشماخ :

---

(١) النساء : ٣٦

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٣١٩ ، اللسان (خيل) ، ومجاز القرآن ١/١٢٧ ، نظام الغريب للربعى ٤١ .

(٣) شرح أشعار الهذليين ٢/٩٦٤

(٤) أضداد أبى الطيب ٢/٥٥٦

وَبُرْدَانِ مِنْ خَالٍ وسبعونَ دِرهماً   على ذاكَ مَقْروظٌ مِنَ الجِلْدِ مَاعِزُ(١)

قال أسيد بن أبى اياس ، يعتذر إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان قد أهدر دمه :

وما حملتْ مِنْ ناقةٍ فوقَ ظَهْرِهَا   أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْ محمــدِ
وأكسَى لِثَوْبِ الخالِ قبْلَ اعتِرَاكِهِ   وَأَعْطَى لِرَأْسِ المُنهِبِ المتجرِّدِ(٢)

(اعتراكه : قدمه وبلاه . والمنهب : الفرس السريع . والمتجرد : القصير الشعر).

وقال عبدة بن الطيب ، يصف ثوراً وحشياً :

مُجْتَابُ نصعٍ جديدٍ فوقَ نَقْبَتِهِ   وَلِلْقَوائِمِ مِنْ خَالٍ سَرَاوِيلُ(٣)

(مجتاب : لابس . نصع : أبيض . نقبته : لونه . خال : برود فيها خطوط سود وحمر) .

وقال ساعدة بن جؤية :

يَذْرِينَ دَمْعاً عَلَى الأَشْفَارِ منحدراً   يَرْفُلْنَ بعدَ ثِيَابِ الخَالِ فى الرُّدمِ(٤)

(ثياب الخال : برود فيها خطوط خضر . والردم : المرقعات) .

وقال النابغة الذبيانى (يصف قطيع بقر وحشى) :

كأن كُشُوحَهنَّ مُبَطَّنَاتٍ   إلى فوقِ الكُعُوبِ بُرُودُ خالٍ(٥)

٨ ـ والخال : اللواء :

قال أبو منصور : ولا أراه سمى خالا إلا لأنه كان يعقد من برود الخال ، وهى من برود اليمن .

---

(١) اللسان ١٣/٢٤٠ وما بعدها .
(٢) شرح أشعار الهذليين ٢/٦٢٧ ، ومجالس ثعلب ٢/٣٥٢
(٣) ديوان المفضليات ٢٧٦ ، ونظام الغريب للربعى ٧٨
(٤) شرح أشعار الهذليين ٣/١١٣٧ .
(٥) ديوانه ٢٥٧

قال الأعشى الأكبر ، فيما كان بينه وبين أعدائه :

نُقيمُ لها سوقَ الجِلاَدِ ونَعْتَلِي ... بِأَسْيَافِنَا حتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا(١)

وقال مالك بن نويره (مخضرم) :

فَمَا فَتِئُوا حتّى رَأَوْنَا كأننا ... مع الصبحِ آذِىٌّ مِنَ البحرِ مزبد
بملمومة شهباءَ يبرُقُ خالُهَا ... ترَى الشَّمسَ فيها حين ذَرَّتْ توَقد(٢)

(آذى : موج . ملمومة : مجتمعة . شهباء : بيضاء السلاح) .

وقال عنترة (فى لواء الجيش) لما قتل عبد الله بن الصمة :

فَإِنْ يكُ عبد اللهِ لاقَى فَوَارِساً ... يردّونَ خالَ العَارِضِ الْمُتَوَقّد(٣)

(والعارض : اللامع لكثرة السلاح . والمتوقد : النشيط) .

وأنشدوا لأبى العباس ثعلب :

لَيَالى رَيعــانِ الشَّبَابِ مُسَلّط ... على بُعُصْبَانِ الإمَارَةِ وَالْخَالِ(٤)

٩ ـ والخال : العلامة مطلقاً .

قال رؤبة : يَقْطَعْنَ خُيَلاَنَ الفَلاَ تبوعا .

(الخيلان : العلامات . والتبوع : مد الباع فى السير)(٥).

١٠ ـ والخال : الحسن القيام على المال وغيره :

يقال : إنه لخال مال وخائل مال إذا كان حسن القيام عليه .

ومنه الحديث ، « كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَتَخَوَّلُنَا بالْمَوْعِظَةُ » .

وهى أشهر الروايات ، وجاء برواية ، « يتحولنا » ، بالحاء ، أى يبدلنا من

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ٣٠٧ ، واللسان (خيل) .
(٢) الأصمعيات ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٣) ديوانه ٤٠ ... (٤) مراتب اللغويين لأبى الطيب ٣٣ ، اللسان (خيل) .
(٥) الأساس ١٢٤ (خيل)

حال إلى حال[١] .

وقال زهير بن أبى سلمى :

تجدنى على ما خيلت هم ازاؤها وإن أفسد المال الجماعات والأزل

(فسره الأصمعى : أى هم الذين يقومون بها المقام المحمود)[٢] .

١١ ـ والخال : موضع :

قال امرؤ القيس يبكى الديار :

دِيَارٌ لسلمىَ عافِيَات بِذِى خال أَلَحَ عَلَيْهَا كُلّ أسحمَ هَطّال[٣]

وقال ياقوت : الخال : اسم جبل تلقاء الدثينة لبنى سليم . وقيل : هو فى أرض غطفان[٤] .

وأنشد قول الشاعر :

أَهَاجَكَ بِالْخَالِ الْحَمولُ الدّوافعُ وأنتَ لِمَهْوَاهَا مِنَ الأرض نَازِعُ[٥]

وذات الخال : موضع، جاء فى اللسان :

* أتعرفُ أطلالاً شَجَوْنَكَ بِالْخَالِ[٥] *

وقال عمرو بن معد يكرب :

* وَهُمْ قَتَلُوا بذاتِ الخالِ قيساً[٦] *

وقال الأعشى الأكبر :

قالوا . تمار فبطنُ الخالِ جادهُمَا فالعسجَدِيّةُ فالأبلاء فالرجل[٧]

(تمار : جبل لبنى سليم . وبطن الخال : جبل وموضع معين) .

---

(١) النهاية لابن الاثير (خيل) (٢) ديوانه ٢٧٦ ، وأمالى القالى ٣/٢٢٢

(٣) ديوان امرىء القيس ٢٥

(٤) المشترك وضعا ، والمختلف صقعا لياقوت ١٥١ .

(٥) السابق ، واللسان (خيل) (٦) السابق .

(٧) ديوان الاعشى الكبير ٥٧ .

١٢ ـ والخال : الخلاء والقفر :

قال عبيد بن الأبرص :

دِيَارُهُمْ إذْ هُمْ جميعٌ فأصبحتْ   بَسَابِسَ إلاَّ الوحشُ فى البلدِ الخالى(١)

(البسابس : القفر الخالية) .

وقال سلم الخاسر (أموى) :

وفتىً خَلاَ مِنْ مالِهِ   وَمِنَ المروءةِ غيرُ خالِ

أعطاكَ قبلَ سُؤالِهِ   فَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤالِ(٢)

وقال امرؤ القيس :

وقد أغْتَدِى والطيرُ فى وُكُنَاتِها   لِغَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِىِّ رائدُهُ خالِ(٣)

(الوسمى : أول مطر الخريف . والرائد : طالب الكلأ . وخال: ليس فيه غيره) .

١٣ — والخال : يوم من أيام العرب .

قال أوس بن حجر :

ولو أدْرَكْتُه الخالُ شَالَ بِرِجْلِه   كما شَالَ يومُ الْخَالِ كَعْبُ بنُ أصمع(٤)

(شال : رفع ، والخال الأولى : الظلع) .

١٤ ـ والخال : الظلع بالدابة .

أنشد الليث :

نَادَى الصَّرِيخُ فَرَدُّوا الخيلَ عَانيةً

تَشْكُو الْكَلاَلَ وَتَشْكُو مِنْ حَفَا الْخَالِ

(الصريخ : المستغيث ، والمستغاث به : ضد)

---

(١) ديوانه ١١٧
(٢) البيان والتبيين ٣/٣٥٥
(٣) ديوانه : ٢٩
(٤) ديوانه : ٦١

١٥ ـ والخال : الجبل الضخم ، والتل العالى :

قال الشاعر فى قوم تعجب أجسامهم ، ولا عقول لهم :

غُثَاءٌ كثيرٌ لا عزيمةَ فيهمُ وَلَـكِنَّ خِيلانًا عَلَيْهَا الْعَمَائِمِ(١)

١٦ ـ والخالى : الذى لا هم عنده ، والمعجب بنفسه :

يقول ابن سيده : رجل خال وخائل : معجب بنفسه .

قال عبيد بن الأبرص :

وَمِلْنَ إِلَيْنَا بالسَّوَالِفِ والحُلَى وبالْقَوْلِ فِيمَا يَشْتَهِى المرحُ الخالى(٢)

وقالت الخنساء :

لا ينطقُ النُّـكْرَ لَدَى حُرَّةٍ يَبْتَارُ ، خَالِى الْهَمِّ فى الغَاوِيَه(٣)

(يبتار : يجرب . والغاوية : الغواة والضالون ، والهاء للمبالغة) .

وقال الشاعر :

☆ إذا تحرد لا خال ، ولا بخل(٤) ☆

١٧ ـ والخال : الظن : وقد يكون بمعنى اليقين ، أيضاً فى الأضداد :

قال ابن الأثير : وفى حديث طهفة . « ونستخيل الجهام »(٥) ، نستفعل من خلت أخال إذا ظننت ، أى نظنه خليقاً بالمطر . وفى حديث عائشة رضى الله عنها : « كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا رأى فى السماء اختيالا تغير لونه » . الاختيال : أن يخال فيها المطر . وفى حديث آخر : « كان إذا رأى مخيلة أقبل وأدبر » ، المخيلة : موضع الخيل ، وهو الظن ، كالمظنة ، وهى السحابة الخليقة بالمطر(٦) .

(١) تاج العروس ٨/٣١٣ ، واللسان (خيل) . (٢) ديوانه : ١١٩

(٣) ديوان الخنساء ١٤٧ . (٤) اللسان (خيل) ١٣/٢٤٠ ـ ٢٤٧

(٥) النهاية ٢/٩٣ . (٦) النهاية ٢/٩٣ .

ويقول ذو الإصبع العدواني ، (جاهلى) :

لِيَ ابنُ عمٍّ عَلَى ما كانَ مِنْ خُلُقٍ مختلفانِ : فَأَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي
أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا فَخَالَنِي دونَه ، بَلْ خِلْتُهُ دُونِي[1]

(شالت نعامتنا تفرقنا . دونه : أقل) .

١٨ - والخالى : المنفرد بنفسه :

قال نابغة بني شيبان :

إنّ مَنْ يَرْكَبُ الفَوَاحِشَ سِرًّا حينَ يَخْلُو بِسِرِّهِ غَيْرُ خَالِي
كيفَ يَخْلُو وعندَهُ كَاتِبَاهُ شَاهِدَاهُ ، وَرَبُّهُ ذُو المِحَالِ[2]

(المحال : العقوبة العظيمة والمكر الشديد) .

١٩ - والخالى : العظيم الماجد :

قال الطائى الذى تنصر على يديه النعمان بن المنذر :

ما كنتُ أُخْلِفُ ظَنَّهُ بعدَ الَّذِي أَسْدَى إليَّ مِنَ الْفِعَالِ الْخَالِي[3]

* * *

● **الخال فى قصائد العلماء والشعراء :**

لفتت ظاهرة المشترك فى اللغة أنظار المدققين من العلماء والأدباء ، واللغويين ، فجاءت قصائدهم شاهدة على إثبات المشترك فى اللغة .

ذكر أبو الطيب عبد الواحد اللغوى فى كتابه : « مراتب النحويين » قصيدة للعلامة أبى العباس ثعلب فى معانى الخال ، ذكرها عنه بالسند الصحيح . وكذا نقلتها كتب اللغة « كاللسان » وغيره . وذكر ثعلب فيها أهم معانى الخال ، فتدارك عليها أبو الطيب بقصيدته الأخرى فى معانى الخال ، وذكر بعض ما لم يذكر فى قصيدة ثعلب .

---

(١) الأغانى ٣/١٠٤ (٢) أمالى القالى ٢/٢٦٨
(٣) مجمع الأمثال للميدانى ١/٢٧٤

وقد تفضلت مكتبة برلين العامة ـ مشكورة ـ بإهدائي قصيدة الخال لثعلب ، من مخطوطة قديمة على هامش معجم عربي مخطوط هناك. وراجعناها على المراجع التي وجدت فيها ، كما سيجيء .

وعلق أبو الطيب اللغوي في « مراتب النحويين » : على القصيدة بأن القافية الواحدة في القصيدة الواحدة يستوي لفظها ويختلف معناها ، وأن التكرار اللفظي لا يعيب القوافي لذلك ، وأنه ليس بإيطاء يعيب القوافي(١)

* * *

(ا) وهذه قصيدة أبي العباس ثعلب في معاني الخال ، وهي تنتظم كثيرا من المعاني السابقة

أنشد عبد القدوس بن أحمد ـ بالسند ـ قال : أنشدنا ثعلب :

١ ـ أتعرف أطلالاً شجونكَ بالخَالِ وعيشَ زمانٍ كانَ في العُصُرِ الخالي

٢ ـ ليالىَ رِيعَانِ الشَّبَابِ مُسَلَّطٌ عَلَيَّ بِعُصْيَانِ الإمَارَةِ والخالِ

٣ ـ وَإذْ أَنَا خِدْنٌ لِلغَوِيِّ أخِي الصِّبَا
وَلِلْغَزَلِ المُرِيحِ ذِي اللَّهو والخالِ

٤ ـ وللخَوْدِ يَصْطَادُ الرجالَ بفاحمٍ وَخَدٍّ أَسِيلٍ كالْوَذِيلةِ ذِي خَالِ

(والوذيلة . المرآة) ورواية « اللسان » : « كالوذيلة ذي الخال » .

٥ ـ إذَا رَئِمَتْ رَبْعاً رَئِمْتُ رِبَاعَهَا كما رئم الميثاء ذو الريبة الخالي

(ورواية اللسان : « ذو الرثية » . ورئمت : أحبت . والميثاء : المرأة التي تميل) .

---

(١) يراجع هذا في :
مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ٣٣ ـ ٣٥ ، ولسان العرب ١٣/٢٤٠ ـ ٢٤٧ ، وقصيدة في معنى الخال لأبي العباس ثعلب ، وصورتها لدي ، من مكتبة برلين العامة .

٦ ـ ويقتادني منها رخيمٌ دلالِهِ كما اقتادَ مُهْراً حينَ يألفه الخالي

(ورواية اللسان . « رخيم دلالها ») .

٧ ـ زمانَ أُفَدِّي مَنْ يُرَاحُ إلى الصِّبَا بِسَهْمِي مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ وَالْخَالِ

ورواية اللسان . « من مراح » .

٨ ـ وقد علمتْ أَنِّي وَإِنْ مِلْتُ لِلصِّبَا

إِذَا القومُ كَعُّوا لَسْتُ بِالرَّعش الخالي

(كَعُّوا : من كعكعه الخوف فتكعكع) .

٩ ـ وَلَا أَرْتَدِي إِلَّا المروءةَ حُلَّةً

إِذَا ضَنَّ بَعْضُ الْقَوْمِ بِالْعُصْبِ وَالخالِ

١٠ ـ وَإِنْ أَنَا أَبْصَرْتُ المحولَ بِبَلْدَةٍ

تَنَكَّبْتُهَا واشتمتُ خالاً على خال

(علق على هذا ابن نوبخت بخطه : « ببلدة تبطنتها » .

١١ ـ فخالفْ فَلَنِي كُلّ حِلْفٍ مهذبٍ وَإِلَّا تُحَالِفْنِي فَخال إذا خال

ورواية اللسان : « فخالف بحلفي كل خرق مهذب » .

١٢ ـ وَإِنّي حليفٌ للسياحة والندى كما احتلفتْ عبسٌ وذبيانَ في الخال

ويروى « بالخال » . ورواية اللسان .

(وما زلت حلفا للسماحة والعلا . . . . . وذبيان بالخال)

١٣ ـ وثالثنا في الحِلْفِ كُلُّ مهندٍ لِمَا رِيمَ مِنْ صُمِّ العظامِ بِهِ خَالِ

ورواية اللسان . « لما يرم » .

وشرحها أبو الطيب بقوله :

١ ـ قوله : « شجوك بالخال » : يريد موضعاً بعينه .

٢ ـ وقوله : « في العصر الخالي » : أي الماضي .

٣ ـ وقوله : « الامارة والخال » : يريد الراية .

٤ ـ وقوله : « ذي اللهو والخال » : يريد الخيلاء والتكبر .

٥ ـ وقوله : « كالوذيلة والخال » : يريد واحد خيلان الوجه .

٦ ـ وقوله : « ذي الريبة الخال » : يعني : العزب .

٧ ـ وقوله : « حين يألفه الخالي » : هو الذي يخليه : أي يلقي اللجام في فيه .

٨ ـ وقوله : « من فرط الصبابة والخال » : يريد أخا أمه .

٩ ـ وقوله : « بالرعش الخالي » : يعني المتحوب الضعيف .

١٠ ـ وقوله : « بالعصب والخال » يريد : برود الخال ، وهي ضرب من برود اليمن.

١١ ـ وقوله : « على خال » ، يعني السحاب .

١٢ ـ وقوله : « خان إذا خال » : من المخالاة ، وهي التخلي .

١٣ ـ وقوله : « بالخال أو في الخال » : يريد موضعاً .

١٤ ـ وقوله : « به خال » : أي قاطع .

* * *

● **قصيدة أبي الطيب عبد الواحد اللغوي :**

قال أبو الطيب اللغوي : ولما ظننا أن من يسمع هذه الأبيات ، ربما خال أن قائلها قد زاد على الخليل ، وأنه لما تعرض لشيء تقصاه . . رأينا أنه بخلاف هذه الصورة ، وأنه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل أكثر مما أورد : فقد بقي من هذه القافية ما نحن ناظموه أبياتاً ، ومعتذرون من تقصيرنا فيه ؛ إذ البغية إيراد القوافي ، دون التعمل لنقد الشعر : وها هي القصيدة :

١ ـ أَلمَّا بِرَبْعِ الدارِ بان أنيسُه ... عَلَى رَغْمِ أنفِ اللَّهْوِ قَفْراً بِذِى الخالِ

٢ ـ مساعد خِلٍّ أو مقضى ذِمَّةً ... ومحى قتلى بعدَ سُكانه خالِ

٣ ـ خلا منهمُ مِنْ حيثُ لم تَخْلُ مُهْجَتِى
وَلَمْ يَخْلُ مِنْ نُؤْىٍ وَأَوْرَقَ كالخال

٤ ـ وكم جَلَّتْ أيدى النّوى وصر وفُها ... عَلَى الزمنِ الخالى الْمُحِبِّينَ بالخال

٥ ـ تبصرْ خليلى الربعَ شيعت دائماً ... بقلبٍ مِنَ الْوَجْدِ الذى حلّ بى خال

٦ ـ ألم ترَنى أَرْعَى الْهوَى مِنْ جوَانِحِى
رِيَاضاً كَهَمِّ الْمَرْءِ ذِى النّعم الخال

٧ ـ أذوقُ أَمَرَّيْهِ بِغَيْرِ تَكَرُّهٍ ... مذاقَه موفورٍ على جُرْعِهِ خال

٨ ـ وأسكنْ مِنْهُ كلَّ وَادٍ مُضَلّة ... وآلفُ ربعاً ليسَ مِنْ مألفِ الخالى

٩ ـ وكمْ أنتضى فيه سيوفُ عزائمٍ ... وَأَنْضُو ثِيَابَ البدنِ عن جمل خال

١٠ ـ وَكَمْ مِنْ هَوى نُكِّبتُ عنهُ إلى هوىً
وحقٌّ يقينٍ حـــدتُ عنهُ إلى خال

١١ ـ ومهما تذلّلنى لليلى صَبَابَة ... فغيرُ معرى القدر من مَلْبَس الخال

١٢ ـ تطامنَ طودِى للهوَى يستقيدُه ... وألحقُ أطوادَ الأعزيْين بالخال

١٣ ـ أَضِنُّ بعهدى ضنَّ غيرى بِرُوحِه
وأبذلُ رُوحِى بَذْلَ ذِى الْكَرْمِ الخال

١٤ ـ وَإِنْ أَخْلُ مِنْ شَىْءٍ فلا من صَبَابَة
خَلَتْ شِرَّتِى كَالْغَيْثِ بلّ بِهِ الخال

١٥ ـ وَإِنْ تَخْلُ لَيلَى مِنْ تذكّرِ عَهْدِنا
فَكَمْ أَيْقَنَ الواشونَ أنّى بها خال

١٦ ـ وَإِنْ زَعَمُوا أَنِّى تَخَلَّيْتُ بَعْدَهَا
فَمَا أَنَا عَنْهــــا بِالخَلِىِّ ولا الخالى

قال أبو الطيب :

١ ـ « ذو الخال » : اسم موضع ، قال امرؤ القيس :

ديار لسلمى عافيات بذى الخال ألح عليها كل أسحم هطال

٢ ـ و « من بعد سكانه خال » : معناه : يا خالد على الترخيم .

٣ ـ و « أوراق كالخال » : (فالأوراق : الرماد ، والخالى : الجبل الأسود) .

٤ ـ و « الجبين بالخال » : فالخال هاهنا : ثوب يستر به الميت .

٥ ـ و « من الوجد الذى حل بى خال » : أى فارغ .

٦ ـ و «ذى النعم الخال» : الرجل الحسن القيام على ماله والراعى لإبله : يقال : إنه لخائل مال ، وخال مال .

٧ ـ و « موفور على جرعه خال » ، من قولهم : خلى على اللبن أو غيره ، وأخلى عليه ، إذا لزمه وحده ولم يتغذ بغيره .

٨ ـ و « ليس من مألف الخال » : من قولهم : خلا بالمكان إذا لزمه ، فلم يفارقه .

٩ ـ و « عن جمل خال » : البعير الضخم البادن .

١٠ ـ و « حدث عنه إلى خال » : أى إلى ظن .

١١ ـ و « عن ملبس الخال » : الرجل المتكبر .

١٢ ـ و « الأعزين بالخال » : أى الأكمة الصغيرة .

١٣ ـ و « بذل ذى الكرم الخال » : الرجل السمح الكريم .

١٤ ـ و « كالغيث بلّ به الخالى » . فالغيث هاهنا : النبت . وبل به : اخضر به ، والخالى : الذى يجز الخلا .

١٥ ـ و « أنى بها خال » : أى منفرد .

١٦ ـ و « ما أنا منها بالخلى ولا الخالى » : الخلى الذى ليس بمحزون ، والخالى : البرىء .

* * *

● **ولفظ (رهو ، ورهوة) من المشترك ومن الأضداد :**

الرهو ، والرهوة : الساكن ، والفجوة الواسعة ، وللمكان المرتفع ، واسم جبل ، والطريق ، وفيما معناه : المتابعة ، واسم طائر ، والرفق ، والإبقاء ، وعيب فى المرأة ، والطوفان ، وجوبة تجتمع فيها المياه ، والارتفاع والانخفاض (ضد) . . .

قال ابن خالويه : الرهو : المرتفع ، والرهو : المنخفض (ضد) . رواه ثعلب عن ابن الأعرابى . ونقله ابن فارس عن القتيبى ، وأجازه أبو عمرو فى الرهو ، والرهوة .

١ ـ الرهو : الارتفاع :

قال رؤبة فى الارتفاع :

* إِذَا عَلَوْنَا رَهْوَةً أَوْ غَمَضَا(١) *

(غمضـــا : المطمئن المنخفض من الأرض . ورواية ابن الأنبارى : « أو خفضا ») .

وقال عمرو بن كلثوم :

نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةِ ذاتِ حَدٍّ   محافظةً وكُنَّا السَّابِقِينَا(٢)

---

(١) نوادر أبى مسحل ٥٤ ، والمقاييس (رهو) ٢/٢٤٧ ، أضداد أبى الطيب ٢٨٧ ، وكل كتب الأضداد تقريبا .   (٢) ديوانه ١١٩ ، أضداد ابن الأنبارى ١٤٩

(قال ابن السكيت : رهوة ها هنا : ما ارتفع وعلا . وقيل : عنى جبلا .

وقال ذو الرمة :

نَظَرْتَ كَمَا جَلَّى عَلَى رَأْسِ رَهْوَةٍ   مِنَ الطَّيْرِ أَقْنَى يَنفُضُ الطَّلَّ أَزْرَقُ(١)

وقال عامر بن الطفيل يفتخر :

لقد تَعْلَمُ الحربُ أنِّى ابنُهَا   وأنِّى الهُمَامُ بِهَا الْمُعْلِمُ

وأنِّى أهلٌ على رَهْوَةٍ   مِنَ الْمَجْدِ فِى الشَّرَفِ الأَعْظَمِ(٢)

وقال الحارث بن حلزة :

لَوْ أنَّ مَا يأْوِى إِلَىَّ أصابَ فَنْدَا

أَوْ فَرْعَ رَهْوَةٍ أَوْ رُءُو

سَ شَمَارِخٍ لَهُدِدْنَ هَدًّا(٣)

٢ ـ والرهوة : الانخفاض :

وأنشد قطرب قول أبى العباس النميرى :

* إذَا هَبَطْنَ رَهْوَةً أَوْ غَائِطاً *

قال قطرب : فقوله : هبطن : يدل على الانخفاض .

ولأبى العباس النميرى :

وَوَلَّيْتُ رِجْلِىَ فى رَهْوَةٍ   فَمَا نَالَتَا عِنْدَ ذَاكَ الْقَرَارَا

وقال الشاعر (أنشده ابن السكيت) :

وَأَلْقِ عَدُوَّكَ فِى رَهْوَةٍ   يَغِبْ عَنْكَ مَادُمْتَ حَيًّا صحيحا(٤)

---

(١) ديوانه ٤٠٠   (٢) ديوانه ١١٩   (٣) الوحشيات ١٦٣

(٤) أضداد السجستانى ٩٤ ، أضداد ابن الأنبارى ١٤٨ ، أضداد أبى الطيب ١/٢٨٤ ، والأصمعى ١١ ، وابن السكيت ١٦٩

ونظر أعرابى إلى جمل ذى سنامين ، فقال . (سبحان الله : رهو بين سنامين) ، أو قال : رهوة بين سنامين[1] .

٣ ـ والرهو . الإبقاء والسكون والرفق ، يقال . لا ترهو إلا على نفسك ..أى لا تبقين إلا عليها . ومعنى (السكون) مما شذ عن الباب عند ابن فارس .

قال الله تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ البحرَ رَهْواً ، إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾[2] .

أى اترك البحر على حاله بعد النجاة ، ولا تضربه ؛ لينطبق ، وإنما دعه مفتوحاً ، لينطبق عليهم[3] .

وقال القطامى (فى السكون) يمدح :

(ونسبه الزمخشرى فى تفسيره إلى الأعشى ، وليس فى ديوانه) .

يمشينَ رَهْواً فَلاَ الْأَعْجازُ خاذِلَةٌ
وَلاَ الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجازِ تَتَّكِلُ[4]

ومثله : السوق الرفيق ، وهو مصدر : رها يرهو رهواً فى سوقه .

وفى معنى الانخفاض قال رجل من الأزد :

وَمَشْتَانَا أُبَيْدَةِ إنْ سَلِمْنَا نَحُلُّ الرَّهْوَ منه والصَّعِيدا

(أبيدة : منزل بنى سلامان من الأزد بالسراة)[5] .

وقال الشاعر :

أَنْتَ كالرهْوِ رِفْعَةً سُدْتَ رَهْواً وَبَنَى المجدُ يافعاً والداكا

---

(١) الأضداد لابن الأنبارى ١٥٠ (٢) الدخان : ٢٤

(٣) نوادر أبى مسحل ٥٤ ، والمقاييس ٢/٢٤٧ ، والكشاف ٣/٥٠٣

(٤) ديوانه ٤ ، أضداد أبى الطيب ١/٢٨٩ ، والأنبارى ١٥٠ ، ونوادر ابن الأعرابى ٥٤

(٥) الوحشيات ١٤

وقال الآخر :

غَدَاةَ أَتَاهُمْ فى الزَّحْفِ رَهْواً ... رَسُولُ اللهِ وَهْوَ بِهِمْ بَصِيرُ

وأنشد الفراء :

كَأَنَّهَا أَهْلُ حِجْرٍ يَنْظُرُونَ مَتَى ... يَرَوْنَنِي خَارِجاً طَيْراً يَنَادِيد

طير رأتْ بَازِياً نَضْحُ الدِّمَاءِ بِهِ ... أَوْ أُمَّةٌ خَرَجَتْ رَهْواً إلى عيد[1]

(أراد بالرهو : السكون ، وينادبد : متفرقون) .

وقال سنان بن أبى حارثة :

إنْ أمسى لاأشتكى نَصَبِى إلى أحدٍ ... وَلَسْتُ مهتدياً إلاَّ مَعِى هاد

فقدْ صَبِحْتُ سوادَ الحَىِّ مشْعَلَةً ... رَهْواً تطالعُ مِنْ غورٍ وأنجاد

(مشعلة : كتيبة . رهواً : ساكنة تسير على هون ، كذا فسره الشنقيطى)[2] .

وروى ابن الأنبارى بالسند ، فى تفسير قوله تعالى . ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾[3] ، أن معنى رهواً : ساكناً ، وأيده عبد الواحد اللغوى[4] .

ثم روى ابن الأنبارى بعد ذلك بالسند أيضاً أن معناه : « طريقاً يبساً »[5] . وفسره الزمخشرى : بالسكون على هيئته وحاله . وذكر أن الوجه الثانى للرهو هو : الفجوة الواسعة . وذكر ما قيل : من أن أعرابياً رأى جملا فالجاً : (الضخم من الإبل ذو سنامين يحمل من السند للفحلة) فقال : (سبحان الله : رهو بين سنامين)[6] .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ١٥٠ (٢) الأصمعيات ٢٠٩

(٣) الدخان : ٢٤

(٤) أضداد ابن الأنبارى ١٥٠ ، أضداد أبى الطيب ١/٢٨٩ ، وشرح ديوان الحطيئة ٩

(٥) أضداد ابن الأنبارى ١٥١

(٦) تفسيره ٣/٥٠٣ ، وشرح ديوان الحطيئة ٩ لابن السكيت وغيره .

وقال شراح ديوان الحطيئة : (الرهو) ما تطأمن الأرض ، وكان ما حوله أشد ارتفاعاً ، وسأل بعضهم عن شيء شبيه بمثل ذلك ، فأجيبوا : رهوة بني فلان[١] .

٤ ـ والرهو: صفة تذم بها المرأة عند الجماع من السعة: وقال ابن فارس: نعت سوء للمرأة[٢] . يقال : امرأة رهو ، ورهوى .

قال الراجز :

لَقَدْ وَلَدَتْ أَبَا قَابُوسَ رَهْوٌ ... أَتُومُ الْفَرْجِ حَمْرَاءُ العِجَانِ[٣]

(أتوم : واسعة، وأصله في السقاء ، تنفتق منه خرزتان فتصيران واحدة. والعجان ما بين الفرج والإست . وحمراء العجان : سب كان يجرى على الألسنة) .

وقال المخبل السعدى :

فَأَنْكَحْتَهُ رَهْواً كَأَنَّ عِجَانَهَا ... مَشَقُّ إِهَابٍ أَوْسَعَ السَّلْخَ نَاجِلُه[٤]

وقال أبو الحبال الباهلى :

وفارسٍ جَلَّلْتَهُ ضَرْبَةً ... فَبَانَ عَنْ مِنْكَبَيْهِ الكَاهِلِ
فصَارَ ما بينهُمَا رَهْوَةً ... يَمْشِي بِهَا الرَّامِحُ والنَّابِلُ[٥]

وقال ابن الأنبارى : « سمعت أبا العباس يقول: يقال للساكن : رهو. وللواسع : رهو ، وللطائر الذى يقال له ، الكركى : رهو »[٦] .

ويستعمل الرهو أيضاً عند ابن الأنبارى فى المتثنى، والرخو، والأحمق.

---

(١) السابق .
(٢) المقاييس ٢٤٧/٢ ، واللسان (رها)
(٣) أضداد أبي الطيب ٢٨٩/١ ، واللسان (رها).
(٤) شرح ديوان عامر بن الطفيل لابن الأنبارى ١١٩
(٥) الوحشيات ٦٤ (٦) أضداد ابن الأنبارى ١٥٠

٥ ـ والرهو: طائر يقال: إنه الكركى، أو يشبهه، أو ضرب من الطير.

ويقال: إن الرهو: طائر أصغر من الكركى، يتزود الماء فى إستة، لحمقه، لأنه يخال الطير ترد الماء لعشر.

قال الراجز: وَطِرْتُ كالرَّهْوِ وليات[1]

وقال طرفة بن العبد يهجو:

هُمُ سَوَّدُوا رَهْواً تزَوَّدَ فى استِهِ ... مِنَ الْمَاءِخَالَ الطَّيْرَوَارِدَةً عَشْراً[2]

(يشبه سيد بنى المنذر: « وائل بن شرحبيل »، بهذا الطائر الأحمق).

٦ ـ والرهوة: الماء الذى يجتمع إلى جوبة تكون فى محلة القوم.

وقضى ـ ﷺ ـ: « ألا شفعة فى فناء ولا طريق، ولا منقبة، ولا ركح، ولا رهو »[3].

(المنقبة: الطريق الضيق بين الدارين، لا يمكن لأحد أن يسلكه. والركح: البيت وناحيته من ورائه).

٧ ـ ورهو البلاد: أدناها وأقصاها:

قال الراجز:

وبلدةٍ أَمْخَطْتُ مِنْ رَهْوَيْهَا
بِجَلْعَدٍ تَسْتَنُّ فى عِطْفَيْهَا[4]

(أمخطت: أسرعت. والجلعد: الناقة القوية الشديدة. تستن: تسرع).

٨ ـ والرهو. الطعام الكثير، مصدره رهواً.

قال الشاعر:

يَالَيْتَنِى شَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ مَعْشَراً ... رَهَا لَهُمْ ضَبْحُ الاتاوَةِ والبُسُر

---

(١) أضداد أبي الطيب ١ / ٢٨٩، وابن الانبارى ١٥٠، المقاييس ٢٤٧/٢، ونوادر ابن الأعرابى ٥٤ (٢) ديوانه ١٨٣

(٣) أضداد ابن الانبارى ١٤٩ (٤) أضداد أبي الطيب ٢٨٨/١

(الضجج : اللبن الرقيق الكثير الماء . الاتاوة: الرشوة والخراج . والبسر: التمر للغض قبل أن يرطب) .

وقال الراجز :

آثرتُ صَفْوَانَ على العِيَال ‏ ‏ ‏ بالعَلَفِ المُرْهِى وبالجلال[1]

(صفوان : اسم فرس) .

٩ ـ والرهو : المتتابع :

قال الحطيئة ، يصف خيلا :

مثابِرَةً رهواً وزعتُ رَعِيلَهَا ‏ ‏ ‏ بأبيضَ مَاضِي الشَّفْرَتينِ صَقِيلِ[2]

(رهواً : قال ابن السكيت وغيره : ها هنا : المتتابع) .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابى ، الرهو : من قولك : تركت الناس رهواً واحداً إلى فلان ، مثل عنق واحد ، وذلك إذا تلا بعضهم بعضاً[3] .

وقال ابن فارس : وجاءت الخيل رهواً : أى متتابعة[4] . وهذا يفسر رهواً فى بيت الحطيئة .

وأنشد ابن الأعرابى :

وَأَلْقَى نَفْسَهُ وَهَوَيْنَ رهْواً ‏ ‏ ‏ يَدَاكَ إِذَا مَاهَزَّ بِالْكَفِّ يَعْسل[5]

(أى يتلو بعضها بعضاً كلعاب الرمح) .

والإمام السيوطى يقول : إن « رهواً » فى الآية الكريمة : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾[6] ، أى ساكناً على هيئته بالسريانية ، وقيل . يابساً . . .

---

(١) السابق . ‏ ‏ ‏ (٢) شرح ديوان الحطيئة لابن السكيت وغيره ٩

(٣) نوادر ابن الأعرابى ٥٤ ‏ ‏ ‏ (٤) المقاييس ٢/٢٤٧

(٥) تاج العروس ١/٤٥٦ (رهوا) ‏ ‏ ‏ (٦) الدخان : ٢٤

وذكر أن الأقوال كثرت فى معناه ، فقيل : رهواً : أى سهلا ، وقيل : منفرجاً . . .(١) .

* * *

• **ولفظ (صلى ، والصلاة) من المشترك :**

قدمنا طرفاً من تصريف لفظ صلى وصلاة ، فى فقه المشترك ، وهذه بعض المعانى التى تدور حولها .

١ ـ صلى : دعا ، من الدعاء .

قال الأعشى :

تَقُولُ ابْنَتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلاً … يَارَبُّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ والْوجَعَا
عَلَيْكِ مِثْل الَّذِى صَلَّيتِ فَاغْتَمضِى … نَوْماً فإِنَّ لجنبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعَا

وقال الأعشى أيضاً يصف خمراً ، ويدعو لها (بألا تفسد) :

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دِنِّهَا … وَصَلَّى عَلَى دِنِّهَا وَارْتَسَم .(١)

وقال عز وجل : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾(٢) .

٢ ـ وصلى : أطاع وعبد وتبتل .

قال ثعلب : أنشدنى عبد الله بن شبيب لضرار بن الأزور :

تَرَكْتُ الْقِدَاحَ وعزفَ القِيَا … نِ ، والخمرَ تَصْلِيَةً وَابْتِهَالاَ
فيــارَبِّ لا تَغْبِنَنِّ بَيْعَتِي … فَقَدْ بِعْتُ أَهْلِي وَمَالِي بِدَالاَ(٣)

وروى أن الرسول ـ ﷺ ـ سمع هذا الشعر وتهلل ، وقال . « ربح البيع » .. ثلاث مرات .

---

(١) معترك الأقران للسيوطى ٢/١٢١

(٢) جمهرة أشعار العرب ١٥ ، ديوان الأعشى ٣٥ ، وتاج العروس ١٠/٢١٢

(٢) التوبة : ١٠٣

(٤) مجالس ثعلب ٢/٢٢٣ ، ٢٢٤ ، وتاج العروس (صلى) بدون نسبة .

٣ ـ وصلى : تلى السابق ٠

فالفرس المصلى هو الذى يلى السابق ٠

قال بشامة النهشلى ، ونسب لغيره كما فى الحماسية (١٤) :

إِنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْماً لِمَكْرُمَةٍ تَلْقَى السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصَلِّينَا[١]

(وقال المصلين مع السوابق ، ولم يقل المصليات ، لأنه قصد الآدميين ، أو أخرج السابق إلى باب الأسماء فصار مثل كاهل وكواهل ، وصاهل وصواهل) ٠

وفى الحديث : « سَبَقَ رسول الله ﷺ ، وصَلَّى أبو بكر ، وثَلَّثَ عُمَرُ ، وخبطتنا فتنةٌ ، فما شاء الله » ٠ وأصله فى الخيل كما سبق ، واعتبره الزمخشرى مجازاً ، ولم ينبه صاحب التاج على المجاز[٢] . وقال أبو عبيد فى الأجناس : المصلى الذى يجىء بعد السابق[٣] .

٤ ـ والصلا : العجز :

يقول ابن دريد فى وصف الفرس :

قَرِيبُ مَا بَيْنَ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْقَذَالِ وَالصَّلاَ[٤]

(القطا : مكان الردف ، أو ما بعد الردف . والمطا : الظهر . والصلا : العجز أو الصلوان : الفجوتان اللتان تبتدان أصل الذنب بينه وبين الجاعرتين) .

قال النابغة :

عَلَى صَلَوَيْهِ مُرْهِفَاتٌ كَأَنَّهَا قَوَادِمُ رِيشٍ بَزَّ عَنْهُنَّ مِنْكَبُ[٥]

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقى ١/١٠٣ ، ومجالس ثعلب ٢/٤٢٣

(٢) أساس البلاغة ٢٥٨ (صلى) ، وتاج العروس ١٠/٢١٣

(٣) الأجناس لأبى عبيد

(٤) شرح مقصورة ابن دريد ٦٤

(٥) كتاب خلق الإنسان للأصمعى ٢٠١

٥ ـ وصلى : أحرق ، أو أدفأ .

قال عز وجل : ﴿ لا يَصْلاهَا إلاَّ الأشْقَى ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْـكُبْرَى ﴾[٢] .

وقال سبحانه : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[٣] .

وأنشد ثعلب :

أَلا يَا اسْلَمِى يَا هِنْدُ هِنْدُ بَنِى بَدْرٍ
تَحِيَّةَ مَنْ صَلَّى فُؤَادَكِ بالجَمْرِ[٤]

(أراد : أنه قتل قومها فأحرق فؤادها بالحزن عليهم) .

وقال المرار الفقعسى (يصف ظباء فى يوم شديد الحرارة) :

إذا خَرَجَتْ تَتَّقِى بالقُرُونِ   أُجَيْجَ سُمُومٍ كَلَفْحِ الصِّلَاءِ[٥]

(أى إذا ضاقت بها الـكنس ، اتقت الحر بالقرون) .

وطلق رجل من بنى ضباب زوجه أم الضحاك المحاربية ، وكانت تحبه فقالت :

وأَعْجَلَنَا قُرْبُ الْفِرَاقِ وَبَيْنَنَا   حَدِيثٌ كَتَنْفِيسِ الْمَرِيضَيْنِ مُزْعِجِ
حديثٌ لَوْ أَنَّ اللَّحْمَ يَصْلَى بِحَرِّهِ   غَرِيضاً إلى أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُنْضِجِ

ورواية القالى :

« بحـــــره . . .   طريا أتى أصحابه . . . »

---

(١) الليل : ١٥   (٢) الأعلى : ١٢   (٣) الحاقة : ٣٠ ، ٣١
(٤) مجالس ثعلب ٢/٣٧٣ ، اللسان (صلى) .
(٥) الوحشيات ٥٥ ، والمعانى الكبير ٢٦٤
(٦) الوحشيات ١٩١ ، وأمالى القالى ٢/٨٦

وأنشد ثعلب :

إِذَا الضَّيْفُ أَلْقَى نَعْلَهُ عَنْ شِمَالِهِ　　طرُوقاً وصَلَّى كَفٌّ أشعثَ سَاغِبِ(١)

(وقال : صلى يده بالنار من شدة البرد . وروى الشطر الأول : « أتانا فلم نفرح بطلعة وجهه ») .

٦ ــ والصلاة : المصلى ، أى مكان الصلاة لليهود أو المسلمين :

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾(٢) .

فسر ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ الصلوات بكنائس اليهود .

وذكر ابن الأنبارى : أنه يقال أيضاً للمصلى من مساجد المسلمين صلاة . كما يقال لكنيسة اليهود : صلاة . واستشهد بقوله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾(٣) .

أراد لا تقربوا المصلى ، وقالوا : هذا تفسير أبى عبيدة وغيره(٤) .

وقرأ بعضهم : « وبيع وصلواث » بالثاء ، وتلك قراءة الكلبى .

وقيل : إن الحجاج بن يوسف قرأ : « وصلوب » بالباء .

ويقال : إن اسم الكنيسة بالعبرية « صلوثا » ، وعربت إلى صلاة ، وعلى هذا يفسر قول الشاعر :

واتق الله والصـــلاة فدعها　　إن فى الصوم والصلاة فسادا(٥)

(أراد بالصلاة : الكنيسة . وأراد بالصوم : ما يخرج من بطن النعام ، يقال : صام الظليم ، إذا فعل ذلك) .

---

(١) مجالس ثعلب ٨٦/١　　(٢) الحج : ٤٠　　(٣) النساء : ٤٣

(٤) تاج العروس ٢١٢/١٠ ، أضداد ابن الأنبارى ٣٣٨　　(٥) السابق نفسه .

وفسر بعضهم « الصلوات » بالصلوات المعروفة ، وأول تهديمها بتعطيلها، على طريق المجاز .

٧ ـ والصلاة : واحد الصلوات المعروفة :

قال الله عزوجل : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾(١)

وقال عز من قائل : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾(٣) .

٨ ـ وصلى : طرد .

يقال : صلى الحمار أتنه على الطريق ، أى طردها وقحمها ، كما نقله الصاغانى(٤) .

* * *

● ولفظ (العين) من المشترك :

لفظ العين ، من الألفاظ التى حفلت واحتفلت بها قواميس اللغة العربية، وكثر تداولها واستعمالاتها فى بطون الأمهات من الكتب الأدبية وغيرها ، مما يشهد بأنها من عين أعيان المشترك . وجمعها : أعين ، وعيون ، وأعيان، وزاد صاحب التاج أعينات . وأبو العلاء المعرى يرى أن كل ما فيه عين وياء ونون فبعضه مشتق من بعض .

وابن فارس وبعض علماء اللغة معه يرون : أن الباصرة هى الأصل ، الذى يدل على عضو به البصر ، ثم يشتق منه سائر استعمالاتها، كما فى المقاييس. أى أن بقية الاستعمالات من المجاز لا الحقيقة وليس هذا على إطلاقه .

والطريف أن صاحب تاج العروس يروى عن السهيلى فى روضه : أنه

---

(١) الإسراء : ٧٨
(٢) البقرة : ٢٣٨
(٣) الكوثر : ٢
(٤) تاج العروس ١٠/٢١٢

يرى أن هذه هى المجاز لحلول الابصار فيها ، ثم يدعونا إلى التأمل ، وقولته جديرة بالتأمل .

ولم تذكر القواميس التى عنيت بالمجاز والحقيقة والإشارة إليهما — كالأساس ، وتاج العروس - إلا خمسة معان ، استعملت العين فيها مجازاً . كطلوع النبت ، والنور ، وصديق عين ، وعبد عين ، وأعيان الناس ، والإخوة ، وحمد العين .

وإذاً فقد بقيت المعانى الكثيرة التى شهدت بها الأساليب الفصيحة ، والتى استعملت على سبيل الحقيقة لا المجاز .

على أن هذه المعانى العديدة وردت مجملة فى بطون القواميس العربية ، ومفصلة ، ولها شواهد ، وأحياناً غفلا من الشواهد ، استناداً إلى اشتقاق أو تصريف .

واستندت القواميس فى الشواهد على المأثور الفصيح ، وما وعته أمهات الكتب الأدبية ، وكتب التفسير والبلاغة وغيرها .

ومن الذين حرروا هذه المعانى المتعددة للفظ « العين » : الأزهرى فى تهذيبه ، والخليل فى العين ، وابن فارس فى مقاييسه ، واللسان ، والصحاح ، والمحكم ، والأساس ، والقاموس ، والسيوطى فى مزهره ، وصاحب التاج من جواهر القاموس .

فقد حكى السيوطى — مثلا — فى المزهر ، عن كتاب الأجناس للأصمعى ، والترقيص للأزدى ، وشرح الدريديه لابن خالويه ، وديوان الأدب للفارابى ، والمجمل لابن فارس ، والمحكم لابن سيده ، وتهذيب

الإصلاح للتبريزى ، والعين للخليل . . . حكى عنهم معانى العين[1] .

كما نقل ياقوت فى معجم الأدباء قصيدة لابن فارس فى معانى العين .

ومما ذكروه من معانيها التى أوصلها بعضهم إلى أكثر من مائة :

الجارحة الباصرة للإنسان وغيره ، وعين الماء والبئر ، والركبة ، والمزادة ، وثقب فيها ، وعين القبلة ، وسحاب ينشأ من ناحيتها ، ومطر لا يقلع ، والشمس أو شعاعها ، والذهب ، والمال الحاضر ، والدراهم والدنانير ، والربا ، وعين الشيء ، وحقيقته ، ونفسه وشاهده وخياره ، ورئيس الجيش ، وطليعته ، والرقيب ، والديدبان ، والحارس ، والجاسوس ، وأهل الدار والناحية ، والإخوة الأشقاء ، وبنو الحرائر والأعيان ، والوجهاء ، وخاصة الخواص ، والولى من الأولياء ، والجماعة من الناس .

والنقرة فى مقدم الركبة ، وميل الميزان ، وحرف من حروف الهجاء ، والإصابة بالعين (الحسد) ، وموضع بل مواضع بعينها ، ومعجم الخليل ، وطائر أصفر البطن ، والبقر العين ، والمعاينة[2] .

وزاد المزهر عن الخليل . أنها تطلق على سنام الإبل أيضاً .

والمعانى قد تقترب من بعضها ، كما نرى ، وقد تتباعد .

وفى « قيد الأوابد » للشيخ تاج الدين بن مكتوم ، ذكر تقسيما حسناً عن العين ونقله عن المزهر ، نلخصه فيما يلى :

(ا) العين : الناظرة ، أو غيرها . والناظرة : إما بوجه الاشتقاق أو بالتشبيه .

---

(١) راجع العين للخليل ، والمحكم المجلد السادس ١٧٩ — ١٨٤ . والمقاييس ٤/١٩٩ — ٢٠٤ ، واللسان ١٧/١٧٥ — ١٨٥ . وبصائر ذوى التمييز (عين) . معجم الأدباء لياقوت ٤/٩٠ . والمزهر للسيوطى ٣٧٢ — ٣٧٥ . والصحاح والقاموس (عين) . والأساس ٣١٩ . وشرح ديوان ابن أبى حصينة المعرى ١١٥ ، ١١٦ ، وتاج العروس ٩/٢٨٧ — ٢٩٣ . والمخصص ١٠/٣٣ فى العين والإضافة إليها .

(٢) المراجع السابقة .

والتى بالاشتقاق مأخوذة عن المصدر ، أو عن غيره ، ويرجع إليها في المصدر : معنى الحسد ، وضرب العين ، والمعاينة . وفى غير المصدر : أهل الدار ، والشيء أو المال الحاضر .

ويأتى من وجه التشبيه : الحر ، وواحد الأعيان ، وسيد القوم ، وخيار الشيء ، والجاسوس .

(ب) وما ليس من العين الناظرة ، يأتى منه . ذات الشيء ، وعين الماء وعين الشمس ، وعين الركبة ، وطائر معين ، ومطر لا يقلع أياماً ، والسحابة تأتى من ناحية القبلة ، وعين القبلة ، واعوجاج فى الميزان ، ودينار[١] .

* * *

وهذه بعض معانى العين :

١ ـ العين : الباصرة ، أى الجارحة .

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾[٢] .

وقال عز وجل : ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾[٣] .

وأنشد ابن برى : * بأعينات لَمْ يُخَالِطْهَا القَذَى *[٤] .

٢ ـ والعين : عين الماء وينبوعه[٥] والبئر ، وغيره :

قال تعالى : ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[٦] .

وقال سبحانه : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[٧] .

وقال السموأل :

بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا وَعَيْنًا كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ[٨]

---

(١) المزهر ١/٣٧٤ (٢) البلد : ٨
(٣) المائدة : ٤٥ (٤) التاج ٩/٢٨٧
(٥) الأساس (عـين) ، والمخصص ١٠/٣٣ ، ومجالس ثعلب ٢١٢ ، والمحكم ٦/١٧٩ — ١٨٤ (٦) البقرة : ٦٠
(٧) الرحمن : ٦٦ (٨) ديوان السموأل ٧٩

وقال أوس بن حجر فى بئر :

تَذَكَّرتُ عيناً مِنْ غمازة ماؤُها ... له حَبَبٌ تستَنُّ فيه الزَّخَارِفُ[(١)]

(عيناً : بئر معروف بين البصرة والبحرين . وزخارف : طرائقه) .

وقال ابن الأعرابى : ويقال : حفر حتى أعان وأعين ، أى حتى استخرج الماء[(٢)] .

٣ ـ والعين : المطر أو السحاب ، أو مطر لا يقلع أياماً ، أو مطر يأتى من ناحية القبلة : وعن ابن الأعرابى ، يقال : هذا مطر العين . ويقال أيضاً : مطرنا بالعين[(٣)] .

تقول العرب : مطرنا بالعين ، والعين مطر خمسة أو ستة أيام لا يقلع .

وقال صاحب اللسان : عان الماء إذا جرى ظاهراً .

قال الراعى :

وانآء حتّى تحتَ عَيْنٍ مَطِيرةٍ ... عِظَامُ الهيوتِ ينزلونَ الرَّوَابِيَا[(٣)]

(يعنى لا تخفى بيوتهم ، فيقصدها الأضياف) .

وحكى الأصمعى ـ كما فى المزهر ـ فى كتابه : « الأجناس » : ويقال : أصاب أرض بنى فلان (عين) .

وابن فارس يرى عين السحاب مشبهاً بمشبه ، لأنه شبه بعين الماء التى شبهت بعين الإنسان . وابن سيده يرى : عين القبلة : حقيقتها[(٤)] .

وفى الحديث : «إذا نشأت بحرية ، ثم تشاءمت ، فتلك عين غذيقة»[(٥)] .

---

(١) ديوانه ٦٩ ... (٢) البئر لابن الأعرابى ٥٦

(٣) اللسان (عين) ، والمحكم ٦/١٧٩ — ١٨٤ ، والنهاية ٣/٣٣٢ ، والتاج (عين) .

(٤) المقاييس ٤/٢٠٠ ، والمحكم والمحيط (عين) ، والمزهر ٣٧٢

(٥) تاج العروس ٩/٢٨٧ = ٢٩٣ ، والمرى فى شرح ديوان ابن أبى حصينة ١١٥

أى إذا نشأت السحابة . وقال الأصمعى : يقال : هذا مطر العين . ولا يقال : مطرنا بالعين .

وقال المعرى : « . . . والأجود أن يكون مأخوذاً من عين الشيء أى حقيقته ، أى أن أهله يتعاينون فيه وتقع عليهم العين . ويجوز أن يكون من عان الماء يعين إذا سال ، كأن المكان يسيل بهم . وأنشد للأخطل :

حَبَسُوا الْمَطِىَّ عَلَى قديم عهْدِهِ طامٍ بعينُ ومظلم مطموم[١]

(مطموم : مسدوم مدفون) .

٤ ـ والعين : حقيقة الشيء ، ونفسه ، وشاهده : قال ابن فارس وغيره : وعين الشيء نفسه : فى معنى العين : نفس الشيء ، يقول أبو ذؤيب الهذلى :

وَلَوْ أَنَّنِى استَوْدَعْتُهُ الشَمسَ لارتقتْ إليه المنَايَا عَيْنُهَا وَرَسُولُهَا[٢]

واستشهد به الأزهرى على أن العين هنا بمعنى الرقيب[٣] ، وذكره التاج .

وفى حديث الحجاج ، قال للحسن رضى الله عنه : « والله لعينك أكبر أمدك »[٣] ، يعنى شاهدك ومنظرك أكبر من سنك ، وأكثر فى أمد عمرك .

وجاء فى اللسان : والعين عند العرب حقيقة الشيء ، يقال . جاء بالأمر من عين صافية .

---

(١) السابق .

(٢) حماسة البحترى ٩٩ ، والفاخر ٤٤ ، والمقاييس (عين) ، والمحكم ٦/١٧٩ ـ ١٨٤ ، والتاج ٩/٢٨٧ ـ ٢٩٣ .

(٣) السابق .

٥ ـ والعين : الجاسوس ، والرقيب ، والحارس ، والمقدم :

وفى الحديث الشريف : « أنه بعث بسبسة عيناً يوم بدر »[١] . أى جاسوساً .

وفى حديث الحديبية : « كان الله قد قطع عيناً من المشركين »[٢] . أى كفى الله منهم من كان يترصدنا ويتجسس علينا أخبارنا .

وقال ذو الرمة فى (الرقيب) :

أَقُولُ لَهَا فِي السِّرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا　　إِذَا كُنْتُ مِمَّنْ عينُه العينُ خَالِيَا[٣]

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وَمَقَالُهَا : سِرْ لَيْلَةً مَعَنَا　　نَعْهَدْ فَإِنَّ الْبَيْنَ شَائِعُنَا

قلتُ : العيونُ كثيرةٌ معكمْ　　وأظنّ أنّ السَّيْرَ مَانِعُنَا[٤]

وقال عمرو بن حوى السكسكى الدمشقى :

دعوتُ حِفَاظًا باسْمِها طَرْفَ نَاظِرِى　　وكانَ لَهَا عَيْناً عَلَيَّ مُرَاقِبَا[٥]

وقال ابن قيس الرقيات :

إنّ عَهْدى بهم غَدَاةَ استقلُّوا　　مِنْ فِلِسْطِينَ والدموعُ غزار

واستحازَتْ على القناطرُ منْ حُو　　رانَ عــينُ نواعمٍ أَبْكَار

لم يُكَلِّمن خشيةَ العينِ ذَا اللُّــــبِّ وَغَطَّى الدُّمُوعْ مِنهَا الخِمار[٦]

وحكى المزهر عن الفارابى فى ديوان الأدب ، أنه ذكر من معانى العين: الديدبان[٧] .

---

(١) اللسان (عين) والتاج (عين) والنهاية ٣/٣٣١ .

(٢) السابق .　(٣) ديوانه ٦٥١　(٤) ديوانه ٢٤٤

(٥) الورقة لابن الجراح ٨٨　(٦) ديوانه ١١١

(٧) المقاييس (عين) ، والأساس (عين) ٣١٩ ، والمزهر ١/٣٧٣

٦ ـ والعين : الحسد ، والعائن : الحاسد ، والمعين المحسود :

ومنه الحديث . « العين حق ، وإذا استغسلتم فاغتسلوا » . يقال : أصابت فلاناً عين . إذا نظر إليه عدو أو حسود ، فأثرت فيه فمرض بسببها . وفى الحديث : « لا رقية إلا من عين أو حمة » .

ومنه الحديث : « كان يؤمر العائن فيتوضأ ، ثم يغتسل منه المعين » .

وقال ابن فارس : وعنت الرجل : أصبته بالعين ، فأنا أعينه عيناً ، وهو معيون .

وفى اللسان : المعيون من أصابته العين ، وأنشد للعباس بن مرداس :

قد كان قومك يحسبونك سيداً وأخال أنك سيد معيون[1]

٧ ـ والعين : الذهب ، والمال ، والنقد ، لا الدين :

جاء فى « المزهر » عن الأصمعى فى كتاب الأجناس : العين : النقد من الدراهم والدنانير ، ليس بعرض .

قالت الخنساء (فى عين الذهب الجيد) :

كَأَنَّما خَلَقَ الرحمنُ صُورَتَهُ دينارَ عينٍ يراهُ النَّاسُ مَنْقُودَا[2]

وقال ابن فارس : ويقال : هو عين غير دين ، فالعين : المال العتيد الحاضر ، أى حاضر تراه العيون . وشرط الأصمعى فى الأجناس ألا يكون عرضاً[3] .

وزاد صاحب اللسان : العين : المال العتيد الحاضر الناض ، ومن كلامهم . عين غير دين . واشتريت العبد بالدين أو بالعين[4] .

وفى معنى الدينار ألغز أبو المقدام فى قوله

---

(١) المقاييس (عين) ، واللسان ١٧/١٧٥ ـ ١٨٥

(٢) المزهر ١/٣٧٢ (٣) المقاييس (عين) ، والمزهر ١/٣٧٣

(٤) اللسان (عين) .

حَبَشِىٌّ لَهُ ثَمَانُونَ عَيْناً بَيْنَ عَيْنيهِ قَدْ يَسُوقُ افالا(١)

(أراد عبداً حبشياً ، له ثمانون ديناراً بين عيني رأسه) .

والعين : الذهب ، قال سيبويه : عليه مائة عيناً . زاد اللسان : والوجه الرفع(٢) . وذكر ابن سيده : أن العين والعينة : الربا(٢) .

وجاء فى المزهر عن المجمل : النض : الدرهم الصامت ، والناض من المتاع ما تحول ورقاً أو عيناً(٣) .

٨ ـ والعين : ما يشاهد ويحضر ويعاين :

جاء فى الحماسية رقم (٦٤٢) لامرأة ترثى زوجها بعد أن قتل :

أَجِيرانُ ابنُ مَيَّةَ خَبِّرُونِي أَعينٌ لابنِ مَيَّةَ أَم ضِمَارُ(٤)

(الضمار : الغائب الذى لست منه على ثقة) .

ومنه المثل : « لا أطلب أثراً بعد عين » والعين هنا : المعاينة .

وعن ثعلب : من فاته العين لم يستبعد الأثرا(٥) .

(أى من فاته عين شىء يقنع بتتبع أثراه) .

٩ ـ والعين : مثل الشىء :

قال عوف بن عطية بن الخرع التيمى :

فَإِنْ شِئْتُمُ أَلْقَحْتُمُ أَوْ نُتِجْتُمُ وَإِنْ شِئْتُمُ عَيْناً بِعَيْنٍ كَمَا هُمَا(٦)

(ألقحتما ونتجتما بالبناء للمجهول ، أى : أخذتم اللقاح وهى الإبل الحلوب . ونتجتما : أخذتم الإبل ذات النتاج . وعيناً بعين : أى مثلا بمثل . فاليد باليد ، والعين بالعين ، والنفس بالنفس) .

---

(١) المحكم ٦/١٧٩ ـ ١٨٤ (٢) المحكم ، واللسان ، (عين) ، والمزهر ١/٣٧٣

(٣) السابق . (٤) شرح الحماسة للمرزوقى ٣/١٥١٤

(٥) الفاخر للمفضل ٤٤ ، رسالة فى اعجاز الأبيات ١٧١ (ضمن مجموعة نوادر المخطوطات) ، وا مثال الميدانى ١/٨٥ (٦) الأصمعيات ١٦٧

١٠ – والعين : الشريف ، والعيون : الأشراف :

فقد أوصى حصن بن حذيفة الفزارى بنيه ، فقال

(. . واغزوا الكثير بالكثير ، . . . ولا تغزوا إلا بالعيون) . قال السجستانى : يعنى : لأشراف[١] .

وقال بدر بن عامر فى منافرته مع أبى العيال :

بِكلاَمِ خَصْمٍ أَوْ جِدَالِ مُجَادِلٍ غَلِقٍ يُعالج أَو قوافٍ عِيْنِ

(الغلق : شديد الخصومة والجدال . والعين : المشهورة المختارة . وقال السكرى : سألت الأصمعى عن عين ؟ فقال : لا أذكره . وقال أبو نصر : مختارة . وقواف عين أى مختارة كل بيت منها نادر . وقال أبو عمرو : عين : ظاهرة ينظر إليها)[٢] .

وقال ابن خالويه فى شرح الدريدية : تنقسم العين إلى ثلاثين قسما ، وذكر منها : العين : خيار كل شىء ، ولم يذكر الباقى[٣] .

وحكى صاحب المزهر عن الخليل أنها تطلق أيضاً على سنام الإبل ، وأنشد الخليل :

أَلا رُبَّ عَيْنٍ قدْ ذَبَحْتُ لِطَارِقٍ فَأَطْعَمْتُهُ مِن عَيْنِهِ وأَطَايِبِهْ[٤]

جاء فى اللسان : وعين كل شىء خياره ، وأنشد للراجز :

فاعتانَ منها عَيْنَةً فاخْتارهَا حتّى اشترى بِعَيْنِهِ خِيَارَهَا[٥]

١١ – والعين : شعاع الشمس ، أو الشمس نفسها :

جاء فى المحكم : وعين الشمس شعاعها الذى لا تثبت عليه العين ،

---

(١) المعمرون والوصايا ١٣٢

(٢) شرح أشعار الهذليين ١/٤١٩

(٣) المزهر ٣٧٣

(٤) السابق .

(٥) اللسان ١٧/١٧٥

وقيل : العين : الشمس نفسها . وحكى اللحيانى : يقال : طلعت العين وغابت العين[١] .

١٢ - وعمد عين : إذا تعمده بجد ويقين :

قال امرؤ القيس :

أَبلِغَا عَنِّى الشُّوَيعِرَ أَنَّنِى ... عَمْدُ عَيْنٍ قَلَّدْتُهُنَّ حَرِيمَا[٢]

وقال خفاف بن ندبة السلمى :

فإنْ تَكُ خَيْلِى قدْ أُصِيبَتْ صَمِيمُهَا ... فعَمْداً عَلَى عَيْنٍ تَيَمَّمْتُ مَالِكاً[٣]

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وَخِلٍّ كنتُ عينَ النُّصْحِ منهُ ... إذَا نَظَرَتْ ومستمعاً مطيعا[٤]

١٣ - وعين : مكان معين :

قال سعد بن جؤية الهذلى (فى علم ببلاد هذيل) :

فالسِّدْرُ مُختلجٌ وغُودِرَ طَافِياً ... مَابينَ عَيْنٍ إلى نَباتَى الأَثْاب[٥]

وقال الأعشى الكبير ، يعير بنى عيدان بفرارهم يوم موقعة عين التمر :

(وهو يوم فطيمة التى حلقت لضرتها شعرها فاقتتل أهلهما) .

ثُمَّ بِالْعَيْنِ غرَّةٌ تكْسِفُ الشَّمْ ... سَ وَيَوْماً ماينجلَى إظلاَمَا[٦]

وقال بدر بن عامر الهذلى (فى موضع بنجد) :

أَسَدٌ تفِرُّ الأُسْدُ مِنْ عُرَوَائِهِ ... بِعَوَارِضِ الرُّجَّازِ أَوْ بِعُيُونِ[٧]

---

(١) المحكم والمحيط الاعظم ٦/١٧٩ - ١٨٤ ، والاساس ٣١٩ ، واللسان (عين)

(٢) اللسان (عين) ، وتاج العروس (عين)

(٣) السابق

(٤) ديوانه ١٨٩

(٥) اللسان : (عين) ، والمحكم ٦/١٧٩ — ١٨٤

(٦) ديوانه ٢٤٧

(٧) التاج (عين)

ويقول ذو الرمة :

والهمُّ عَيْنُ أثالٍ مَا يُنازِعهُ ... مِن نفسِهِ بِسواهَا مورداً أربُ[1]

(وأثال : موضع فى عين . يقول : ليس لهذا الفحل هم غير عين أثال) .

وذكر ياقوت عدة أماكن كل منها تسمى (عيناً)[2] .

١٤ ـ والعين : أهل الحى ، أو أهل الناحية ، أو أهل الدار :

قال الراجز يصف امرأة بالشره :

* تَشْرَبُ مَا فِى وَطْبِهَا قَبلَ الْعَيْنْ[3] *

١٥ ـ والعين : واحد الأعيان ، للإخوة من أب وأم ، أو من أولاد الحرائر :

وفى الحديث الشريف :

« إنَّ أعيَانَ بنى الأُمِّ يَتَوارَثُونَ دُونَ الإخوة لأب »[4] .

١٦ ـ والعين : خاصة من الخواص ، وولى من الأولياء :

نظر رجل فى الطواف إلى حرم المسلمين ، فلطمه على ـ رضى الله عنه ، وكرم الله وجهه ـ فاستعدى عليه عمر رضى الله عنه : فقال : « ضربك بحق أصابته عين من عيون الله ، عز وجل »[5] .

وقال النابغة الذبيانى فى حكاية الحية والفأس :

فَلمَّا وَقَاهَا اللهُ ضَرْبَةَ فَأْسِهِ ... وَلِلبِرِّ عَيْنٌ لا تُغَمِّض نَاظِرَهْ[6]

---

(١) ديوانه ١٣ (٢) المشترك وضعا والمختلف صقعا لياقوت ٣١٩

(٣) شرح ديوان ابن أبى حصينة للمعرى ١١٥

(٤) (عين) فى التاج واللسان .

(٥) النهاية لابن الاثير ٣/٣٣٢ ، واللسان (عين) .

(٦) ديوانه ٢٦١

١٧ ـ والعين : الثقب فى المزادة ، القديمة أو الجديدة :

قال الخليل : يقال للسقاء إذا بلى ورق موضع منه : قد تعين . قال ابن فارس : وهذا أيضاً من العين ؛ لأنه إذا رق قرب من التخرق ، فصار السقاء كأنه ينظر به[1] .

وأنشد ثعلب قول الراجز ، (فى قربة تثقبت فى جيد فتاة) :

* بِذَاتِ لَوْثٍ عَيْنُهَا فِي جِيدِهَا[1] *

وقال الزمخشرى : عين قربتك : صب فيها ماء حتى تنسد عيون الخرز.

وتعين السقاء : بلى ورقت منه مواضع ، واستشهد بقول القطامى :

ولـكنَّ الأديمَ إذا تفرَّى بلَىً وتَعَيُّنًا غلب الصَّناعا[2]

وذكر الزمخشرى : أنه من الحقيقة لا المجاز .

قال ابن فارس : والعين : الجديد ، بلغة طىء ، وأنشد قول الطرماح :

فَاخْضَلَّ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ وَعَيْنٍ وَجفَّ الرَّوَايَا بِالْمَلاَ الْمُتَبَاطِنِ

(المتباطن . المطامن) .

ويقول ابن فارس . وهذا عندنا خطأ ، لأن البالى ما بلى ، والعين ما به عيون ، وقد تـكون الجديدة ذات عيون[3].

١٨ ـ والعين : الجماعة .

قال جندل بن المثنى :

إذا رَآنِى وَاحِداً أَوْ فى عَـيْنٍ يَعْرِفُنِى أَطْرَقَ إِطْرَاقَ الطِّحْن

ونـكتفى بهذا القدر فى معانى العين ، والتى أوصل بعضهم معانيها إلى أكثر من مائة معنى .

* * *

(١) المقاييس ٤/٢٠٤ (٢) الاساس ٣١٩ (عين)

(٣) المقاييس ٤/١٩٩ — ٢٠٤ ، وأضداد أبى الطيب ٢/٤٩٩ .

● **قصيدة ابن فارس فى العين** :

وهذه قصيدة فى بعض معانى العين وجدت على وجه « المحمل » قيل : بخط ابن فارس ، وشرح معانيها : ياقوت الحموى فى « معجم الأدباء » :

والقصيدة مروية بالسند الطويل ، يقول فيها ابن فارس[1] :

١ ـ يادارَ سُعْدَى بذاتِ الضَّالِ مِنْ أَضَمِ
سَـقَاكِ صَوْبَ حَيـاً مِنْ واكِفِ الْعَيْنِ

العين ها هنا سحاب ينشأ من ناحية القبلة .

٢ ـ إنّى لأذْكُرُ أيّاماً بِهَا وَلَنَا   فى كُلِّ إصْبَاحِ يَوْمٍ قُرَّةَ العين

العين ها هنا . عين الإنسان وغيره .

٣ ـ تُدْنِى معشقةً مِنَّا مُعَتَّقَةَ   تَشُجُّهَا عـذبةً مِنْ نَابِـعِ العين

والعين ها هنا : ما ينبع منه الماء .

٤ ـ إذَا تمَزَّزَهَا شَيْخٌ به طَرَقٌ   سَرَتْ بِقُوتِهَا فى السَّاقِ والعين

الطرق : ضعف الركبتين . والعين ها هنا : عين الركبة .

٥ ـ وَالزِّقُّ ملآنَ مِنْ مَاءِ السُّرورِ فَلاَ   تَخْشَى تَوَلُّهَ مَافِيهِ مِنَ العين

توله الماء : تسربه . والعين ها هنا : ثقب يكون فى المزادة .

٦ ـ وَغَابَ عُذَّالُنَا عَنَّا فَلاَ كَدَرٌ   فِى عَيْشِنَا مِنْ رَقِيبِ السُّوءِ والعين

العين ها هنا : الرقيب .

٧ ـ يُقَسِّمُ الوُدَّ فِيماَ بيننَا قَسَماَ   مِيزَانُ صِدْقٍ بِلاَ بَخْسٍ ولا عين

العين ها هنا : عين الميزان .

٨ ـ وَنَاضُّ المالِ يُغْنِينَا بِحَاضِرِه   فَنَكْتَفِى مِنْ ثَقِيلِ الدَّينِ بِالْعَيْنِ

العين ها هنا : المال الناض : (الدراهم والدنانير) .

(١) معجم الأدباء لياقوت ٤/٩٠ــ٩٢ .

(والمُجْمَلُ) المُجْتَبَى تُغْنِي فوائدُهُ   حِفَاظُهُ عَنْ كِتَابِ الجِيمِ والْعَيْنِ

(المجمل : معجم ابن فارس . والجيم : معجم الشيبانى . والعين : معجم الخليل) .

* * *

• **مرويات السيوطى عن العين :**

روى السيوطى عن ابن خالويه : أن العين تنقسم عنده ثلاثين قسماً[1] ، وذكر منها :

خيار كل شيء ـ ونقل عن الفارابى ـ فى ديوان الأدب ـ ما يؤكد أنها من المشترك ، ونقل عن التبريزى فى تهذيب الإصلاح بعض المعانى ، وزاد : عين القوس التى يقع فيها البندق .

ورجع السيوطى إلى تذكرته فوجد العين تطلق على أشياء كثيرة ، وأن بعض المتأخرين قسمها تقسيماً حسناً :

ويمكن تلخيص هذا التقسيم إلى :

أن العين إما أن تكون الناظرة ، أو التى ليست ناظرة .

والناظرة إما أن تكون بوجه الاشتقاق ، أو بوجه التشبيه .

وما كانت بوجه الاشتقاق إما مصدر أو غير مصدر ، وكلاهما تحته معان.

— وأما العين التى ليست ناظرة فتحتها معان تدل على أشياء .

وجاء فى آخر كلام السيوطى ما يلى :

حرر ذلك الشيخ تاج الدين بن مكتوم فى « قيد الأوابد » ، ونقل عن الخليل معنى آخر زائد هو : أنها تطلق على سنام الإبل ، وأنشد قول معن ابن زائدة :

أَلاَ رُبَّ عَيْنٍ قَدْ ذَبَحْتُ لِطَارِقٍ   فَأَطْعَمْتُهُ مِنْ عَيْنِهِ وَأَطَايِبِهْ

(١) المزهر للسيوطى ١/٣٧٣ ـ ٣٧٥ .

هذا ، ويمكن رسم جدول لتذكرة العلامة السيوطي كما يلي :

(العين) منها ما يرجع إلى :

- وما ليس كذلك
  - ذات الشيء
  - عين الماء
  - عين الشمس
  - عين الركبة
  - طائر
  - مطر لا يقلع أياما
  - السحابة تأتي من ناحية القبلة
  - عين القبلة
  - اعوجاج في الميزان
  - دينـــار
- العين الناظرة
  - بوجه التشبيه
    - الحر
    - واحد الأعيان (إخوة أشقاء)
    - سيدهم
    - ربيئة وجاسوس
    - خيار كل شيء
    - جاسوس
  - بوجه الاشتقاق
    - غير مصدر
      - الشيء الحاضر
      - المال الحاضر
      - أهل الدار
    - مصدر
      - المعاينة
      - أصابه الدهر في عينه
      - إصابة بالعين

● **ولفظ العجوز من المشترك :**

فقد عد الأئمة والأدباء لفظ (العجوز) من معانى العجوز معانى كثيرة ـ منها الحقيقة والمجاز ـ أوصلها بعضهم إلى سبع وسبعين .

وقال الفيروزآبادى فى « البصائر » أنه عدّ لها ما ينيف على الثمانين .

وقيد منها صاحب تاج العروس(١) ، القصيدة التالية للشيخ يوسف ابن عمران الحلبى ، يمدح قاضياً ، (وفى بعض تراكيبها تكلف) وهى :

لَحَاظٌ دُونَهَا غولُ الْعَجُوزِ وشَكَّتْ ضعفَ أضْعَافَ الْعَجُوزِ

الأولى : المنية . والثانية : الابرة .

لَحَاظُ رَشَالَهَا أَشْرَاكُ جَفْنٍ فَكَمْ قَنَصَتْ مِثَالى مِنْ عَجُوزِ : الأسد

وَكَمْ أَصْمَتْ وَلَمْ تُعْرِفْ مُحِبًّا كَمَا الكُسَعِى فى رَمْىِ الْعَجُوزِ

حمار الوحش

وَكَمْ فَتَكَتْ بِقَلْبِى نَاظِرَاهُ كَمَا فَتَكَتْ بِشَاةٍ مِنْ عَجُوزِ : الذئب

وَكَمْ أَطْفَى الماء العذْبُ قَلْبًا أَضَرَّ بِهِ اللَّهِيبُ مِنَ الْعَجُوزِ : الخمر

وَكَمْ خَبَلَ شَفَاهُ اللهُ مِنْهُ كَذَا جِلْدُ العجوزِ شِفَا العَجُوزِ

الأول : الضبع . والثانى : الكلب .

إِذَا مَازَارَ نَمَّ عَلَيْهِ عَرْفٌ وَقَدْ تَحْلُو الحبَائِبُ الْعَجُوزِ : المبيمة

رَشَفْتُ مِنَ المَرَاشِفِ مِنْهُ ظُلْمًا أَلَذُّ جَنًى وَأَحْلَى مِنْ عَجُوزِ : جيد التمر

وجدتُ الثَّغْرَ عِنْدَ الصبحِ مِنْهُ شَذَاهُ دُونَهُ نَشْرُ العَجُوزِ : المسك

أَجَرَّ ذُيُولَ كِبْرَانٍ سَقَانِى بِرَاحَتِهِ الْعَجُوزَ عَلَى العَجُوزِ

الأول : الخمر . والثانى : الملك .

(١) راجع تاج العروس ٤/٤٩ ـ ٥٣ ، وشرح مقامات الحريرى ٤/١٥٧

وَكَمْ أَرْوَى عُفَاةً مِنْ نَدَاهُ   وَأَشْبَعَ مِنْ شِكَا فَرْطِ الْعَجُوزِ : الجوع
إِذَا مَا لاَطَمَتْ أَمْوَاجُ بَحْرٍ   فَلَمْ تَرْوِ الظُّمَاةَ مِنَ الْعَجُوزِ : الركية
أَهَالِي كُلُّ مِصْرٍ عَنْهُ تُثْنِي   كَذَا كُلُّ الْأَهَالِي مِنْ عَجُوزٍ : القرية
مَدَى الْأَيَّامِ مُبْتَسِماً تَرَاهُ   وَقَدْ يَهَبُ العجوزَ مِنَ الْعَجُوزِ

الأول : الألف   والثانى : البقر .

تَرَدَّى بِالتُّقَى طِفْلاً وَكَهْلاً   وَشَيْخاً مِنْ هَوَاهُ فِي الْعَجُوزِ : الآخرة
وَطَابَ ثَنَاؤُهُ أَصْلاً وَفَرْعاً   كَمَا قَدْ طَابَ عَرْفٌ مِنْ عَجُوزٍ : المسك
إِذَا ضَلَّتْ أُنَاسٌ مِنْ هُدَاهَا   فَيُهْدِيهَا إِلَى أَهْدَى الْعَجُوزِ : الطريق
وَيَقْظَانُ الْفُؤَادِ تَرَاهُ دَهْراً   إِذَا أَخَذَ السَّوِى فَرْطَ الْعَجُوزِ : السنة
وَأَعْظَمُ مَاجِدٍ لُوِيَتْ عَلَيْهِ الْ   خَنَاصِرُ بِالْفَضَائِلِ فِي الْعَجُوزِ : الشمس
أَيَا مَوْلًى سَمَا فِي الْفَضْلِ حَتَّى   تَمَنَّتْ مِثْلَهُ شُهُبُ العجوز : السماء
إِذَا طَاشَتْ حلومُ ذَوِي عقولٍ   فَحِلْمُكَ دونَهُ طَوْدُ العجوز : الأرض
فَكَمْ قَدْ جَاءَ مُمْتَحِنٌ إِلَيْكُمْ   فَأَرْغَمَ مِنْهُ مُرْتَفِعَ العجوز : الأنف
إِلَى كَرَمٍ فَإِنْ سَابَقْتَ قَوْماً   سَبَقْتَهُمُ عَلَى أَجْرَى عَجُوزٍ : الفرس
وَفَضْلُكَ لَيْسَ يُحْصِيهِ مَدِيحٌ   كَمَا لَمْ يُحْصَ أَعْدَادُ الْعَجُوزِ : الرمل
مَكَانَتُكُمْ على هَامِ الثُّرَيَّا   وَمَنْ يَقْلاكَ رَاهَنَ بِالْعَجُوزِ : الصومعة
رَكِبْتَ إِلَى الْمَعَالِي طِرْفَ عَزْمٍ   حَمَاهُ اللهُ مِنْ شَيْنِ الْعَجُوزِ : العرج
رَمَى عَنْ قَوْسِ حَاجِبِهِ فُؤَادِي   بِنَبْلٍ دُونَهَا نَبْلُ الْعَجُوزِ : الكنانة
أَيَا ظَبْياً لَهُ الْأَحْشَا كُنَاسٌ   وَمَرْعًى، لاالنَّضِيرُ مِنَ الْعَجُوزِ : النبات
تُعَذِّبُنِي بِأَنْوَاعِ التَّجَافِي   وَمِثْلِي لاَ يُجَازَى بِالْعَجُوزِ : المعاقبة

فَقُرْبُكَ دُونَ وَصْلِكَ لِى مُضِرٌ   كَذَا أَكْلُ الْعَجُوزِ بِلاَعَجُوزِ

الأول : النبت . والثانى : السمن .

وَهَيْفَا مِنْ نَبَاتِ الرّومِ وَرْد   بِعَرْفٍ وِصَالِهَا مَحْضُ الْعَجُوزِ : العافية

تَضُرُّ بِهَا الْمَنَاطِقُ إِنْ تَثَنَّتْ   وَيُوهِى جِسْمَهَا مَسُّ الْعَجُوزِ : الثوب

عُتُوًّا فِي الْهَوَى قَذَفَتْ فُؤَادِى   فَمَنْ شَامَ الْعَجُوزَ مِنَ الْعَجُوزِ

الأول : النار . والثانى : السنور .

وَتُصْبِى الْقَلْبَ إِنْ طُرِفَتْ بِطَرْفٍ   بِلاَ وَتْرٍ وَسَهْمٍ مِنْ عَجُوز : القوس

كَأَنَّ الشُّهْبَ فِي الزَّرْقَا دلاص   وبدرَ سَمَائِهَا نَفْسُ الْعجُوز : الترس

وشمسُ الأُفْقِ طَلْعَةُ مَنْ أَرانَا   عَطَاءَ الْبَحْرِ مِنْهُ فِي الْعَجُوزِ : الكف

تَرَدُّ يَسَارَهُ سُحْبُ الْغَوَادِى   وَفَيْضُ يَمِينِهِ فَيْضُ الْعَجُوزِ : البحر

أَجَلُّ قُضَاةِ أَهْلِ الأَرْضِ فَضْلاً   وَأَقْلاَهُمْ إِلَى حُبِّ الْعَجُوزِ : الدنيا

كَمَالَ الدِّينِ لَيْثٌ فِي اقْتِنَاصِ الْـ   ـمحا والسَّوِى دونَ الْعَجُوز : الثعلب

إِذَا ضَنَّ الْغَمَامُ عَلَى عُفَاةٍ   سَقَاهُمْ كَفُّهُ مَحْضَ الْعَجُوزِ : الذهب

وَكَمْ وَضَعَ الْعَجُوزُ عَلَى عَجُوزٍ   وَكَمْ هَيَّا عَجُوزاً فِى عَجُوزِ

الأول : القدر . والثانى : ما توضع عليه القدر . والثالث : الناقة . والرابع : الصفحة .

بِرُوحِى مَنْ أُتَاجِرُ فِى هَوَاهُ   فَأُدْعَى بَيْنَ قَوْمِى بِالْعَجُوزِ : التاجر

مُقِيمٌ لم أَصِلْ فى الحَىِّ عَنْهُ   إِذَا غَيَّرَ دَعْوَهُ بِالْعَجُوزِ : المسافر

جَرَى حُبِّيهِ مَجْرَى الرُّوحِ مِنِّى   كَجَرْىِ الْمَاءِ فِى رُطَبِ الْعَجُوزِ : النخلة

وَأَخْرَسَ حُبُّهُ مِنِّى لِسَانِى   وَقَدْ أَلْقَى الْمَفَاصِلَ فِى الْعَجُوزِ : الرعشة

وصَيَّرَنِى الهَوَى مِنْ فَرْطِ سُقْمِى   شَبِيهَ السِّلْكِ فِى سَمِّ الْعَجُوزِ : الإبرة

عَذُولِى لاَ تَلُمْنِى فِى هَوَاهُ   فَلَسْتُ بِسَامِعٍ نَبْحَ الْعَجُوزِ : الكلب

تَرُومُ سَلْوَةً مِنِّى بِجَهْدٍ سُلُوِّى دُونَهُ شَيْبُ العَجُوزِ : الغراب
كَلامُكَ بَارِدٌ مِنْ غَيْرِ مَعْنىً يُحَاكِى بَرْدَ أَيَّامَ الْعجُوزِ : الأيام السبعة
يَطُوفُ الْقَلْبُ حَوْلَ ضِيَاهُ حُبًّا كَمَا قَدْ طَافَ حَجٌّ بِالْعجُوزِ :
الكعبة المشرفة
لَهُ مِنْ فَوْقِ رُمْحِ الْقَدِّ صَدْغٌ نَضِيرٌ مِثْلُ خَافِقَةِ الْعَجُوزِ : الراية
وَخَصْرٍ لَمْ يزَلْ يُدْعَى سَقِيماً وَعَنْ حَمْلِ الرَّوَادِفِ بِالعَجُوزِ :
مبالغة فى العاجز
بِلَحْظِى قَدْ وَزَنْتُ البُوصَ مِنْه كَمَا الْبَيْضَاءُ تُوزَنُ بِالْعَجُوزِ : الصنجة
كَأَن عِذَارَهُ وَالْخَدُّ مِنْهُ عَجُوزٌ قد تَوَارَتْ مِنْ عَجُوزِ

الأول : الشمس . والثانى : دارتها .

فَهَذَا جَنَّتِى لاشَكَّ فِيهِ وَهَذَا نَارُهُ نَارُ الْعَجُوزِ : جهنم
تراهُ فَوْقَ وَرْدِ الْخَدِّ مِنْهُ عَجُوزاً قَدْ حَكَى شَكْلَ العجوز

الأول : المسك . والثانى : العقرب .

عَلَى كُلٌّ القُلُوبِ لَهُ عَجُوزٌ كَذَا الأَحْبَابُ تَجلُو بِالعجُوزِ : التحكم
دُمُوعِى فى هَوَاهُ كَنِيلِ مِصر وَأَنْفَاسِى كَأَنفَاسِ الْعَجُوزِ : النار
يَهُزُّ مِنَ القَوَامِ اللَّدْنِ رُمحاً وَمِنْ جفْنَيْهِ يسْطُو بالعجوز: السيف
وَيَكْسِرُ جَفْنَهُ إنْ رَامَ حَرْباً كَذَاكَ السَّهْمُ يَفْعلُ فى الْعَجُوزِ: الحرب

* * *

• ولفظ (العفو) من المشترك :

ويعد لفظ العفو من المشترك ، ومن الأضداد أيضاً ، قال بعضهم : أصل العفو ومعناه : الترك ، وعليه تدور معانيه ، فيفسر فى كل مقام بما يناسبه ، من ترك عقاب ، وعدم إلزام ، وترك تأنيب . . .

وقال آخرون : أصل العفو : التناول للشيء ، وعليه تدور معانيه .

وله فى اللغة معان كثيرة ، منها : السماح ، والعفو ، والترك ، والتجاوز .

ومنها المحو والطمس ، والذهاب والاندثار .

ومنها الطول والوفرة والكثرة .

ومنها الفضل واليسر والسهل والباقى .

ومنها أحل المال وأطيبه ، والإعطاء والأخذ .

ومنها المعروف وما كان بغير مسألة وما لا تعب فيه ، والعفو الجحش(١) .

١ - فالعفو : التجاوز ، والترك ، والمسامحة والمحو ، والدرس .

قال تعالى : ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾(٣) .

وحديث أبى بكر رضى الله عنه : « سلوا الله العفو والعافية والمعافاة »(٤).

(العفو : محو الذنب . والعافية : السلامة من البلايا . والمعافاة : الإغناء عن الناس وإغناء الناس عنه) .

والعفو والمعافاة والمسامحة ، مفاعلة ، ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم: « تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغنى من حد فقد وجب »(٥) .

وقال ابن الأثير : العفو . التجاوز عن الذنب ، وأصله المحو والطمس .

وفى حديث أم سلمة رضى الله عنها . « لا تُعف سبيلا ، كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لَحَبَهَا »(٦) . أى لا تطمس طريقاً وضحها الرسول .

---

(١) راجع (ع ف و) فى : الأساس ، والمحكم ، واللسان ، والتهذيب ، والصحاح ، والقاموس ، والتاج ، ومجالس ثعلب ١/٨٧ .

(٢) البقرة : ١٨٧ (٣) المائدة : ٩٥

(٤) النهاية ٣/٢٦٥ (٥) السياسة الشرعية ٦٨ .

(٦) النهاية : ٣/٢٦٥

وجاء فى الحماسية (٧٨٧) لكثير عزة :

فَعفواً أَميرَ المؤمنِينَ وَحِسْبَةً فَمَا تَحْتَسِبْ مِن صَالحٍ لَكَ يُكتَب[١]

وفى الحديث الشريف « أول الوقت رضوان الله ، وآخره عفو الله ».

قال الإمام الشافعى - رضى الله عنه : « والعفو لا يحتمل إلا معنيين : عفو عن تقصير ، أو توسعة . والتوسعة تشبه أن يكون الفضل فى غيرها ، إذ لم يؤمر بترك ذلك الغير الذى وسع فى خلافها »[٢] .

وقال زهير :

عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الجِوَاء فَيُمْن فالعَوَادِمُ فالحِسَاء[٣]

(عفا . درس . والجواء وما عطف عليه : مواضع) .

وحكى الزمخشرى : وعليهم العفاء ، وعفى - بالتشديد - عليهم الخبال : أى هلكوا . والله عفو عن عباده[٤] .

٢ - والعفو : ما كثر ، ووفر ، وطال .

يقال : « عفا القوم : كثروا . وعفا شعر البعير : إذا كثر وطال ، فغطى دبره . ويستعمل ثلاثياً ورباعياً ، وأعفى اللحية : وفرها حتى كثرت وطالت ، وأرض عافية : لم يرع نبتها فوفر وكثر . ومنه الحديث : « أحفوا الشوارب ، واعفوا اللحى »[٥] .

وقال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا ﴾[٦] . (حتى عفوا : حتى كثروا)[٧] .

---

(١) شرح المرزوقى للحماسة ٤/١٧٥٨ (٢) الرسالة للامام الشافعى ١٢٩
(٣) ديوانه ٣٠٥ ، والأساس ٣٠٨ (٤) السابق
(٥) تاج العروس ١٠/٢٤٧ (٦) الأعراف : ٩٥
(٧) الكامل للمبرد ٢/١٢٩ ، والأساس ٣٠٨

وقال الأخطل :

قَبِيلَةٌ كَشِرَاكِ النَّعْلِ دَارِجَةٌ إنْ يَهْبِطُوا الْعَفْوَ لَمْ يُوجَدْ لَهُمْ أَثَرُ(١)

(العفو : بلاد غفل لم توطأ وليس بها آثار) .

وفى الحديث : « إذا عَفَا الوبر ، ودبر الدبر ، حلّت الْعُمْرَةُ لِمَنِ اعْتَمَرْ » .

قال الزمخشرى : عفا : كثر : ومنه قوله تعالى . ﴿ حَتَّى عَفَواْ ﴾(٢) .

وقال قطرب . وعفت وفرة الرجل : كثرة ، وعفوا يعفون عفوا : كثروا(٣) .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى ، أى توفر . وفى رواية : أمر بإعفاء اللحى(٤) .

٣ ـ والعفو : ما فضل وبقى ، وتيسر ، وأخذ بلا كلفة ولا مزاحمة .

جاء فى الصحاح : عفو المال : ما يفضل عن النفقة ، يقال : أعطيته عفو المال ، أى بغير مسألة(٥) . وأنشد قول الشاعر (قيل هو شريح القاضى ، أو عامر بن عمرو بن البكاء ، أو أسماء بن خارجة)(٦) :

خُذِى الْعَفْوَ مِنِّى تَسْتَدِيمِى مَوَدَّتِى وَلَا تَنْطِقِى فِى سَوْرَتِى حِينَ أَغْضَبُ(٧)

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ قُلِ : الْعَفْوَ ﴾(٨) .

---

(١) التاج ١٠/٢٤٧

(٢) الفائق للزمخشرى ٨/١٧٠ ـ والآية من سورة الأعراف : ٩٥

(٣) الأضداد لقطرب ١١٨

(٤) النهاية ٣/١١ ، وأضداد ابن الأنبارى ٨٧

(٥) راجع (عفو) فى الصحاح ، والقاموس ، والتاج .

(٦) الوحشيات ١٨٥ ، وحماسة ابن الشجرى ٩٤

(٧) الكامل المبرد ٤/٦ ، والتاج ١٠/٢٤٧ ، والأساس ٣٠٨

(٨) البقرة : ٢١٩

قال المبرد : معناه : ما فضل : أى اقبـــل الميسور من أخلاقهم ، ولا تستقصى عليهم فيستقصوا عليك ، فتتولد العداوة والبغضاء . ويقول الزمخشرى : أى ما فضل من قوتك وقوت عيالك .

٤ ـ والعفو : أحل المال وأطيبه . وفى المحـكم : أجمل المال وأطيبه .

ومنه حديث الزبير : أنه قال للنابغة : « أما صفو أموالنا فلآل الزبير . وأما عفوه فإن تيما وأسداً تشغله عنك » . قال الحربى : العفو : أجل المال وأطيبه .

وقال الجوهرى : عفو المال : ما يفضل عن النفقة . قال ابن الأثير : وكلاهما جائز فى اللغة ، والثانى (ما يفضل عن النفقة) أشبه بهذا الحديث .

وقال الزمخشرى : هذا من عفو مالى : أى من حلاله وطيبه[1] .

٥ ـ والعفو : الترك وعدم الإلزام بالخراج أو العشر ونحو ذلك . وهذا قريب من معنى السماح والتجاوز .

سئل ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، فى أموال أهل الذمة فقال : « العفو » : أى عفى لهم عن الخراج والعشر ، لما ضرب عليهم من الجزية .

٦ ـ والعفو : الجحش .

وفى الأثر : « ترك أبو ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أتانين وعفواً » .

وسمى الجحش عفواً ، لأنه عفى من الركوب والأحمال .

وفيه خمس لغات : عفو بتثليث العين، وعفا بفتح العين وكسرها[2] .

وحكى الجوهرى فيه مثل ذلك ، وروى ما أنشده المفضل من قول حنظلة بن شرقى :

---

(١) الصحاح ، والمحـكم (عفو) ، ومجالس ثعلب ٢/٥٨٢ ، والاساس ٣٠٨

(٢) الفائق للزمخشرى ٢/١٧٠

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سُكُنَاتِهِ وَطَعْنٍ كَتَشْهَاقِ الْعَفَا هَمَّ بِالنَّهَقِ (١)

بالفتح والكسر لعين العفا .

٧ ـ والعفو : النشاط والجرى .

قال امرؤ الْقَيْسِ (فى النشاط) يصف فرسه :

عَلَى رَبِذٍ يَزْدَادُ عَفْواً إِذَا جَرَى مِسَحٍّ حَثِيثِ الرَّكْضِ والذَّأْلاَنِ (٢)

(الربذ : واسع الخطو . والذألان : الجرى الخفيف) .

وقول امرىء القيس أيضاً :

وَنَعْفُوا كَمَا تَعْفُوا الْجِيَادُ عَلَى الْـ ـعَلاَّتِ وَالْمَخْذُولُ لَا نَذَرْهُ (٣)

(نعفوا : نعطى من غير سؤال . وتعفوا الجياد : تسرع . والعلات جمع علة ، وهى الفقر ، لا نذره : أى لا نتركه) .

وقال القعقاع بن ربعية القشيرى :

خَذَلْتُمَانِى فَبِئْسَ الْعَفْوُ عَفْوُكُمَا والعقْبُ مِثْلُ فَهَذا مِنكُمُ غَبَرِ (٤)

(العفو : الجرى الأول . والعقب : الثانى . وغبر : داهية عظيمة)(٥) .

٨ ـ وعفا : من الأضداد ، ومصدره العفو .

قال الزبيدى : قال شيخنا : ومن الأكيد معرفة أن عفا من الأضداد . يقال : عفا الشىء إذا نقص ودرس ، وعفا إذا زاد .

وأنشدوا (للعفاء والدرس) قول زهير :

تَحَمَّلَ أَهْلُهَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَاذَهَبَ الْعَفَاءُ (٦)

---

(١) الصحاح ، والتاج ، والقاموس (عفو) .

(٢) ديوانه ٥٥

(٣) السابق ١٨٩

(٤) الوحشيات ٢٠٧

(٥) المخصص (نعوت الخيل) ٦/١٧١

(٦) ديوانه ٣٠٥ ، وأضداد ابن الأنبارى ٨٦

وأنشد قطرب قول امرىء القيس :

فَتُوضِحُ فالمقراةُ لم يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَل (١)

وقال : قال أبو عبيدة : لم يبق رسمها ، وقال الأصمعى : لم يعف رسمها ، لم يدرس كله من قوله : قد عفا شعره ، ويجوز أن يكون أراد قد درس وذهب على الضد ، على حد قول لبيد :

* عفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا (٢) *

وقال الأعشى :

تَطُوفُ العُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ ... كَطَوْفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الْوَثَن (٢)

وقال الآخر :

تطوفُ العُفَاةُ بأبوابِهِ ... كَمَا طَافَ بِالْبِيْعَةِ الرَّاهِبُ (٣)

وقال زهير يمدح هرم بن سنان :

يَنزعنَ عَنْ إِمَّةِ أقوامٍ لذِى كَرَمٍ
بَحْرٌ يَفِيضُ عَلَى العَافِينَ إِذْ عَدِمُوا (٣)

(إمة بالكسر : النعمة)

وقال ثعلب فى : « حتى عفوا » : كثروا (٤) .

* * *

(١) أضداد قطرب ١١٨ ، وأضداد ابن الأنبارى ٨٦ ، وديوان امرىء القيس ١٣
(٢) ديوانه ١٩ ، وأضداد ابن الأنبارى ٨٨
(٣) ديوانه ٣٠١ (٤) مجالس ثعلب ٢/٥٨٢

• **ولفظ (الغرب ، والغروب) من المشترك اللفظى :**

للغرب استعمالات متنوعة .

ولاحظ اللغويون وشائج القرابة التى تربط بين هذا اللفظ ومعناه ، وقوة الآصرة التى تربطه باستعمالاته واشتقاقه ومعانيه .. فكثيراً ما تلتقى المعانى ، وتتعانق ، وتسير الاشتقاقات فى رحلة سوية :

فالغرب : الدلو كبيراً ، مملوء ، وفارغاً ، وما يفيض منه ، وما ينجم من الرائحة عن فيضانه ، وصب الماء فى الحوض ، والراوية التى تحمل الماء ، ويوم السقى ، والقدح . وكل هذه المعانى تتجاذب ويقرب بعضها من بعض كما ترى .

والغرب : الدمع ، والعين ، ومقدمة العين ومؤخرها ، وعرقان للدمع فيها ، وزاد : الدمع فكان المطر ، والتقى من الدمع المنهمر ، والجدول ، وماء الأسنان وظلمها .

والغرب : الحـــد ، والحدة ، وسرعة الجرى ، والنشاط والحركة ، حسياً ومعنوياً .

والغرب : جهة الغرب ، فى مقابل الشرق ، وقد تبعد الجهة ، فيأتى : الإبعاد والبعد الحسى ، أو المعنوى ، فيغرب فى كلامه .

والغرب : الذهب أو الفضة ، أو الجام منهما . أو ضرب من الشجر ، أو الإغراب فى الكلام ، وداء يصيب الشاة(١) .

وهذه بعض المعانى للفظ الغرب :

١ ـ فالغرب : جهة المغرب ضد المشرق ، وغروب الشمس .

---

(١) راجع (غرب) فى الاساس ٣٢١ ، واللسان ٢/١٣٧ ، ونوادر أبى مسحل ٤٤٣ ، والنهاية ٣/٢٠٠ ، والعقد الفريد ١/١١٦ ، وأمالى القالى ٢/٢٥٢ ، والنوادر لأبى زيد ٦٠

قال الله تعالى : ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾[١] .

وقال أمية بن أبي عائذ يصف ناقته ورحلانه :

تَرَامَتْ بِنَا مَشْرِقًا مَغْرِبًا غِيَارًا وَجَلْسًا صَحَارَى حَزُونَا[٢]

وفيه أيضاً (جلسا) من المشترك .

٢ ـ والغرب : الحد ، والحدة ، والنشاط ، والسرعة والخفة .

يقول الزمخشري : كففت من غربه : أي من حدته[٣] . يقول أمية ابن أبي عائذ في نشاط ناقته :

وَإِنْ غَضَّ مِنْ غَرْبِهَا رَفَدَتْ وَسِيجًا وَأَلْوَتْ بِجَلْسٍ طِوَالِ[٤]

(غض : كف . وغربها : حدتها ونشاطها . ورفدت : أي أتبعت بعضه بعضاً . ووسيجاً : ضرب من السير . والجلس : الطويل) .

وقال ذو الرمة :

فَكَفَّ مِنْ غَرْبِهِ والغُضْفُ يَسْمَعُهَا
خَلْفَ السَّبِيبِ مِنَ الإِجْهَادِ تَنْتَحِبُ[٥]

(أي : كف الثور من حدته ونشاطه لما رأى الكلاب خلفه . والسبيب : الذنب ، وفي غير هذا الناصية ، والنحيب : النفس الشديد المتدارك) .

وقال مليح بن الحكم يصف إبلا :

يَبُسُّ بِهَا الحادِي مَخَافَةَ غَرْبِهَا إذا شَمَّرَتْ تَشْمِيرَ خَرْجاءَ جَافِلِ[٦]

(يبس : يسكن . وغربها : حدتها . وخرجاء : نعامة . وجافل : خائفة) .

---

(١) النور : ٣٥
(٢) السكري في شرح أشعار الهذليين ٢/٥١٩
(٣) الاساس ٣٢١
(٤) شرح أشعار الهذليين ٢/٤٩٧
(٥) ديوانه ٢٥ ، والاساس ٣٢١
(٦) شرح أشعار الهذليين ٣/١٠٢٨

وقال النابغة :

والخيل تَمْزَعُ غَرْباً فى أعِنَّتِها   كالطَّيرِ تَنْجُو من الشُّؤْبُوبِ ذى البَرَدِ[(١)]

(تمزع : تسرع . غرباً : نشاطاً وحدة . الشؤبوب : الدفعة العظيمة من المطر) .

وذكرت السيدة عائشة زينب رضى الله عنهما ، فقالت : « كل خلالها محمودة ما عدا سورة من غرب كانت فيها »[(٢)] : أى حدة .

٣ ـ والغرب : الدلو ، أو الدلو المليئة ، ويوم السقى ، وراوية الماء .

يقول امرؤ القيس :

فَعَيْنَاكَ غَرْباً جَدْوَلٍ فى مَفَاضَةٍ   كَمَرِّ الخَلِيجِ فى صَفِيحٍ مُصَوَّبِ[(٣)]

(غرب : الدلو العظيمة . وثناه ليقابل العينين . والجدول : النهر الصغير . والمفاضة : الأرض الواسعة . والخليج : الماء المتخلج من النهر باعتراض العقبات فيتيامن أو يتياسر ، والصفيح : العريض من الحجارة . والمصوب : المنحدر) .

وقال العباس بن مرداس بن الخنساء ، فى (حماسية ١٤٩) :

أَرَاكَ إِذَنْ قَدْ صِرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحاً   يُقَالُ لَهُ بِالْغَرْبِ أَدْبِرْ وَأَقْبِلِ[(٤)]

وروى ابن الأثير فى حديث الزكاة : « وما سُقِىَ بالْغَرْبِ ففيهِ نِصْفُ الْعُشْرِ »[(٥)] .

وأنشد ابن الأعرابى فى « كتاب البئر » قول الراجز :

---

(١) ديوانه ١١٩
(٢) النهاية ٣/٣٥٠
(٣) ديوانه ٣٣
(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ١/٤٣٦
(٥) النهاية ٣/٣٥٠

لولا الزِّمَامُ اقْتَحَمَ الأَجَارِدَا
بِالْغَرْبِ أو دقَّ النَّعَامَ السَّاجِدَا[١]

وقال الأعشى الأكبر يمدح :

مِنْ دِيَارٍ بِالهَضْبِ هَضْبِ القَلِيبِ ... فَاضَ مَاءُ الشُّئُونِ فَيْضَ الْغُرُوب[٢]

وفى حديث الرؤيا : « فأخذ عمر - رضى الله عنه - الدلو فاستحالت فى يده غرباً » . أى دلواً عظيمة ، لأن الفتوح كانت فى زمنه أكثر منه فى زمن أبى بكر رضى الله عنهما[٣] .

وأنشد الأزهرى والليث فى يوم السقى ، قول الشاعر .

* فى يَوْمِ غَرْبٍ وَمَاءِ الْبِئْرِ مُشْتَرَكُ[٤] *

٤ - والغرب . الدموع ، أو مجاريها ، أو مقدمة العين ومؤخرتها .

جاء فى اللسان : والغرب عرق مجرى الدمع يسقى ولا ينقطع ، وهو كالناسور ، والغروب الدموع حين تخرج من العين ، والغروب: مجارى الدمع . وذكر حديث الحسن عن ابن عباس رضى الله عنهما - حين خطب وفسر سورة البقرة - كان مُثجًّا يَسِيلُ غَرْبًا[٥] . أى يسيل عرقاً ، وفسره الجاحظ بالدوام .

وفى مجرى الدمع قال الحريرى :

وَكَمْ رَأَتْ مُقْلَتِي عَيْنَيْنِ مَاؤُهُمَا ... يَجْرِى مِنَ الْغَرْبِ وَالْعَيْنَانِ فِي حَلَبِ

(الغرب : مجرى الدمع . والعينان : المقلتان) .

وأنشد أيضاً قول الشاعر :

مَالَكَ لاَ تَذْكُرُ أُمَّ عَمْرٍو ... إِلاَّ لِعَيْنَيْكَ غُرُوبٌ تَجْرِى[٦]

---

(١) كتاب البئر لابن الاعرابى ٧٠ ، وأضداد الاصمعى ٤٣ ، والمخصص ١١/١١٤ ، وأضداد ابن السكيت ١٩٧ (٢) ديوانه ٣٣٣

(٣) النهاية ٣/٣٥٠ ، واللسان ٢/١٣٤ (٤) السابق .

(٥) البيان والتبيين ١/٨٥ ، واللسان ، والاساس (غرب) .

(٦) مقامات الحريرى ٤/١٦٠

وقال أوس بن حجر :

وَلاَ أَنَا مِمَّنْ يَسْتَنِيحُ بِشَجْوِهِ ... يُمَدُّ لَهُ غَرْبَا جَزُورٍ وَجَدْوَلِ(١)

(يستنيح : يبكى ويشتكى ليأخذ حقه . وغرباً : الدمع حين يخرج أو سيله) .

وغنت سلامة ـ جارية يزيد بن عبد الملك ـ للأحوص قوله :

عَاوَدَ الْقَلْبُ مِنْ سَلاَمَةَ نَصْبٌ ... فَلِعَيْنِي مِنْ جَوَى الْحُبِّ غَرْبٍ(٢)

٥ ـ والغرب : البعد .

قال عبيد الله بن قيس الرقيات يتغزل فى كثيرة :

قَذَفَتْ بِهَا غَرْبُ النَّوَى ... فَعَسَى تَكُونُ لَنَا مَرِيرَهْ(٣)

(مريرة : رجعة) .

وأنشد الحريرى فى مقاماته ، فقال :

سَلَّ الزَّمَانُ عَلَيَّ عَضْبَهْ ... لِيَرُوعَنِي وَأَحَدَّ غَرْبَهْ (الحـــد)

واسْتَلَّ مِنْ جَفْنِي كَرَا ... هُ مُرَاغِماً ، وأَسَالَ غَرْبَهْ (مجرى الدمع)

وَأَجَالَنِي فى الأُفْقِ أَطْوِ ... ى كُلَّ يَوْمٍ لِي وغَرْبَهْ (فعلة من الغروب)

فَبِكُلِّ جَوٍّ طَلْعَةٌ ... فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبَهْ (الغـــروب)

وَكَذَا الْمُغَرَّبُ شَخْصُهُ ... مُتَغَرِّبٌ وَنَوَاهُ غَرْبَهْ (بعــــده)

٦ ـ والغرب : صب الماء فى الحوض فيسيل .

قال أبو مسحل الأعرابى : قد أغرب الرجل : إذا كان غريباً ، أو إذا تكلم بالغريب ، أو إذا صب الماء فى الحوض فسال فى أصله ، وهو

---

(١) ديوانه ٩٤
(٢) الاغانى ٨/ ٣٤
(٣) ديوانه ٤٤

الغرب ، واستنشىء الغرب من هذا[١] .

قال ذو الرمة : (فى مسيل الماء من الحوض) :

وَأَدْرَكَ الْمُتَبَقَّى مِنْ ثَمِيلَتِهِ   وَمِنْ ثَمَائِلِهَا واسْتُنْشِئَ الْغَرْبُ[٢]

(أدرك : هلك ، أى ذهب ما فى بطنها من العلف بسبب الحر . واستنشىء : شم) .

٧ ــ والغرب : (بفتح الراء) : الخمر .

حكاه صاحب اللسان ، وأنشد قول الشاعر :

دَعِينِي أَصْطَبِحْ غَرَبًا فَأُغْرِبْ   مَعَ الْفِتْيَانِ إِذْ صَبَحُوا ثَمُودَا[٣]

٨ ــ والغرب : الذهب أو الفضة ، أو جام الفضة .

قال الأعشى :

إذا انْكَبَّ الازْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ   تَرَامَوا بِهِ غَرَبًا أو نُضَارا[٤]

(الازهر : الإبريق الأبيض) .

وقال الأعشى أو لبيد ، كما قال ابن برى : فى جام فضة :

فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكَاءِ كَمَا   دَعْدَعَ سَاقِى الأَعَاجِمِ الْغَرَبَا[٥]

٩ ــ والغرب : ضرب من الشجر : قاله الجوهرى ، ونقله الأزهرى ، وأنشد :

* عُودُكَ عُودُ النُّضَارِ لا الْغَرَبَا[٦] *

---

(١) ديوانه ١١ ، نوادر أبى مسحل ٤٤٣   (٢) اللسان ١٣٥/٢ (غرب) .
(٣) السابق .   (٤) السابق .
(٥) اللسان (غرب) ١٣٧/٢   (٦) تاج العروس ٨/١ ، ٤٠

١٠ ـ والغروب : الدلو العظيمة .

قال الأعشى :

مِنْ دِيَارٍ بِالْهَضْبِ هَضْبِ الْقَلِيبِ   فَاضَ مَاءُ الشُّئُونِ فَيْضَ الْغُرُوبِ (١)

١٤ ـ والغروب . هى الوهاد المنخفضة .

وقد جمع الخليل بن أحمد المعانى الثلاثة للغروب فى قوله(٢) :

يَاوَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى   إِذْ رَحَلَ الْجِيرَانُ عِنْدَ الْغُرُوبِ

(غروب الشمس)

أَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَزْمَعُوا   وَدَمْعُ عَيْنِي كَفَيْضِ الْغُرُوبِ :

(الدلو)

بَانُوا وَفِيهِمْ طِفْلَةٌ حُرَّةٌ   تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الْغُرُوبِ :

(الوهاد المنخفضة)

* * *

• **مساجلات الأدباء فى معنى (غرب) :**

• ساجل الأدباء بعضهم تفنناً فى معانى (غرب) .

فقد كتب داوود بن عبيد هذه الأبيات إلى على بن تاج الدين القلعى المكى ، وطلب منه أن ينسج على منوالها(٣) .

وهذه أبيات داوود بن عبيد :

لَقَدْ ضَاءَ وَجْهُ الْكَوْنِ وانْسَلَّ غَربُهُ

فَلَمْ يَدْرِ أَيًّا شَرْقُهُ ثُمَّ غَرْبُهُ

---

(١) ديوانه ٣٣٣

(٢) مراتب اللغويين والنحويين ٣٥ ، والمزهر ١/٣٧٦ ، وتاج العروس ١/٤٠٦

(٣) تاج العروس ١/٤٠٦

وَسَائِلُ وَصْلٍ مِنْهُ لَمَّا رَأَى جَفَا بِمَا قَدْ جَرَى مِنْ بَعْدِهِ سَالَ غَرْبُهُ
يَمُرُّ عَلَيْهِ الحَيْنُ فى كُلِّ سَاعَةٍ وَلَكِنْ بِحَجْبِ السُّقْمِ يَمْنَعُ غربه
تَدَلَّى إِلَيْهِ عِنْدَمَا لَاحَ فَقْدُهُ بِثَغْرٍ شَنِيبٍ قَدْ رَوَى الخِلَّ غَرْبه

فكتب إليه على بن تاج الدين القلعى ، (فى نفس طويل) :

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ كَادَ يُشْجِيكَ غَرْبُهُ
نَزَحْتَ رَكِيَّ الدَّمْعِ إِذْ سَالَ غَرْبُهُ :
عرق الجبين
عفَا آيُهُ نَشْرَ الجَنُوبِ مَعَ الصَّبَا وكلُّ هَزِيمِ الْوَدْقِ قَدْ سَالَ غَرْبُهُ :
الدلو
بِهِ النوءُ عفّى سطرَهُ فكأنَّهُ هلالُ خلالِ الدَّارِ يَجْلُو غربَهُ :
محل الغروب
وقفتُ بها صَحْبِى أسائلُ رسْمَهَا على مِثْلِهَا الجفنُ يُذْرِفُ غَربه :
الدمع
على طَلَلٍ يَحْكى وقوفاً برسْمِهِ لحاجَةِ مِبْطَالٍ وبالدارِ غَرْبُهُ :
التمادى
أقولُ وقد أرسى العَنَا بِعِرَاصِهِ وأترفَ أهليهِ الْبِعَادُ وَغربُهُ :
الغوم
سقى ربعَكَ المعهودَ رَيْعَانُ عارِضٍ يسحُّ عَلَى سُحْمِ الأَثَافِىِّ غَرْبه :
الرواية
وليلٍ كيومِ البينِ مُلْقٍ رواقَهُ عَلَىَّ وَقَدْ حَلَّ الْكَوَاكِبَ غَرْبُه :
أول الشىء
أُرَاعِى بِهِ زُهْرَ النُّجُومِ سَوَابِحاً بِبَحْرٍ مِنَ الظَّلْمَاءِ قَدْ جَاشَ غَرْبُهُ :
أعلى الماء

يُراقبُ طَرْفِي السابحاتِ كأنَّمَا　　لطولِ دوامٍ نيطَ بالشُّهبِ غَرْبُه :

مقدم العين

كأنَّ جناحى نَسْرِهِ حَصَّ مِنْهُمَا　　قوادمُ حتّى ما يزايلُ غَرْبَهُ :

التنحى

ذكرتُ بِهِ لُقيَا الحبيبِ وبيننَا　　أهاضيبُ أعلامِ الحِجازِ وَغَرْبِهِ :

شجر

فَهَاجَ لِي التَّذْكارُ نارَ صَبابةٍ　　لَهَا الجَفْنُ أَضْحَى سائلَ الدمعِ غَرْبُهُ

الميل

إلى أَنْ نَضَا كَفُّ الصَّباحِ سِلاَحَهُ　　وَأَغْمَدَ مِنْ سَيْفِ الْمَجَرَّةِ غَرْبَهُ :

الحد

وولتْ نجومُ اللَّيْلِ صَرْعَى كَأَنَّما　　أُريقَ عليها مِنْ فَمِ الْكَأْسِ غَرْبُهُ :

فيض

وأقبلَ جيشُ الصبحِ يغمدُ سيفَهُ　　بِنَحْرِ الدُّجَى وَاللَّيْلِ يَرْكُضُ غَرْبُهُ:

فرس يجرى

وزمزمُ فوقَ الأيْكِ قُمْرِيُّ بانةٍ　　بِرَوْضٍ كفاهُ مِنْ نَدَى السُّحْبِ غَرْبُهُ:

يوم السقى

فَهَبَّ يريدُ الراحَ بدرٌ يَزِينُهُ　　إِذَا قامَ يَجْلُوهُ عَلَى الشُّرْبِ غَرْبُهُ :

النشاط

مِنَ الريمِ خوطِيَ الْقَوَامِ بِثَغْرِهِ　　وَسَلْسَالِ رَاحٍ يُبْرِىءُ السُّقْمَ غَرْبُهُ:

سيلان الريق

بِخَدٍّ أَسِيلٍ يَجْرَحُ اللُّبَّ خَدُّهُ　　وَطَرْفٍ كَحِيلٍ يَنْفُثُ السِّحْرَ غَرْبُهُ:

مؤخر العين

يُريك شبيهَ الدُّرِّ مِنْهُ مُنَضَّداً　　كَمَنْطِقِ دَاوُدَ إِذَا سَالَ غَرْبُهُ :

اللسان

فَتًى قَدْ كَسَاهُ الْفَضْلُ ثَوْبَ مَهَابَةٍ ... لَهَا خَصْمُهُ قَدْ نَسَّ[1] بِالْغَمِّ غَرْبُهُ: الريق

إِلَيْكَ أَتَتْ تُفْلِي الْفَلَا بَدَوِيَّةً ... وَلَمْ يَنْفِهَا طُولُ الْمَسِيرِ وَغَرْبُهُ: البعد

أَرَقُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ فَاعْجَبْ نَسِيبَهَا ... وَأَعْذَبُ مِنْ ثَغْرٍ حَوَى الشَّهْدَ غَرْبُهُ: منقطع الريق

إِذَا مَا جَرَتْ فِي حَلْبَةِ الشِّعْرِ لَمْ يَكُ الْـكُمَيْتُ يُدَانِيهَا وَإِنْ زَادَ غَرْبُهُ: الجرى والنشاط

وَإِنْ عَرَضَتْ يَوْمًا لِغَيْلَانَ لَمْ يَكُنْ ... بِأَطْلَالِ مَيَّ يُغْرِقُ الْجَفْنَ غَرْبُهُ: انهلال الدمع

فَدُونَكَهَا لَا زِلْتَ تَسْمُو إِلَى الْعُلَا ... مَدَى الدَّهْرِ مَا صَبَّ سَقَى الدَّارَ غَرْبُهُ فيضة من دمع

* * *

● **ولفظ « كذب » من المشترك :**

حظي لفظ (كذب) بعناية اللغويين فى كتبهم بحثاً وتوجيهاً :

فقد ذكره أبو زيد فى نوادره ، وابن خالويه فى شرح الدريدية ، والأصمعى فى رواياته ، والأزهرى فى تهذيبه ، وابن سيده فى مخصصه ، وابن الشجرى فى أماليه وغيرهم .

يقال : كذب يكذب كذبا ، بفتح الكاف وكسرها ، وسكون الذال وكسرها ، وكذاباً ، أيضاً .

وهناك كذب فى مقابل صدق ، ومنهما كاذب وصادق . . .

وهناك أيضاً كذب بمعنى وجب ، أو بمعنى الإغراء ، تكلم بهما العرب كثيراً فى الشعر والنثر ، وهما مثلان غريبان للإغراء . والزمخشري اعتبره مجازاً ، ولا أدرى وجهه .

(١) نس : يبس .

وهل ينصب ما بعد كذب ـ بمعنى الإغراء ، أو الوجوب ـ أو يرفع ؟ خلاف بين العلماء . فيرى ابن سيده : أن مضر تنصب بهذا الفعل ما بعده ، وأن اليمن ترفع به . فالرفع على معنى وجب ، والنصب على الإغراء[1] .

ولكن أبا مسحل فى نوادره عن أبى عبيدة : عكس حكاية الرفع والنصب : إذ سمع أبو عبيدة العرب يرفعون ما بعد كذب فى معنى الإغراء ، ما عدا أعرابياً من غنى ، وكان فصيحاً ، دخل هذا الأعرابى منزل أبى عبيدة فرأى شويهة مضرورة ، فقال : ما بال هذه على ما أرى ؟

فقلت : إنا لنعلفها .

قال : كذب عليك البذرَ والنوَّى (بالنصب) .

فأتيت به يونس بن حبيب الضبى البصرى ، فكتبها عنه ، وكتب عنه علماً كثيراً ، وقال هذا هو القياس[2] .

فمن معانيه :

١ ـ كذب : عكس صدق .

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[3]

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « عَلَيْكُمْ بالصِّدْقِ ... وإيَّاكُم والْكَذِبَ ، فإنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إلَى الْفُجُورِ »[4] .

٢ ـ وكذب (وجب) وبمعنى الإغراء .

قال عنترة : (يوصى امرأته بأكل التمر العتيق وشرب الماء البارد ، وترك اللبن الغبوق لفرسه) :

---

(١) راجع « نوادر أبى مسحل » ١٠٩ ـ ١١٤ ، ونوادر أبى زيد ١٧ ، ١٨ ، و (كذب) فى اللسان ٢/١٩٨ـ٢٠٦ ، والمخصص لابن سيده ٣/٨٤ ـ ٨٦ ، والأساس ٢٨٩ ، والمزهر ١/٣٨٢ ـ ٣٨٤ . والقاموس .

(٢) نوادر أبى مسحل ١٠٩ (٣) الجن : ٥

(٤) مختصر صحيح مسلم ٢/١٦١

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءُ شَنٍّ بَارِدٍ ... إِنْ كُنْتِ سَائِلَتِي غَبُوقًا فَاذْهَبِي[١]

وقال المعقر بن حمار البارقي :

وَذُبْيَانِيَّةٍ أَوْصَتْ بَنِيهَا ... بِأَنْ كَذَبَ الْقَرَاطِفُ وَالْقُرُوفُ[٢]

(القراطف : جمع قرطف ، وهي القطيفة في لغة أهل الحجاز . والقروف : عِياب من أدم تتخذها الأعراب : أي عليكم بها) :

وقال القطامي التغلبي : (في الإغراء) :

كَذَبْتُ عَلَيْكَ لَا تَزَالُ تَقُوفُنِي ... كَمَا قَافَ آثَارَ الْوَسِيقَةِ قَائِفُ

(تقوفني : تقتص أثري . والوسيقة : جماعة الإبل المطرودة) .

وقال خداش بن زهير العامري ، (جاهلي) :

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْعِدُونِي وَعَلِّلُوا ... بِيَ الْأَرْضَ والأقوامُ قِرْدَانَ مُوظَبَا

قال أبو زيد : (معنى كذبت عليكم : أي عليكم بي)[٣] .

وفي حديث عمر رضي الله عنه : « أن عمرو بن معد يكرب شكى إليه المعس ، فقال : كذب عليك العسل »[٤] .

(المعس بفتح العين : التواء في عصب الرجل . والعسل : العسلان : مشي الذئب ، أي عليك بسرعة المشي) .

وعن عمر رضي الله عنه : « ثَلَاثَةُ أَسْفَارٍ كَذَبْنَ عَلَيْكُمْ : كَذَبَ عليكم الحَجُّ ، كَذَبَ عليكم الجهاد ، كَذَبَ عليكم العُمْرَةُ » .

وجاء ما بعد كذب بالرفع كما سمعها أبو عبيدة[٥] . وبالنصب ، كما روى غيره) .

---

(١) ديوانه ٢٠ ، وأمالي الشجري ١/٢٦٠ ، ونوادر أبي مسحل ١١٣

(٢) نوادر أبي مسحل ١١٠ ، والبيان والتبيين ٣/٣١٧ ، واللسان : (كذب) والمزهر ١/٣٨٤

(٣) السابق ١/٣٨٢ ، والنوادر لأبي زيد ١٧ ، ١٨ (٤) المزهر ١/٣٨٣

(٥) نوادر أبي مسحل ١١٠ ، والإصلاح ٣٢٤ ، واللسان : (كذب) .

وجاء في القاموس : كذب : قد يكون بمعنى وجب ، ومنه : « كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد ، ثلاثة أسفار كذبن عليكم » .

وجوز الفيروزآبادى وجهاً آخر ، يقول :

أو يكون من كذبته نفسه إذا منته الأماني وخيلت إليه من الآمال ما لا يكاد يكون : أى ليكذبك الحج ، أى لينشطك ويبعثك على فعله[1].

أى حجوا . .

ويقول أيضاً : ومن نصب الحج ، جعل (عليك) اسم فعل ، وفي كذب ضمير الحج . أو المعنى : كذب عليك الحج أن ذكر أنه غير كاف هاذم لما قبله من الذنوب[2] .

وقال ابن السكيت : كأن كذبن ها هنا إغراء ، أى عليكم بهذه الأشياء الثلاثة[3] .

٭ ٭ ٭

● ولفظ (وجد) من المشترك .

ذكرنا فيما سلف شيئاً من تصريف لفظ « وجد » ، وأوجه اشتقاقه ، وما قاله اللغويين ، والنحاة ، فيه .

ونعرض هنا بعض استعمالاته ومعانيه ، مستقاة من الفصحاء ، وأرباب اللغة:

١ ـ فوجد : بمعنى المحبة ، والشوق ، والهيام ، والحنين .

قال عمر بن أبي ربيعة ، والذى يقول فيه الأصمعى : هو حجة في العربية :

---

(١) القاموس : (كذب) . (٢) السابق . (٣) الاصلاح ٢٠٢٤

قَالَ لِي صَاحِبِي لِيَعْلَمَ مَا بِي أَتُحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتَ الرَّبَابِ ؟
قُلْتُ : وَجْدِي بِهَا كَوَجْدِكَ بِالْعَذْ
بِ ، إِذَا مَا مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرَابِ[١]

ويقول أيضاً :

تقولُ وتُظْهِرُ وَجْداً بِنَا وَوَجْدِي وَإِنْ أَظْهَرَتْ أَوْجَدُ[٢]

وشاعر الحماسية (٤٧٩) ، أشد وجداً وهياماً من ابن أبي ربيعة ، يقول :

هَلِ الْوَجْدُ إِلاَّ أَنَّ قَلْبِي لَوْ دَنَا مِنَ الجَمْرِ قَيْدَ الرُّمْحِ لاحْتَرَقَ الجَمْرُ
أَفِي الْحَقِّ أَنِّي مُغْرَمٌ بِكِ هَائِمٌ وَأَنَّكَ لاَ خَلٌّ هَوَاكِ وَلا خَمْرُ
فَإِنْ كُنْتُ مَطْبُوباً فَلاَ زِلْتُ هَكَذَا
وَإِنْ كُنْتُ مَسْحُوراً فَلاَ بَرِأَ السِّحْرُ[٣]

وجميل بثينة يقول :

إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي مِنَ الْوَجْدِ، قَالَتْ: ثَابِتٌ وَيَزِيدُ[٤]

وابن الدمينة يكاد يجن من وجده ، يقول :

مُسْتَشْرِفاً مَا بِهِ قَدْ كَادَ يَخْبِلُهُ وَجْدٌ بِهَا مُسْتَهَامَ الْقَلْبِ مُخْتَلِجَا[٥]

وابن رهيمة مولى خالد بن أسيد ، عشق زينب بنت عكرمة ، ثم حجبوها عنه فقال :

وَجِدَ الْفُؤَادُ بِزَيْنَبَا وَجْداً شَدِيداً مُتْعِبَا[٦]

---

(١) ديوانه ٥٢ ، والخصائص ١/ ١١٠
(٢) السابق ٧٦
(٣) شرح الحماسة للمرزوقي ٣/١٢٦٧
(٤) ديوانه ٦٢
(٥) ديوانه ١٢٢
(٦) الفاخر للمفضل بن سلمة ١٦٤

ويقرن طرفة بن العبد بين وجده وهيامه ، وبين عشق مرقش ، ويقارن ، فيقول :

فَوَجْدِى بِسَلْمَى مِثْلُ وَجْدِ مُرَقِّشٍ بِأَسْمَاء ، إِذْ لاَ تَسْتَفِيقُ عَوَاذِلُهْ
قَضَى نَحْبَهُ وَجْداً عَلَيْهَا مُرَقِّشٌ وَعُلِّقْتُ مِنْ سَلْمَى خَبَالاً أُمَاطِلُهْ (١)

٢ ـ والوجد : الحزن ، واللوعة ، والأسى .

تقول الخنساء :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوٍّ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ : إِصْغَارٌ وَإِكْبَارُ
يَوْماً بِأَوْجَدَ مِنِّى يَوْمَ فَارَقَنِى صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلاَءٌ وَإِمْرَارُ (٢)

وقتل رباح بن عثمان بن حيان المرى فى فتنة ، فرثاه ابن ميادة بقوله :

وَوَجْداً مَاوَجِدْتُ عَلَى رِبَاحٍ وَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئاً غَيْرَ وَجْدِى (٣)

وعمر بن أبى ربيعة تجمد عينه من الحزن ، لفراق أحبته :

يَاصَاحِ هَلْ تَدْرِى وَقَدْ جَمُدَتْ عَيْنِى بِمَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ (٤)

وأنشد الهجرى :

فَوَا كَبِدِى مِمَّا وَجِدتُ مِنَ الأَسَى لَدَى رَمْسِهِ بَيْنَ الْقَطِيلِ المُشَذَّبِ (٥)

(والقطيل : النخل المقطوع من أصله) .

ومالك بن عمرو العاملى أخذ بثأر أخيه سماك ، ثم قال :

فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجِدتُ فَقَدْ كُنْتُ حَزِيناً فَقَدْ مَسَّنِى وَجَعُ
لاَ وَجْدَ ثَكْلَى كَمَا وَجِدتُ وَلاَ وَجدَ عَجُولٍ أَضَلَّهَا رُبَعُ (٦)

(ربع : ما نتج فى الربيع) .

---

(١) ديوانه ١٨٧
(٢) ديوانها ٤٨
(٣) الكامل للمبرد ١/٤٥
(٤) ديوانه ٧٥ ، والاغانى ١/١٥٨
(٥) التاج ٢/٥٢٤
(٦) الفاخر ٤٦

ويشكو جميل حزنه إذ فارقته محبوبته :

أَلَمْ تَعْلَمِي وجْدى إِذَا شَطَّتِ النَّوَى
وكنتُ إِذَا تَدْنُو بِكِ الدَّارُ أَفْرَح(١)

ويقول جميل أيضاً :

سَلُوا الوَاجِدينَ المخبرينَ عَنِ الْهَوَى وَذُو الْبَثِّ أَحْيَانًا يَبُوحُ فَيَصْرُخُ(٢)

(والبث : أشد الحزن) .

٣ ـ ووجد : غضب .

أغضب أبو مسلم الخولانى معاوية بن أبى سفيان ، فقال معاوية : « أيها الناس : إن أبا مسلم الخولانى قد قال ما قال ، فوجدت لذلك . وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا غضب أحدكم فليغتسل »(٣)

ويقول صخر الغى :

كِلاَنَا رَدَّ صَاحِبَهَ بِيَأْسٍ وَتَأْنِيبٍ وَوِجْدَانٍ شَدِيدِ(٤)

وقال هلال بن الأسعر من تميم ، (أموى) :

وَإِنِّى وَإِنْ أَوْجَدْتُمُونِى لَحَافِظٌ
لَكُمْ حِفْظَ رَاضٍ عَنْكُمُ غَيْرَ مُوجِدِ(٥)

وفى الحديث الشريف : « . . . فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حتى ظننا أن قد وجد عليهما ـ على أسيد بن الحضير ، وعباد بن

(١) ديوانه ٤٧
(٢) السابق .
(٣) أدب الكتاب للصولى ٢٣٤
(٤) التاج ٢/٥٢٤ ، واللسان (وجد) .
(٥) الاغانى ٣/٧٣

بشر ـ نخرجا . . فأرسل ـ الرسول ـ فى آثارهما ، فسقاهما ، فعلمنا أنه لم يجد عليهما »[١] .

وعن أنس رضى الله عنه: « بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية ، يقال لهم القراء ، فأصيبوا ، فما رأيت النبى وجد على شىء ما وجد عليهم »[٢] .

٤ ـ ووجد : بمعنى علم .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾[٣] .

وقال عز من قائل : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾[٤] .

وقال الزمخشرى : وجدت زيداً ذا الحفاظ : علمته ، وأنشد :

إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَعْتَمِلُ   إِنْ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَّكِلُ[٥]

٥ ـ ووجد : بمعنى أصاب .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ، يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ﴾[٦] . وقال تعالى : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ، فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[٧] . وقال سبحانه : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[٨] .

---

(١) مختصر صحيح مسلم ١/٥٤
(٢) صحيح البخارى ٨/١٠٤
(٣) النساء : ٦٤
(٤) الأعراف : ١٥٧
(٥) الأساس ٤٩٢
(٦) النور : ٣٩
(٧) النساء : ٤٣
(٨) التوبة : ٩١

وقال أبو ذؤيب الهذلى (بمعنى مصيب) :

بَذَلْتَ لَهُنَّ الْقَوْلَ إنَّكَ وَاجِدٌ ... لِمَا شِئْتَ مِنْ حلْو الْكَلاَمِ مَلِيحُ[١]

٦ – ووجد : استغنى من وجدان المال وغيره : هو غنى واجد[٢] .

وقال زهير بن أبى سلمى :

وقدْ أغدُوا عَلَى ثُبَةٍ كِرَامٍ ... نَشَاوَى ، وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاءُ[٣]

وقال أعشى همدان (إسلامى) :

وَرُبَّ خَالٍ لَكَ فى قَوْمِهِ ... حَمَّالُ أثقَالٍ لَهَا وَاجِدُ[٤]

وفى الحديث : « الْوَاجِدُ يَحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ » وفى رواية : « لَىُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهَ وعُقُوبَتَهُ » .

(لى : مطل . والواجد : القادر على الأداء)[٥] .

☆ ☆ ☆

● **أسماء الطير فى الفرس** :

تذكر كتب الأدب واللغة أن فى (الفرس) من أسماء الطير عدة أسماء .

ومن هذه الأسماء :

الهامة : للعظم الذى فى أعلى رأسه . والفرخ : للدماغ . والنعامة : للجلدة التى تغطى الدماغ . والعصفور : للعظم الذى تنبت عليه الناحية .

والذبابة : للنكتة الصغيرة فى إنسان العين .

(أو : ما حد من طرف أذن الفرس) .

---

(١) شرح أشعار الهذليين للسكرى ١٥٢/١

(٢) الأساس : (وجد) .

(٣) ديوانه ٣٠٩

(٤) الأغانى ٤٩/٦

(٥) النهاية : (وجد) .

والصردان : عرقان تحت لسانه . والسمامة : للدائرة التى فى صفحة العنق .

والقطاة : مقعد الردف خلف الفارس . والغرابان : رأسا الوركين فوق الذنب . والحمامة : الفص .

والنسر : كالنوى والحصى الصغار يكون فى الحافر وبطن الحافر .

والصقران : الدائرتان فى مؤخر البلد دون الحجبتين .

واليعسوب : الغرة على قصبة الأنف . والناهض : اللحم الذى يلى العضدين من أعلاها المجتمع . والخرب : الهزمة التى بين الحجبة والقصر فى الورك . والفراش : الرقاق العظام فى أعلى الخياشيم .

والسحاءة (الخفاش) : كل مارق وهش من العظام التى تكون فى الخياشيم وفى رؤوس الكتفين (وفى الأمالى : هى الخفاش أحد السحاءتين ، وهما عظميان صغيران فى أصل اللسان) .

والزرق : وهو الشعرات البيض فى اليد أو الرجل . والدّخّل : وهو لحم الفخذين(١) .

وذكر السيوطى قصيدة لجرير ، (لما فى الفرس من أسماء الطير) .

وجاءت أيضاً فى شرح الكامل لأبى إسحاق البطليوسى ، عن الأصمعى قال :

كنت ممن شهد الرشيد حين ركب سنة خمس وثمانين ومائة ، إلى حضور الميدان وشهود الحلبة ، فقال : يا أصمعى ، قد قيل إن فى الفرس عشرين اسماً من أسماء الطير . قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وأنشدك شعراً

---

(١) أمالى القالى ٤٩/١ ، والمزهر ٣٧٧/١ ، والعقد الفريد ١٩٥/١ ، ونهاية الأرب ٢٤/١٠ ، وآداب اللغة للرافعى ١٩٤/١

جامعاً لما من قول جرير(١) :

وأقبّ كالسِّرحان تمّ له ... ما بين هامَتِه إلى النّسرِ
رَحُبَتْ نعامَتُه ووَفّر لحمُهُ ... وتمكّنَ الصُّرَدانِ في النحْرِ
وأناف بالعُصْفور من سعفٍ له ... هام أشمّ موثّق الجذْر
وازدانَ بالدِّيكَين صلْصلُهُ ... ونبتْ دَجاجَتُه عَنِ الصدْر
والناهضانِ أُمِرَّ جلزُهما ... وكأنّما عَثَما عَلَى كَسْرِ
مُسْحَنْفِرِ الجنبين مُلتئم ... ما بَيْنَ شيمَتِه إلى الغُرّ
وَصَفَتْ سَماناهُ وَحافِرُهُ ... وأديمُهُ وَمنابِتُ الشَّعْر
وَسَما الغُرابُ لِموقِعَيْهِ معاً ... فأبينَ بَيْنهُما عَلَى قَدْر
واكْتن دونَ قبيحِه خُطّافُهُ ... وَنأتْ سَماحَتُهُ عَنِ الصَّقْرِ
وَتقدّمتْ عنهُ القَطاةُ له ... فنَأتْ بموقِعها عَنِ الحُرِ
وَسَما عَلَى نَقْويهِ دُون حداته ... خَرْبانِ بينَهُما مَدَى الشِّبْرِ
يَدَعُ الرَّضِيمَ إذا جرَى فِلَقاً ... بتوائمٍ ، كمواسِمٍ سُمْرِ
رُكِّبْنَ في مَحْضِ الشَّوى سَبط ... كَفْتَ الوُثُوبِ مُشَدَّدَ الأَسْرِ

(الصردان : طائر فى الليل هو الصدى . وسعف : سائل منتشر . والصلصل : الفاختة أو ما يشبهها ، وأمر جلزها : عصب الساق الشديد : وعثما : قاربا الجبر بعد الكسر . مسحنفر : منتفخ ، شيمته : نحره . وسماناه الدائرة فى سالفه) .

ورأى السيوطى شرحاً لهذه الأبيات لا يخرج عما جاء عند القالى . وقال :

---

(١) المزهر ٣٧٨

العصفور فى الفرس فى ثلاثة مواضع: أصل منبت الناحية، وعظم نائى فى كل جبين . والغرة التى دقت وطالت ، ولم تجاوز العينين ، ولم تستقر كالقرحة . والديكان : العظمان الناتئان خلف الأذن ، وهما الخششاوان . والدجاجة : اللحمة التى تغشى الزور ، ما بين ملتقى ثدى الفرس . والناهض : لحم المنكبين (وهو اسم لفرخ القطاة) . والغرة : عضلة الساق (وهو من أسماء الرخمة) .

قال : والسمانى : موضع فى الفرس لا أحفظه . وفى الصحاح : الخرب . ذكر الحبارى ، والجمع خربان ، وبه تمت العشرون بدون السمانى .

وفى أمالى أبى القاسم الزجاجى ما نصه :

قال أبو عبد الله الكرمانى : لا يُعد من أسماء الطير فى خلق الفرس إلا ما أذكره لك .

ثم ذكر : الصّردان ، والذباب ، والديك ، والنعامة ، والسحاءة ، واليعسوب ، والهامة ، والعصفور ، والصلصل ، والحدأة ، والخرب ، والسمامة ، والخطاف ، والقطاة ، والغراب ، والرخمة ، والناهض ، والنّسر ، والساق ، والرجل ، والفراشة ، والأصقع ، والعقابان ، والجردان ، والصقران ، والكرسوع ، والسعدانة ، والزّرق ، والورشان ، والصلصلة .. اه

(الصرد : طائر كبير الرأس يصطاد العصافير ، الصدى : من طيور الليل . الخرب : ذكر الحبارى ، الناهض : فرخ الطائر الذى وفر جناحه)[1] .

• • •

(١) المزهر ١/ ٣٨٠ ، ٣٨١

شواهد المداخل والمشجر والمسلسل

• **شواهد المداخل فى اللغة :**

وقال فى باب (الجُحَال) ، بمعنى (السم) :

قال أبو عمر ، أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابى ، قال : سألت أعرابياً فصيحاً ـ ما رأيت أفصح منه ، مذ ثلاثون سنة ـ عن الجُحَالِ ؟ فقال : القِشْب ، (بفتح القاف : سقى السم ، وبكسرها : السم) . قلت : فما القِشْبُ ؟ قال : الذُّعَافُ . قلت : وما الذُّعاف ؟ قال : الذِّئْفان . قلت : فما الذئفان ؟ قال : الذِّيفَان . قلتُ : فما الذِّيفان ؟ قال : الدِّيفان . قلت : فما الدِّيفان ؟ قال : الأُرُونُ . قلت : وما الأُرُون ؟ قال : الجَوْزَل . قلت : فما الجوزل ؟ قال : الحِرْسِم . قلت : فما الحِرْسِم ؟ قال : السُّمُّ . (بضم السين) .

قلت : فما السَّمُّ (بفتح السين) ؟ قال : ثقب الإبرة . قلت: فما الإبرة؟ قال : الرَّوْقُ (القرن) . قلت : فما الروق ؟ قال : المِدْرَى . قلت : فما المدرى ؟ قال : قرن الجابة (الظبية) .

(قال ثعلبُ : أخبرنا ابن الأعرابى ، قال المفضل عن الأعراب كلهم : الجابة مثل الطاعة لا تهمز) .

قلت : فما الجابة ؟ قال : الخولة . قلت: فما الخولة ؟ قال : الظبية . قلت : فما الظبية ؟ قال : الجراب الصغير (وهى أيضاً واحدة الظباء) . قلت : فما الجراب ؟ قال : بَدَنُ الهِر .

قلت : فما البَدَنُ ؟ قال : الدرع الحديد . (وقيل منه : ﴿ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾[1] .

---

(١) يونس ٩٢

قلت : وما البَدَنُ أيضاً ؟ قال : الرجل المتّماسك فى جسمه .

قلت : وما البدن أيضاً ؟ قال : الشيخ المسنُّ .

قلت : وما البدن أيضاً ؟ قال : الثيتل .

قلت: وما الثيتل؟ قال: الحِطّان . قلت: وما الحِطّان؟ قال: البُغَيْبِـغ .

قلت : وما البغيبغ ؟ قال : العَلْهَبُ . قلت : وما العلهب ؟ قال تيس الجبل . وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابى ، (فى وصف كلبة طلبت وَعْلاً مُسِنًّا فى الجبل) :

قد قلتُ لمـَّا بَدَتِ العُقَابُ   وَضَمَّهَا والبَدَنَ الحقابُ
جُدِّى لِـكُلِّ عاملٍ ثوابُ   الرَّأسُ والأكْرُعُ والإهابُ

(العقاب هاهنا : اسم كلبة . والحقاب : طريق الجبل ، جمعه حقب ، مثل : كتاب وكتب)[١] .

ويقول فى باب (القسْوَرَة) :

قال أبو عمر : وأخبرنا ثعلب ، عن ابن الأعرابى ، قال : القسورة : ظلمة الليل ، (ويقال : الصياد ، ويقال : السبع) . ويقال : القسورة جمع قسور : الرامى من الصيادين) . والليل : فرخ الـكروان ، والـكروان : ضرب من الطير . والضرب : الرجل بين الرجلين لا طويل ولا قصير . والقصير : الممنوع ، يقال: قصره قصراً . أى منعه منعاً . والمنع : السرطان (الحيوان القشرى ، والمرض) .

والسرطان : داء يعرض فى الساق، والساق: النفس . والنفس : الدَّمُ . والدم : الطلاء بالقطران . والطلاء : الخيط .

---

(١) المداخل ٧٣ ـ ٧٥ .

وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابى :

مازالَ مُذْ فُرِّقَ عنهُ خُلُبُه   لهُ من اللوم طِلاءٌ يجذبُه[١]

(الخلب : الحبل الصلب الرقيق . واللوم : الشديد من كل شىء) .

ويلاحظ : أن الضرب أيضاً يأتى بمعنى الخفيف النحيف ، قال طرفة ابن العبد :

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه   خشاش كرأس الحية المتوقد

والدمّ : واحدة الدماء ، كما يقول السموأل :

تسيلُ على حدِّ الظُّبَاةِ نفوسُنَا   ولَيْسَتْ على غير الظُّبَاةِ تَسِيلُ

والطلاء : الحبل الذى يشد به رجل الطلا .

* * *

ويقول فى باب (الْهَلْج) :

قال أبو عمر : أخبرنا ثعلب عن ابن نجدة ، عن أبى زيد ، قال :

الْهَلْجُ : أحلام نايم . وأحلام نايم : ثياب غلاظ كانت تعمل بالمدينة ، واحدها ثوب : والثوب . القلب . والقلب : العقل ، والعقل . الرّقم . والرّقم : الروضة . والروضة : الماء يبقى فى الحوض .

وأنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابى .

* وَرَوْضةٍ سقيْتُ مِنْهَا نضوتى ..[٢] *

ويلاحظ : أن الثوب بمعنى القلب ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٣]

قيل : قلبك . ومنه قول عنترة :

* فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأصمِّ ثيابَهُ *

أى قلبه . والثوب أيضاً — النفس . والعقل : ضرب من الوشى .

* * *

(١) المداخل ٨٤   (٢) المداخل ٨٥   (٣) المدثر ٤

• **وقال فى باب (القطاج) :**

أخبرنا ثعلب ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال :

القطاج : قَلْسُ السفينة. والقلسُ : ما يخرجُ من حلْقِ الصَّائم من الطعام والشراب.والشرابُ : الخمرُ . والخمرُ : الخيرُ . قال :والعرب تقول: ماعند فلان خلٌّ ولا خمر : أى لاشرٌّ ، ولا خيرٌ . والخيرُ : الخيلُ . والخيلُ : الظنُّ . والظنُّ : القَسَمُ .

قال : وأخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء ، قال : من العرب من يقول : أظُنُّ إنَّ زيداً لخارجٌ ، بمعنى : وَاللهِ إنَّ زَيْداً لَخَارِجٌ .

قال : وأنشدنا ثعلب عن سلمة عن الفراء :

أظنُّ لا تَنْقَضِي عَنَّا زِيَارَتُكُمْ حَتَّى تَكُونَ بِوَادِينَا الْبَسَاتِينُ(١)

* * *

• **نموذج من (شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعانى المختلفة) :**

شجرة (٤) :

يبدو أن العين ـ كعلم فى المشترك ـ شغلت اللغويين كثيراً كما شغلت الأدباء والشعراء . وقد أفردها (أبو الطيب) بشجرة ، جاء فيها :

(العينُ) : عينُ الوجهِ ، والوجهُ : القصدُ . والقصدُ : الكَسْرُ . والكَسْرُ : جانبُ الخباءِ ، والخباءُ : مصدر خابأتُ الرجل ، إذا خبأت له خبئاً وخبأ لك مثله . والخبْء : السَّحَابُ، من قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٢) . والسَّحَابُ : اسم عمامة النبي ﷺ ـ والنبىّ : التَّلُّ الْعَالى .... » .

---

(١) الداخل ٧٦ (٢) النمل : ٢٥

إلى أن يصل إلى الفرع الأول ، فيقول .

(والعين) : عينُ الشَّمْسِ ، والشمس : شماس الخيل ، والخيلُ : الوهْمُ .

والوهمُ : الجملُ الكبيرُ . والجملُ : دابةٌ مِنْ دَوَابِّ البحر ، قال الشاعر :

* وَيَأْتِي إلى أَوْطَانِهِ الْجَمَلُ الْوَهْمُ *

إلى أن يصل إلى الفرع الثانى ، فيقول :

(والعينُ) : النقدُ . والنقدُ : ضربك أذن الرجل أو أنفه بإصبعك .

والأذنُ : الرجل القابل لما يسمع . والقابل : الذى يأخذ الدلو من الماتح .

والدلو : السير الرفيق ، قال الراجز :

لا تَقْلُوَاهَا وَادْلُوَاهَا دَلْواً إنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَخَاهُ غدْوَا ...

حتى يصل إلى الفرع الثالث ، فيقول :

(والعين) : مرضع انفجار الماء . والانفجار : انشقاقُ عمود الصُّبْحِ

والصبح : جمع أصبح ، وهو لون من ألوان الأسود واللون : الضرب من الضروب . والضرب الرجل المهزول ، قال طرفة بن العبد :

أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِى تَعْرِفُونَهُ خَشَاشٌ كَرَأْسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ .

حتى يصل إلى الفرع الرابع ، فيقول :

(والعين) : عين الميزان . والميزان : برج فى السماء . والسماء : أعلى متن الفرس . والمتن : الصلب من الأرض . والأرض : قوايم الدابة ، قال خفاف بن ندبة السلمى :

إذَا مَا اسْتَحَمَّتْ أَرْضُهُ مِنْ سَمَائِهِ جَرَى وَهْوَ مَوْدُوعٌ وَوَاعِدُ مَصْدَقِ ...

إلى أن يصل إلى الفرع الخامس ، فيقول :

(والعين) : مطر لا يقلع أياماً . ومطر : حىٌّ من أحياء العرب .

والأحياء : جمع حياء الناقة ، والحياء : الاستحياء ، والاستحياء :

الاستبقاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾(١) . وقال الحصين ابن الحمام (جاهلي) :

تَبَاطَأْتُ أَسْتَحْيِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا ...

وفى الفرع (٦) يقول :

(والعين) : رئيس القوم . والرئيس : المصاب فى رأسه بعصا أو غيرها. والرأس : زعيم القبيلة ، أى سيدها . والزّعيم : الصّبير (أى الكفيل) ...

وفى الفرع (٧) يقول :

(والعين) : نفس الشيء . والنفس : ملء الكف من دباغ ...

وفى الفرع (٨) يقول .

(والعين) : الذهب . يقال : ذهب الرجل ذهبا إذا تحير وزال عقله . والذهب : زوال العقل . والعقل : الشد ، (عقلت الناقة إذا شددت يدها). والشد : الإحكام ، والإحكام : الكف والمنع ، قال الأصمعي : وقرأت فى بعض كتب العلماء الأول : فأحكم بنى فلان ، أى امنعهم وكفهم . وأنشد لجرير :

أَبَنِي حُنَيْفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عليكُمُ أَنْ أَغْضَبَا ...

وهكذا ، حتّى تنتهى الشجرة(٢).

* * *

(١) البقرة : ٤٩ ، الأعراف : ١٤١ ، إبراهيم : ٦

(٢) شجر الدر ١٦١ ـ ١٩١

• **نموذج آخر من المشجر :**

الشجرة (٥) :

الرُّوبَةُ : الحاجة ، يقال فلان ما يقوم بروبة أهله ، أى بحاجتهم ، والحاجة . القوم المخفقون أى الفقـــراء . والمخفق : الصائد الذى يرمى فلا يصيب . والمصيب : القاصد ، من قوله تعالى : ﴿ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾(١) والقاصد : الـكاسر .

(قصدته : إذا كسرته).

والـكاسر : العقاب . والعقاب : راية الجيش ، والجيش : جَيَشَانُ النَّفْسِ . والنفس : العين التى تصيب الإنسان . والعين : وَهْىٌ ، يكون فى السقاء فيرشحُ ، يقال : منه سقاء عين . قال الراجز :

* مَا بَالُ عَيْنِى كَالشَّعِيبِ العَيِّنِ *

والوهى : الصدع فى الجبل ، والصدع : المجاهرة فى الحق ، من قوله عز وجل : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾(٢) . والمجاهرة : مباراة الرجلين أيهما أجهر صوتاً .

والأجهر من الرجال : الذى لا يبصر فى الشمس إلا بصراً ضعيفاً . والبصر : أن يكون الرجل حاذقاً بالشىء ، فيقال : له بصر فيه . والحاذق : القاطع . والقاطع : الطير الذى يقطع فى الصيف إلى البلدان الباردة ، أو فى الشتاء إلى البلدان الحارة . والصيف : عدول السهم عن الرمية . والسهم : النصيب . والنصيب : حجارة تنصب على شفير القبر أو الحوض ، والجميع : النصب والنصائب .

---

(١) سورة ص : ٣٦ (٢) الحجر : ٩٤

قال الراجز :

إنى وَدَلْوَىَّ لهَا وَصاحِبِى وَحَوْضَها الأَفْيَح ذَا النَّصَايِب
رَهْنٌ لهَا بالرِّىِّ غَيْرُ الـكَاذِب

والقبر : رمس الميت أى دفنه ، والرمس : هبوب الريح الشديدة ، والرامسات : الرياح الشداد ، والظفر : داء فى العين ، ظفرت عينه تظفر ظفرا ، والعين : خالص الشىء ، والخالص من كل شىء : شديد البياض . والبياض . ضوء النهار ، والنهار . فرخ الـكرا ، أى الـكروان ، والـكرى النوم ، قال الراجز :

يامِنْ لِعَيْنٍ عَنْ كَرَاهَا قَدْ جَفَتْ مُهْمَلَةً تَسْتَنُّ لما عَرَفَتْ
دَارًا لِخَوْدٍ بِالْجَنَادِبِ قَدْ عَفَتْ

والنوم : دروس الثوب . والدروس : دياس الطعام . والدياس : مراس الأمر : داوست الأمر : إذا مارسته . والمراس الحبال ، جمع مرس . والحبال : عروق للعاتق . والعاتق : البكر من النساء . والبكر : الفسيل من النخل . والنخل : مصدر نخلت الدقيق . والرقيق من الرجال : الضئيل . والضئيل : ضرب من الثعابين ، قال النابغة الذبيانى :

فَبِتُّ كَأَنِّى سَاوَرَتْنِى ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِى أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

والثعابين : مجارى المياه إلى شعوب الأودية . والشعوب : القبائل . والقبائل : شئون الرأس . والشئون : الأحوال ... إلخ » .

وهكذا إلى أن يصل إلى الفرع الأول لهذه الشجرة ، فيقول :

والروبة : جناة شجرة تسمى الزُّعرور ، والجناة : الرطبة الجنية . والجنية : هى الجريمة التى يجنيها الإنسان . والجريمة : الجارحة من الطير .

والجارحة : الإرب من الآراب ، أى العضو ، قال الشاعر :

تُبكِّى عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ تَرَ مِثْلَهُ سَلِيًا مِنَ الْحُمَّى بُرَاءِ الْجوَارِحِ

... إلى أن يأتى إلى الفرع الثانى ، فيقول :

والرؤبة : الجام من الفحل ، يقال : هب لى رؤبة فحلك . والفحل : الشاعر المفلق . والمفلق : العالم . والعالم : الشاق شفة الأعلم ، وهو المشقوق الشفة العليا . والأعلم : الجمل ، قال الشاعر :

* تَمْشِكُو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ *

والجمل : سمكة فى البحر ، والسمكة : برج فى السماء . والبرج : الغرفة. والغرفة : القصر فى الجنة(١) ... إلخ ... حتى تنتهى الشجرة .

* * *

● **نموذج من المسلسل فى غريب لغة العرب :**

جاء فى الباب الأول :

أنشد أبو عبيدة لصبيان الأعراب ، وتروى لامرىء القيس ابن حجر :

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلُّ بِهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُّ
يُنَادِى الآخِرُ الْأُلُّ أَلاَ حُلُّوا أَلاَ حُلُّوا

ويروى : (ألاخَلُّوا ألا خَلُّوا (ويروى) زحلوقة بالقاف والفاء والكاف).

الأُلُّ : الأول . والأول: يوم الأحد . والأحد: هو الوحَدَ . والوحد: الفرد . والفرد : الثور . والثور : الظُّهور . والظهور : الغلبة . والغلبة : جمع غالب . وغالب : أبو لُؤى .

---

(١) راجع شجر الدر لابى الطيب ١٩٢ ـ ٢٤٥

قال حسان بن ثابت

عَقِيلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ كِرَامٍ للساعِى ، مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ

ولؤى : تصغير اللأى · واللأى : الثور ، والثور : فحل البقر · والبقر · الفَرَقُ . والفرق : تباعُدُ ما بين الثنايا .

والثنايا : العِقَابُ . والعقاب : الموالاة . والموالاة : المظاهرة .

والمظاهرة : لبسُ ثوب على ثوب . والثوب : الرجوع . والرجوع : الكرّ : والكرّ : حبل النخل . والنخل : الخيار . والخيار : الحكم .

والحكم : الحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[1] .

والحكمة : العلم والعدل . والعدل : القيمة . والقيمة . الثمن .

والثمن : العوض . والعوض : البدل . والبدل : الخلف .

والخلف . الجبر . والجبر : إصلاح الكسر . والكسر . جانب البيت.

والبيت · الزوج ·

قال العجاج (فى صفة دلو) :

مَالِى إِذَا أَنْزَعُهَا صَأَيْتُ أَكِبَرٌ غَيَّرَنِى أَمْ بَيْتُ

والزوج . النمط . قال عنترة .

يَقْبِضْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ زَوْجٌ عَلَى حَرَجٍ لَهُنَّ مُخَيَّمُ[2]

• ويقول فى الباب السابع ·

قال رجل من طيء :

وَلَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ واخْتَلَفَ الْقَنَا نِهَالاً وَأَسْبَابُ المنَايَا نِهَالُهَا

النهال : العطاشُ . والنِّهال أيضاً : الرواء . والرواء : الحبل . والحبل:

---

(١) مريم : ١٢ (٢) المسلسل ٣٧ ـ ٤٢

السبب . والسبب : السلم ، قال تعالى : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾[1] .
والسلم : الدرج . والدرج : الرَّثْمُ . والرثْمُ : النماء . والنماء : الرَّيْع . والريع : الرجع . والرجع : المطر . والمطر : العهد . والعهد : العقد . والعقد : ضد الحل . والحل : الحلول . والحلول : المقيمون بالمكان .

قال طرفة :

بِمَا قَدْ أَرَى الحَيَّ الجَمِيعَ بِغِبْطَةٍ   إِذَا الحَيُّ حَيٌّ وَالحُلُولُ حُلُولُ

والمكان : الجاه . والجاه : الحظوة عند السلطان . والسلطان : قدرة الأمير . والأمير : من تؤامره فى أمرك . قال زهير :

فَقَالَ أَمِيرِى : مَاتَرَى رَأْىَ مَارَى   أَنَخْتِلُهُ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ نُصَاوِلُهْ

. . . إلى أن يقول (فى الباب نفسه) :

والسوط : الخلط . والخلط : الشوب . والشوب : المزج . والمزج : قتل الشراب : قال حسان بن ثابت :

إِنَّ التى عَاطَيْتَهَا بِمِزَاجِهَا   قُتِلَتْ ، قُتِلْتَ ، فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ

والشراب : الخمر . والخمر : الراح . قال زهير :

كَأَنَّ رِيقَتَهَا بَعْدَ الكَرَى اغْتُبِقَتْ   مِنْ طَيِّبِ الرَّاحِ لَمَّا يَعْدُ أَنْ عَتُقَا

والراح : جمع راحة . قال أوس بن حجر (يصف سحاباً قريباً من الأرض) :

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ   يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

. . . إلى أن يقول (فى الباب نفسه) :

والريح : الغلبة والقوة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[2] .

(١) الحج : ١٥   (٢) الأنفال : ٤٦

ومنه عندى قول عمرو بن قميئة اليشكرى :

بِعَيْشِكِ مَاقَوْمِي عَلَى مَا تَرَكْتِهِمْ ... سُلَيمَى إِذَا هَبَّتْ شَمَالٌ وَرِيحُهَا[1]

• وجاء من المسلسل فى : (الباب التاسع) :

أنشد أبو زيد لسعد بن زيد مناة :

أَجَدَّ فِرَاقُ النَّاقِيهِ غُدْوَةً ... أَمِ الْبَيْنُ يَحْلُو لِي لِمَنْ هُوَ مُولَعُ

لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى النَّاقِيهِ حِقْبَةً ... فَقَدْ جَعَلَتْ آسَانُ بَيْنِي تَقَطَّعُ

الآسان : المشَابِه ، وهى هنا القوى . والقوى : جمع قوة . والقوة : طاقة من طاقات الحبل . والحبل : المستطيل من الرمل . والرمَل : ضرب من السعى . والسعى : الحرش . والحرش : الصيد . والصيد : ما أخذته عفواً . والعفو : الصفح . والصفح : الجانب . والجانب : الغريب . والغريب : النزيع . والنزيع : السهم . والسهم : النصيب . والنصيب : حجارة حول شفير الحوض . والحوض الصغير : الخريص . والخريص والخرص : الجائع المقرور . والمقرور : الخصر . والخصر من الماء : البارد العذب . والعذب : ضد الفظيع . والفظيع : الكريه الذوق . والذوق : العدْف . والعدف : الأصل . والأصل : العيص . والعيص : منبت الشجر .

قال الأحزم السنبسى :

بِهَا قُضُبٌ هِنْدَاوِيَّةٌ ... وَعِيصٌ تَزَاءَرَ فيها الأُسُودْ

والشجر : ما قام من النبت على ساق . والساق : عظم القدم. قال طرفة:

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ ... حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهْ

(١) المسلسل ٨٤ ــ ٩٢

والقدم : السابقة . والسابقة : الفَرَط . والفرط : المتقدمون إلى الماء .

قال أبو النجم :

وَمَنْهلٍ وَرَدْتُهُ التقَاطَا لَمْ أَلْقَ إذْ وَردْتُهُ فُرَّاطَا

إلاَّ الحَمَامَ الوُرْقَ والْغطَاطَا فَهُن يُلغطْن بِهِ إلْغاطَا

* * *

وبعد :

فهذا غيض من فيض من الشواهد الفصيحة للمشترك اللفظى ، مستقاة من أمهات الكتب اللغوية ، والأدبية ، والدواوين الشعرية ، لمن يحتج بكلامهم وشعرهم ، تشهد ببصرهم بلغتهم ، وعقليتهم المنظمة ، والواعية الحافظة .

وقد هيأ الله تعالى لى جمع أمثلة وفيرة وكثيرة منها ، اختبرتها فى أماكنها ، وفى أقوال علماء اللغة والبلاغة ، فكانت صحيحة فصيحة .

ونظمت ما جمعت من شواهد على نسق (معجم مشترك) ما زال مخطوطاً عندى ، لأن شواهد المشترك اللفظى لم يتم تصنيفها وترتيبها على هذا النمط قبل ذلك فيما علمنا .

أما شواهد الأضداد فهى كثيرة ومبثوثة فى كتبها العديدة ، وإن بقيت لها شواهد مبثوثة فى ثنايا الكتب القيمة ، والقواميس المعتبرة .

وسنذكر فيما يلى بعض شواهد للأضداد ، تؤنس أبحاثه فى نظريته وفقهه .

* * *

شواهد الأضداد

● لفظ (الأون) من الأضداد :

يقال : الأون للرفق والدعة ، والأون للتعب والمؤونة . ومنه المؤونة من الأين ، وهو التعب والنصب .

قال الشاعر في معنى (الرفق والدّعة) :

غيَّر يا بنت الحُلَيْسِ لَوْنِي   مرُّ اللّيالى واختلافُ الجَوْنِ
وسفرٌ كانَ قليلَ الأَوْنِ

(أى: قليل الرفق وقليل الدعة) .

وقال أبو حاتم : يقال : أُنْ على ماشيتك أى ارفق بها .

قال الشاعر :

أُونُوا فقدْ أَنَّا عَلَى الطُّلَّحِ
أَيْنًا كأَيْنِ الحافرِ لِلُوكَحِ

(أى الذى بلغ المكان الصلب) .

قال أعشى باهلة (فى معنى التعب والنصب) :

لا يَغْمِزُ السّاقَ مِنْ أيْنٍ ولا نَصَبٍ   ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصّفَرُ

ورواية البيت فى ديوان الأعشين :

لا يغمزُ الساق من أيْنٍ ولا نَصَبٍ   ولا يزالُ أمام القـــوم يقتفر

والأون أيضاً : للثقل ، والأونان : العدلان . قال الشاعر :

فجاءت بذى أَوْنَين ما زالَ شأنُه   يُعَمَّرُ حتى قلتُ : هل هو خالدُ ؟

والأون : تكلف النفقة ، عن أبى عمرو الشيبانى (- ٢١٠) وقطرب: يقال : سافر معنا فأسقطنا عنه الأون ، أى تكلفنا نفقته[١] .

* * *

• ولفظ (البيع) من الأضداد :

يقال : بعتُ الشىء إذا بعته من غيرك ، وأخذت ثمنه . وبعته أيضاً إذا اشتريته ، حكاها الأصمعى ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد .

ويؤيد الأول قول عبيدة بن ربيعة من تميم وقد أبى أن يبيع فرسه (سكاب) لملك من الملوك :

أبيت اللعن إن سِكاب عِلْقٌ نفيسٌ لا يُعار ولا يُباع
فلا تطمعْ أَبَيْتَ اللّعنَ فيها ومنعُكَها فشىءٌ مستطاع

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾[٢] .

* * *

• ويؤيد بعت بمعنى شريت ، قول كثير عزة :

فيا عزَّ ليت النأىُ إذ حال بيننا وبينك باعَ الوُدَّ لى منك تاجرُ

وأنشد الأصمعى لأوس بن حجر ، (جاهلى) ، فى باع بمعنى شرى :

وفارقتْ وهى لم تجربْ وباع لها من الفصافص بالنُّمِىِّ سفيرُ

(يصف ناقته بأنها قاربت الجرب ولم تجرب ، الفصافص : الرطاب أو القتّ . بالنمى : بالفلوس . وسفير : السمسار) .

• وحذيفة بن اليمان قال حين حضرته الوفاة : « بيعوا لى كفناً » ، أى اشتروه لى .

---

(١) أضداد قطرب ١٩٥ ، وابن الانبارى ١٣٠ ، وأبى الطيب ١/ ٢١ ، والسجستانى ٩٢ ، والأصمعى ٣٦

(٢) البقرة : ٢٧٥

ويقول الراجز :

إذا الثريّا طلعتْ عشـــاء

فبعْ لراعِى غنمٍ كِسَاء

(أى اشتروه ، لأن الثريا إذا طلعت عشاء برد الهواء) .

وسمع الفراء أعرابياً يقول : بع لى تمراً بدرهم ، أى اشتر .

والحصين بن الُحمَامَ المرى (جاهلى) يقول فى معنى الشرى خاصة :

فلستُ بمبتاعِ الحيـــاةِ بذلةٍ ولا مُرْتَقٍ مِنْ خَشيةِ الموتَ سُلَّما(١)

ويقول طرفة بن العبد :

وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَبَعْ لَهُ بَتَاتاً وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ(١)

٭ ٭ ٭

● **ولفظ (البين) من الأضداد :**

يكون البين بمعنى الفراق ، ويكون أيضاً بمعنى الوصال .

فمن (الفراق) قول جرير (أموى) :

بانَ الخليطُ ولو طُووعْتُ مابَانَا وقطّعُوا مِنْ حبالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا

وقال القطامى :

ألم يحزنْكِ أن حبال قيس وتغلب قد تباينت انقطاعا

وأنشد أبو زيد عن المفضل :

كأنّ عينى وقد بانونى

غربان فى جدولٍ مجنون

(بانونى : فارقونى ، ويعنى بالمجنون هنا : الدافق) .

---

(١) أضداد أبى طيب ١/ ٤٠ ، والأصمعى ٣ ، وابن السكيت ١٨٤ ، وابن الأنبارى ٧٣ ، وشرح المعلقات ٩٨ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٦٤

وقال العجاج :

* والبينُ قطاعٌ رَجَا من رجا *

(أى· الفرقة والبعد)·

* * *

وفى البين بمعنى (الاتصال) : جاء قول المهلهل (جاهلى) :

كأن رماحهم أشطانُ بئرٍ بعيدٍ بينُ جالَيْها جرورُ

(الجال : جدار البئر ، والجرور : البئر البعيدة القعر هاهنا) .

وأنشد ابن الأعرابى لقيس بن ذريح (أموى) فى المعنيين :

لعمرُكَ لولا البينُ لانقطعَ الهوَى ولولا الهوى ماحَنَّ لِلْبَيْنِ آلف

(لولا البين : أى لولا الوصل . وماحن للبين : أى الفراق) .

وقال الشاعر :

لقد فَرَّقَ الواشونَ بينى وبَيْنُها فقرّتْ بذاكَ الوصلِ عينى وعينُها

أراد : لقد فرق الواشون وصلى ووصلها .

وقال الله تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[1] . قرىء بالنصب . وبالرفع قراءة ابن كثير ، وأبى عمرو ، وابن عامر ، وحمزة .

قال الفراء : وكان مجاهد يقرأبالرفع : أى وصلكم ، وقد قُرئت بالفتح أيضاً .

وحكى قطرب : يقال : أعجبنى بينُهم : أى اتصالهم .

وأعجبنى بينَهم : أى تفرقهم[2] .

* * *

(١) الأنعام : ٩٤

(٢) أضداد أبى الطيب ١/٧٨ ، ابن الأنبارى ٧٥ ، وقطرب ١٧٧ ، وأمالى القالى ١/١٣٠

● **ولفظ (التلعة) من الأضداد :**

يقال لما ارتفع من الوادى وغيره تَلْعَة ، ويقال لما تَسَفَّلَ وجرى فيه الماء لانخفاضه تلعة .

وأبو الطيب يرى أن يكون الأصل فى التلعة الارتفاع ، لأن الأصمعى حكى ذلك .

وشاهد (الارتفاع) قول نابغة بنى ذبيان :

عفا ذو حُساً مِنْ فرتنى فالفوارعُ فجنْباً أريكٍ فالتِّلاعُ الدَّوافِعُ

(الفوارع ، وأريك . مواضع ، وفرتنى :اسم امرأة ، والتلاع : مجارى الماء من أعلى الأودية . والخليل يراها : أرضاً مرتفعة غليظة) .

وفى معنى (الارتفاع) أنشد أبو حاتم والتوزى قول الراعى :

كدُخَانِ مُرْتجِلٍ بأعلى تَلْعَةٍ غَرْثَانَ ضَرَّمَ عرفجاً مبلولا

(المرتجل : الذى يطبخ رجلا من الجراد ، والغرثان : الجائع ، والعرفج: شجر سريع الاشتعال) .

ومثله قول طرفة بن العبد فى وصف عنق ناقته :

وأتلعُ نهّاضٌ إذا صعّدَنْ به كَسُكَّانِ بوصِىٍّ بدجلَةَ مُصْعِدِ

(أى إذا رفعته كسارى سفينة يشد عليه الشراع ، والبوصى : ضرب من السفن) .

وقال بعض الأعراب :

إذا أشرف المحزونُ مِنْ رأسِ تَلْعَةٍ
على شِعْبِ بَوّانٍ أفاقَ من الكَرْبِ

* * *

• وشاهد التلعة بمعنى (الانخفاض) :

ما أنشده قطرب وأبو حاتم للراعى :

رآكَ ذَوُو الأحلامِ خَيْراً خِلاَفَةً مِنَ الرّاتعينَ فى التِّلاع الدواخِلِ

(دواخل الأرض خَمَرها وغامضها) .

وقال زهير بن أبى سلمى :

وإنى متى أهبطْ مِنَ الأَرْضِ تَلْعَةً أَجِدْ أثراً قَبْلِى جديداً وعافيا

وقال أبو عبيدة : التلعة : بطن من الوادى مُتّسِعْ ، وأنشد :

خِلْتُ القَذَى الجائِلَ فى حِجَاجِها

من حَسَكِ التَّلْعَةِ أَوْ مِنْ حَاجِها(١)

(الحجاج : العظم الذى ينبت عليه الحاجب ، ويريد عينها . والحسك ها هنا : الشوك ، والحاج : ضرب من النبات له ورق دقاق طوال كأنه الشوك) . وبطن الوادى منخفض .

* * *

• **ولفظ (جلل) من الأضداد :**

قال أبو عبيدة : يقال : أمر جَلَلٌ أى جليل عظيم .

وأمر جلل أى هين صغير يسير .

وأبو عمرو الشيبانى يرى أن الجلل : الصغير ، والجليل العظيم ، ولم يعرف الجلل بمعنى العظيم .

فمن شواهد الجلل بمعنى العظيم قول الحارث بن وعلة النحلى :

قومى هُمُ قتلوا أميمَ أخى فإذا رميْتُ يُصيبُنِى سهمى

فلئن عفوت لأعفُوَنْ جَلَلاً وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِى

(أى ، لأعفون عن أمر عظيم) .

---

(١) أضداد أبى الطيب ١٠٨/١ ، وابن الأنبارى ٢١٩ ، والسجستانى ٢٠٩ .

وأنشد الأصمعي في معنى (العظيم) قول المتنخّل الهذليّ :

أقولُ لما أتاني النّاعيان بِهِ   لا يَبْعَدِ الرُّمحُ ذو النصلَيْن والرجلُ
رُمْحٌ لنا كان لم يَفْلُلْ نَنُوهُ بِهِ   تُنْفَى بِهِ الحَرْبُ والعزّاء وَالجَلَلُ

وقال لبيد :

وأرى أَرْبَدَ قدْ فارقني   ومن الأرزاء رَزْء وجلَلْ

وأنشده أبو الطيب في معنى العظيم .

وقال جميل بن معمر :

رسم دارٍ وقفتُ في طَلَلِهْ   كِدْتُ أقضي الحَياةَ مِنْ جَلَلِهْ

* * *

• وشاهد « الجلل » بمعنى : الهين ، واليسير ، والحقير ، والصغير :

قول امرىء القيس :

لقتلِ بنى أسدٍ ربَّهم   ألاَّ كُلُّ شيء سِواه جللْ

وقال نابغة بني شيبان (في ذات المعنى) :

كلُّ المصيباتِ إنْ جلَّتْ وإن عظُمتْ   إلاَّ المصيبة في دين الفتى جَلَلُ(1)

وقال الحارث بن خالد المخزومي :

قلتُ للرَّنةِ لما أقبلَتْ   كلُّ شيء ما خلا هراً جَلَلْ

(والرَّنة : الصيحة في الفرح أو الحزن) .

وقال المثقّبُ العبديّ :

كلُّ رزء كَانَ عندي جلَلاً   غير كُرْسُفَّةَ مِنْ قِنْعَى قُطُرْ

---

(1) أضداد أبي الطيب ١/ ١٥٠، والأصمعي ١٠ ، والسجستاني ١٠ ، وابن الأنباري ٨٩ ، والكامل ٦٣ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ٤ ، وأضداد قطرب ٤ .

وقال عمران بن حِطّان :

ياخولَ ياخولَ لا يَطْمَحْ بكَ الأملُ   فقد يُـكَذِّبُ ظنَّ الآملِ الأَجَلُ
ياخول كيف يذوق الخفضَ معترفٌ   بالموت . والموت فيا بعده جللُ

وأنشد أبو عمرو الشيباني :

كلُّ رزءٍ كانَ عندى جللاً   غير ما جاء به الرَّكْبُ ثِنَى

(ثنى : مرتين ، أى مرة بعد مرة ، وجلل : أى هين) .

وقال الشاعر ، فى الشيء اليسير :

يقولُ جَزْءٌ ولم يَقُلْ جَلَلاً   إنى تزوجتُ ناعِماً جَذِلاً

ويقول لبيد بن ربيعة :

كُلُّ شيء ماخلا الموتَ جللْ   والفتى يَسْعى ويُلْهِيهِ الأَمَلْ

وقال الأغلب بن جُشَم العجلى الراجز (مخضرم) :

* كل شيء ما خلا جارى جَلَلْ *

وتقول ابنة حكيم بن جهل العبدية : (إسلامية) :

مالَ عبد القيس أَزْرَى بالأَمَلْ   قُتِلَ اليومَ حكيمُ بن جَبَلْ
قطعت رِجْلُ أَبِي مِنْ ساقِهِ   كلُّ شيء ماخلا هذا جَلَلْ[1]

وقال عروة بن أذينة (أموى) :

لا يُبْعِدُ اللهُ حُسَّادِى وَزَادَهُمُ   حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ فِيَّ مَكْنُونِ
إِنِّى رَأَيْتُهُمُ فِي كلِّ مَنْزِلَةٍ   أَجَلُّ قدْراً مِنَ اللَّائِى يُحِبُّونِى[2]

* * *

(١) أضداد الأصمعى ٩ ، وابن السكيت ١٦٧ ، ديوان لبيد ١٩٩ ، وأضداد أبي الطيب ١٤٩/١ ، وابن الأنبارى ٩٠ ، والسجستانى ٨٤

(٢) ديوان عروة بن أذينة ٣٩٠ .

• ولفظ (الجون) من الأضداد :

قال الأصمعي وأبو عبيدة : الجون : الأسود ، والجونُ : الأبيض .

قال أبو حاتم : والأكثر الأسود .

ويرى قطرب : أن الجون الأسود في لغة قضاعة ، وفيما يليها : الأبيض .

وشواهد الجون بمعنى الأسود كثيرة منها ما يلي :

قال لبيد يصف جملا :

جَوْنٌ دَجَوجِيٌّ وخِرْقٌ مِعْسَفُ
يَرْمِى بها الهيداء وَهْمٌ مُسْدِفُ

(دجوجي : من صفات الأسود ، والخِرْق من الفتيان : الظريف في المروءة ، ومعسف : هو الذي يعسف المفازة ويقطعها . والوهم : لعله الطريق الواسع ها هنا ، وربما كان بمعنى الجمل الضخم ، والمسدف : المظلم) .

وأنشد أبو زيد لعمرو بن معد يكرب ، (في شعر رأسه الأبيض المسود) :

تقول خليلتي لَمَّا رأته   شَرائحَ بَيْنَ مُبْيَضٍّ وجَوْنِ

وقال أبو عِرَار : عمرو بن شأس (مخضرم) لامرأته عن ولد له أسود ، من أمة له سَوْداء :

وإن عراراً إن يكن غير واضحٍ   فإني أحبُّ الجَوْنَ ذا المنكب العمم (١)

* * *

أما الجون بمعنى الأبيض ، فمن شواهده :

قال ربيعة بن مقروم يصف حماراً وحشياً وأتنه ، ويريد بالجونة الشمس :

ظَلَّ وظلتْ حولَهُ صُيَّماً   يراقِبُ الجونةَ كالأحولِ
ثم رَمَى الليلُ بِهِ قاربًا   يستوقدُ النيرانَ في الجدْوَلِ

---

(٢) أضداد أبي الطيب ١/١٥٣ وقطرب ٧٩ ، وأبي الطيب ١/١٥١ ، والجمهرة ٣/٤٨١ ، والشعر والشعراء ٣٨٩ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ١/٢٨٠ .

وقال ابن مقبل :

وأطأْتُهُ بالسُّرَى حتّى تركتُ به ليلَ التَّمامِ ترَى أسدافَهُ جُونا

(أى تُرى ظلمه بيضاً (أى سريت حتى أضاء لى الصبح).

وأنشد أبو عبيدة قول الراجز (بمعنى النهار) :

غيَّرَ يا بنتَ الحليسِ لَوْنِي مَرُّ اللَّيَالِي واختلافُ الجَوْنِ

وسفرٌ كانَ قليلَ الأَوْنِ

وقال الفرزدق : يصف قصراً أبيض فيه امرأة مريضة النظر :

وجَوْنٍ عليه الجِصُّ فيه مريضةٌ تطلَّعَ منه النفسُ والموتُ حاضرُهْ

وقال الخطيم الضبابى يصف فرساً :

لا تَسْقه حَزْراً ولا حليباً إن لم تجده سابحاً يعبوبا

ذا مَيْعَةٍ يَلْتَهِمُ الجَبُوبَا يُغادِرُ الآثارَ أَنْ تَؤُوبا

وحاجِبَ الجَوْنَةِ أَنْ يَغِيبا(١)

(يعنى بالجونة : الشمس . واليعبوب : كثير الجرى ، والجبوب . وجه الأرض) .

وأنشد الأصمعى للهذلى (والبيت للبيد ، وليس للهذلى) .

جَوْنٌ بِصارةَ أقفرتْ لِمَرَادِهِ وَخَلاَ لَهُ السّوبانُ فالبُرْعوم

(والجون هاهنا : الحمار الوحشى ، وهو أبيض يشبه ناقته بفحل الإبل ، وحمار الوحش . وصارة : اسم ماء ، ومراده : موضع الرعى ، والسوبان : اسم واد فى بنى تميم ، والبرعوم : موضع فى ديار بنى أسد) .

---

(١) أضداد الأصمعى ٣٦ ، وأبى طيب ١/١٥٥ ، وابن السكيت ١٩٠ ، ومجالس ثعلب ١/٣٧١ ، وابن الأنبارى ١١٣ ، واللسان : (جون) .

وقال الأصمعى : إن أنيساً الجَرْمِىّ ـ وكان فصيحاً ـ عرض على الحجاج درع حديد ، وكانت صافيه ، فجعل لا يرى صفاءها فقال : ليست بصافية . فقال أنيس: إن الشمس جونة، يعني شديدة الضوء ، حتى قد غلب ضوؤها بياض الدرع .

قال أبو حاتم : وقال بعضهم : بل عرضها عليه فى الشمس ، فقال له الحجاج : الشمس جونة فأدرها ، أى نحها عن الشمس .

وحكى الكوفيون أن الذى قال هذا للحجاج : عنبسة بن سعيد ابن العاص [1] .

ويمكن أن نفهم من البيت التالى معنى السواد ، ومعنى البياض : قال ابن مقبل فى صفة طريق :

واطأْتُهُ بالسُّرَى حتى تركت به ليلَ التَّمَام تُرَى أعلامُهُ جونا

(ليل التمام : أطول ما يكون من الليل فى الشتاء . وجوناً : أى سوداً كما قال الأصمعى . قال : يعنى أنهن فى الليل لم يصبهن النهار) .

وهناك رواية تقول : « حتى تُرى أسْدَافُه جونا » ، يعنى ظُلَمُه ، أى إنى رحلت عنه بليل طويل ، وتركت الليل فيه .

ولكن عبد الواحد يقول : قال اللغوى . ويمكن أن يكون أراد الجونَ البيضَ ، أى سريت ليل التمام حتى تركتُ أعلامه بيضاء من ضوء الصبح ، يريد أنه سرى إلى الصباح [2] .

° ° °

(١) السابق .
(٢) السابق .

● ولفظ (خفى وأخفى) من الأضداد :

تقول . أخفيت الشيء . إذا سترته ، وأخفيته . إذا أظهرته . حكى ذلك أبو حاتم عن أبي عبيدة .

ويرى أبو الطيب . أن الأكثر في معنى الكتمان. أخفيته أخفيه إخفاء . وفي معنى الإظهار . خفيته أخفيه خفيا ؛ وهو قول الأصمعي وأبي زيد .

وقال قطرب . يقال . خفا خفواً أى ظهر ، وخفى يخفى. ظهر. وأخفيته. أظهرته ، وخفيته خَفْيًا بالإسكان وخفاية بكسر الخاء .

والتوّزىّ يرى : خفيت الشيء وأخفيته ، لغتان في الإظهار والكتمان جميعا . وعد من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[1] .

وقال قطرب : أخفيت الشيء إذا كتمته ، وأخفيته أيضا إذا أظهرته . قال : وخفيته أيضا بغير ألف إذا أظهرته .

ويرى أبو حاتم أن قراءة : « أَكَادُ أَخْفِيهَا » بالفتح ، بمعنى أظهرها .

فنخفي بمعنى نسر ونكتم ، كما في قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[2] .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[3] . فمعناه : أكاد أسترها ، وفي قراءة أُبيّ: « أَكَادُ أُخْفِيهَا من نفسي ، فكيف أطلعكم عليها » . (وتأويل من نفسي : « من قبلي » ، ومن « غيبي ») .

ويقال : إن معنى الآية : « أكاد أظهرها » ، ونص ابن الأنباري على أنه يقال : خفيت الشيء ، إذا أظهرته . « ولا يقع هذا ـ أي الذي لا ألف فيه ـ على الستر والتغطية » .

---

(١) طه : ١٥ (٢) إبراهيم : ٣٨ (٣) طة : ١٥

وقال الفراء : حدثنا الكسائى ، عن محمد بن سهل ، وعن وقاء ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ : « أَكادُ أَخْفِيها » بالفتح ، فمعنى أَخفيها : أظهِرُها(١) .

* * *

وفى معنى الإظهار جاء قول عَبْدة بن الطيب يذكر ثوراً يحفر كِناساً، ويستخرج ترابه فيظهره :

يَخفِى الترابَ بأظلافٍ ثمانيةٍ   فى أَرْبَعٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تحليلُ

(يريد . أربع قوائم ، تقع بالأرض وقعاً خفيفاً بقدر تحلة اليمين) .

وقال قطرب : يخفى : يظهره .

وقال امرؤ القيس بن عابس الكندى (له صحبة) :

فإن تدفنوا الداء لا نَخْفِهِ   وإن تبعثوا الحربَ لا نَقْعُدُ

(أى .لانظهره. وروى. لانُخفه ـ بضم النون ـ . وقال قطرب. وبفتح النون لغة يمانية) .

وقال النابغة الذبيانى :

يخفى بأظلافه حتى إذا بلغتْ   يُبْسَ الكثيب تَدَاعَى التُّرْبُ فانْهَدما

وقال أبو ذؤيب الهذلىّ يرثى نُشَيْبَةَ بن محرث الهذلى :

وَمُدَّعَسٍ فيه الأنيضُ خفيتُه   بِجَرْداء ينتابُ الثَّمِيلَ حِمَارُها

(مدعس: مُخْتَبَز أو مُطّبخ. والأنيض : اللحم الذى لم ينضج. وخفيته: استخرجته من العجلة ، لم أدعه ينضج) .

ويقال للرّكيّة التى اندفنت ثم استُخرجت : خفية ، أى مُظْهرَة :

(١) أضداد أبى الطيب ١/٢٣٧ ، وقطرب ٤٥ ، وابن الأنبارى ٩٥

قال ساعدة بن جؤية الهذلى (مخضرم) : فى حمر الوحش والسحاب :

حيرانُ يركبُ أعلاه أسافلَهُ يَخْفى ترابَ جديدِ الأرض منهزِمُ

(يخفيه : يستخرجه لشدة وقعه ، حيران : يعنى الغيم يتوجه لأكثر من جهة ، منهزم : متفجر بالمـاء ، وأصل الهزم : التخرق فى الجلد وغيره ، فشبه الغيم بسقاء قد انخرق ، فهو يخرج ماءه) .

وعن أبى عمرو : خفا البرق يخفو خفوا ، ويخْفَى خفيا ، إذا ظهر ولمع ، وأنشد لحُمَيد بن ثور (إسلامى) :

أرقت لبرقٍ فى نَشَاصٍ خفتْ به سواجمُ فى أعناقهنّ بسُوقُ(١)

(بسوق : طول) .

ووجدت فى المفضليات قول امرىء القيس :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خفَاهُنَّ وَدْق مِنْ عَشِىٍّ مجَلِّبِ

(أى أظهرهن : يعنى الفأر من الحِجَرَة ، والودق : القطر الذى يقع بالأرض . أى كما يظهرهن ، ويخرجهن المطر الشديد الوَقْعِ . والمجلّب : سحاب فيه جلبة رعد) .

* * *

وحمل علماء الأضداد ما اشتق من مادة « خفى » عليها :

حكى قطرب : « من الأضـداد : الاستخفـاء . قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾(٢). إذ خبره من يثق به : « أن معناه ظاهر بالليل ، من قولك : خفيته : أى أظهرته » . وحكى

---

(١) أضداد قطرب ٤٥ ، والاصمعى ٢٣ ، والسجستانى ١١٦ ، وابن السكيت ١٧٨ ، وأبى الطيب ١/٢٤١ ، وديوان الهذليين ١٩٨ ، واللسان (خفى) ، ونوادر أبى زيد ٩

(٢) الرعد : ١٠

أبو الطيب : يقال : استخفيت الشيء واختفيته . أى أظهرته . ويقال : خفا الشيء إذا ظهر ، وخفيته أنا ، وهذا أحد ما جاء على : فَعَلْتُه فَفَعَلَ .

وفصل ابن الأنبارى فقال :

إذا كان المستخفى بمعنى « المتوارى » فهو من قولهم : قد استخفى الرجل إذا توارى .

وإذا كان من « الظاهر » فهو من قولهم : خفيت الشيء إذا أظهرته ، من ذلك الحديث المروى : « ليس على المختفى قطع » ، معناه ليس على النباش ، وإنما سمى النباش مختفياً لأنه يخرج الموتى ، ويظهر أكفانهم »[1] .

وقال : ففى المستخفى فى الآية الكريمة قولان : هو المتوارى فى بيته ، ويقال . هو الظاهر .

° ° °

● ولفظ (السدفة) من الأضداد :

قال أبو زيد : بنو تميم يذهبون إلى أن السدفة . الظلمة . وقيس يرونها الضوء .

وقال أبو عبيدة . السَّدف . الظلمة ، والسَّدف . الضوء . وذكر قطرب مثل ذلك .

وقال الأصمعى . يقال . أسدف الليل ، إذا أظلم . وأسدف الصبح . إذا أضاء . وهذه لغة هوازن دون سائر العرب . وذكر أن هوازن تقول . أسدفوا لنا أى أسرجوا لنا . وقال أيضاً . يقال . أسدف . أى تنح عن الضوء .

---

(١) السابق .

وقال غير الأصمعي . أهل مكة يقولون للرجل الواقف على البيت أسدف يارجل ، أى تنح عن الضوء حتى يبدو لنا .

وشاهدها فى (الضوء) :

ما أنشده قطرب والسجستانى من قول ابن مقبل :

وليلةٍ قدْ جَعَلتُ الصبحَ موعِدَها   بِصُدْرَةِ العِيسِ حتى تَعرِفَ السُّدَفا

(والمعنى : أنى كلفت الإبل السير طول الليل إلى طلوع الصبح ويبدو الضوء وتراه) .

وأنشد أبو عبيدة فى الضوء أيضاً :

* قد أسْدَفَ الليلُ وصَاحَ الخِنْزَابُ *

(والخنزاب : الديك ، وأسدف : أضاء) .

وبمعنى الأبيض أيضاً ما روى عن امرأة من هوازن تذكر زوجها :

لا يَرْتَدِى مَرَادِىَ الحريرِ

ولا يُرَى بسُدْفَة الأميرِ

فسره ابن الأنبارى بأنه لا يرى بقصر الأمير الأبيض الحسن . قال : « وزعم بعض الناس أن السُّدفة فى هذا البيت الباب ، وأن العرب تذهب بالسدفة إلى معنى الباب »[1] .

وأوضح مما سبق فى معنى الضوء ، قول عمر بن أبى ربيعة ، يتغزل :

كَشَفَتْ عَنْ وَجْهِهَا   كَالشَّمْسِ حِينَ تُسْدِفُ[2]

* * *

(١) أضداد قطرب ٥ ، والاصمعى ٣٥ ، والسجستانى ٨٦ ، وأبى الطيب ١/٣٤٦ ، وابن الانبارى ١٤ ، واللسان (سدف) .

(٢) ديوان عمر بن أبى ربيعة ١٩٠

ومن شواهد (السدفة) بمعنى (الظلمة) :

قول البربق : (عياض بن خويلد الخناعى) :

وماء وردتُّ قبيلَ الكَرَى ‏ ‏ ‏ ‏ وقد جنَّهُ السَّدَفُ الأدهمُ

وذكر قطرب قول حميد الأرقط :

قد كان يبدو أو بدت تباشِرهْ ‏ ‏ ‏ ‏ وسدف الخيط إليهم ساتِره

وأنشد الأصمعى للعجاج ، بمعنى (أظلم) :

* وأطعنُ اللَّيْلَ إذا ما أسْدَفَا *

وقال حذيفة الخَطَفِىُّ (جَدُّ جرير بن عطية) ، يصف إبلا رحل عليها أحباؤه:

يَرْفَعْنَ لِليلِ إذا ما أسدفا

أعناقَ جِنَّانٍ وهاماً رُجفاً

وعنقا بعد الكلال خيطفا

(أسدف : أظلم . وعنقاً : ضرباً من السير . والخيطف : السريع . والجنان : ضرب من الحيات) .

وقال ذو الرُّمة فى معنى (الظلمة) :

ولما رأى الرائى الثريَّا بسُدْفة ‏ ‏ ‏ ‏ ونَشَّتْ نِطَافُ المبقيات الوقائعُ

وقال إبراهيم بن هرمة ، فى معنى (الظلمة) :

إليك خاضت بنا الظلماء مُسْدِفةً ‏ ‏ ‏ ‏ والبيدُ تَقْطَع فِنْداً بَعْدَ أَفْنَادِ

(والفند : الشمراخ من الجبل) .

* * *

وأشدفنا : لغة فى أسدفنا ، ولها كلا المعنيين : حكى ذلك الأصمعى .

وعليه جاء قول الراجز بمعنى الضوء عند الفجر :

وحَرَجٍ دوسرةٍ قد أشرفت

كلفتها الدُّلجة حتى أشدفت[1]

* * *

● ولفظ (شام) من الأضداد :

يقال ، شام سيفه ، يشيمه شيما ، إذا سَلَّهُ ، وأخرجه من غمده . ويقال . شامه أيضاً ، إذا أغمده . وحكى ثعلب عن سلمة عن الفراء . أن الثلاثى والرباعى ، بمعنى .

أنشد التوزى قول الفرزدق فى معنى (أغمد) .

بأيدى رجالٍ لم يَشِيمُوا سُيُوفهم ولم يُكْثِرُوا الْقَتْلى بها يومَ سُلَّتِ

قال الأصمعى . « لم يشيموا ، أى لم يغمدوا » .

وأنشد قطرب للأغلب العجلى ، بمعنى (لا تغمدها) .

* والمشرفيَّاتُ فلا تَشيمُها *

وأنشد أبو حاتم للأغلب العجلى (مخضرم) يصف ما كان بين مسيلمة الكذاب ، وبين سجاح المتنبئة .

* فشام فيها مثلَ مِحرَاثِ الغَضَا *

(محراث الغضا عود تقلب به النار) .

* * *

وفى معنى (السلّ) والإخراج من الغمد .

جاء قول الشاعر ـ ونسبه أبو الطيب للفرزدق ـ يصف سيوفاً .

---

(١) السابق .

إذا هِىَ شِيمَتْ فالقوائمُ تحتَها   وإن لم تُشَمْ يوماً علتْها القوائمُ

(شيمت . سلت وأخرجت من أغمادها ، لأن السيف إذا أغمد كان قائمه فوقه ، وإذا سل كان قائمه تحته)[١] .

والنص صريح فى معنى الإخراج ، صراحة ما سبق فى معنى الإغماد .

* * *

● **ولفظ (الشرى والاشتراء) من الأضداد :**

جمع بينهما أبو الطيب ، وكلاهما يفسر على وجهين ، إذ يقال . اشتريت الشيء على معنى قبضته وأعطيت ثمنه ، وهو للمعنى المعروف عند الناس . ويقال . اشتريته إذا بعته . ومثل ذلك يقال عن شريته شرى وشراء . وأوضح الوجهين فى شريته . معنى البيع .

وقال قطرب . الشرى بمعنى البيع فى لغة غاضرة (حى من بنى أسد) . وطبيعة المبادلة هى التى جاءت بالضدية ، كما ذكر بعضهم .

وفى شريته بمعنى بعته ، جاء قول الله تعالى : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾[٢] . أى يبيعون . وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ﴾[٣] . أى يبيعها . وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ، وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ . وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾[٤] . أى باعوه .

وقال الخوارج : نحن الشراة ، لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى

---

(١) أضداد قطرب ٥٥ ، وأبى الطيب ١/ ٣٨٩ ، وابن الانبارى ٢٥٩ ، والسجستانى ٩٤ ، وشرح المفضليات ١٧٦ .
(٢) النساء : ٧٤
(٣) البقرة : ٢٠٧
(٤) يوسف : ١٩ ، ٢٠

نَفْسَهُ ابتغاءَ مَرْضَاتِ اللهِ﴾[1]، أى يبيعها ويبذلها فى الجهاد، وثمنها الجنة[2].

وأنشد قطرب فى الشرى بمعنى البيع على لغة غاضرة، قول المسيب بن علس (جاهلى)، وتنسب للأعشى الكبير، يمدح قيس بن معد يكرب الكندى.

يُعْطَى بها ثمناً، فيمنعُها ويقولُ صاحِبُهُ. أَلاَ تَشْرِى

أى ألا تبيع ؟.

وأنشد قطرب أيضاً للنمر بن تولب :

وإنى لأستحيي الخليلَ، وأتّقى تُقَاىَ، وأشْرِى مِنْ تِلاَدِى بالحمدِ

(أى أستحيى من الخليل، وأشرى : أى أبيع مالى بالحمد).

وقال الأسود بن يعفر :

فآليت لا أشريه حتى يَملَّنِى وآليتُ لا أَلْقَاهُ حَتَّى يُفارِقَا[3]

أى لا أبيعه..

وأنشد أبو حاتم أيضاً فى معنى (البيع) :

شريتُ غُلاماً بين حِصْنٍ ومالكٍ بأصواع تَمْرٍ إذ خَشِيتُ المهالكَ

(أراد بعت، لأنه خشى الهلاك، فباعه بالتمر القليل، للضرورة).

قال أبو عبيدة : وقال يزيد بن مُفرِّغ الحميرى (إسلامى) فى شريت بمعنى بعت، وكان باع غلاماً له يسمى بُرْداً، وندم على بيعه : (لما باعه الوالى نكاية فيه لتسديد دينه وهو محبوس) :

وشريت بُرْداً، ليتنى من بعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَهْ

أى بعتُ برداً.

ويبدو أن يزيداً هذا كان يعزّ برداً كثيراً، فقد قال فيه أيضاً :

---

(١) البقرة : ٢٠٧

(٢) أضداد أبى الطيب ١/٣٩٣، وقطرب ٧٣ وابن الانبارى ٧٤، والسجستانى ١٠٧، وابن السكيت ١٨٥ (٣) السابق.

شريتُ بُرْداً ولَوْلاَ مَا تَعَرَّضَ لى   مِنَ الحوادثِ ما فارقْتُهُ أَبَدَا

وأنشد أبو عمرو بيت الشماخ (مخضرم) يذكر رجلا باع فرساً :

فلمّا شرَاها فَاضَتِ الْعَيْنُ عَبْرَةً   وفِي الصّدْرِ حَزَّازٌ مِنَ اللّوْمِ حَامِزُ

(والحزاز : غيظ فى الصدر ، وحامز . قابض مشمر) .

وأنشد الفراء :

شَرَيْتُ لهم نَفْسِي بقفرة بعد ما   دنا الموتُ حتى صارَ بيْنَ الجْوَانِحِ[(١)]

(قفرة : ناقته . يعنى : نحرها لما أثقله العطش فى الفلاة ، وشرب ما فى كرشها) .

* * *

وأنشد أبو حاتم فى معنى (اشتريت) ، بيت أبى ذؤيب .

فإنْ تَزْعُمِينِى كُنْتُ أجهلُ فيكُمُ   فإنّى شريْتُ الحِلْمَ بَعْدَكِ بالجْهْلِ

وأنشد أبو حاتم والتَّوَّزىّ :

واشْرُوا لها خاتِناً ، وابغُوا لخُنْتَبِها   مَعَاوِلاً سبعةً فيهنّ تذكيرُ

(الخنتب : طرف البظر ، مثل المتك . الخاتنة . الخافضة . واشروا : اشتروا) .

وأنشد التَّوَّزىّ :

شَرِيت بكَبْشٍ شِبْهَ ليلى ، ولو أَبَوْا   لأعطيْتُ مَالِي مِنْ طريفٍ وتالدِ[(٢)]

* * *

(١) السابق .

(٢) السابق ، ونوادر أبى زيد ٤٤ ، ومقامات الحريرى ١/٢٥٢ ، والشعر والشعراء ٢٢١

• ولفظ (عنوة) من الأضداد :

يقال : أخذت الشيء « عنوة » إذا أخذته قهراً وغصباً وغلبة .

ويقال : أخذت الشيء « عنوة » أى بمحبة ورضا من المأخوذ منه . حكى ذلك ابن الأنبارى عن أبى ثعلب .

وقال أبو حاتم : « عنوة » بمعنى عن رضا واختيار : لغة أهل الحجاز ، إذ يقولون : العنوة : الطاعة .

أنشد أبو العباس قول كثير عزة : فى معنى الطاعة والرضا :

فما أخذوها عنوةً عن مَوَدَّةٍ ولـكنْ بحدِّ المَشْرَفِىِّ استقالها

وأنشد أبو حاتم لـكثير عزة أيضاً :

تجنبتَ لَيْلَى عَنْوةً أَنْ تَزُورَهَا وأَنْتَ امرؤٌ فى أهْلِ وُدِّكَ تَارِكُ

(عنوة : طائعـاً . وتارك : مُبْقٍ . وفى القرآن : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ﴾(١) .

وأنشد أبو حاتم وقطرب :

هل أنت مطيعى أيها القلب عنوة ولم تُلْحَ نفسى لم تُلَمْ فى اختيالها

(لم تلح : لم تلم ، أى : لم تأت ما تلام عليه) .

* * *

وفى معنى الخضوع والذل والقهر ،

جاء قول الله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ ﴾(٢) .

أى خضعت وذلت . ويقال : عنوت لفلان : إذا خضعت له . وقال قطرب عن الشيبانى عنت : كلّت .

وقال أمية بن أبى الصلت :

ملكٌ عَلَى عَرْشِ السَّماءِ مُهَيْمِنٌ تَعْنُو لعِزَّتِهِ الوجوهُ وتَسْجُدُ

(١) الصافات : ١٠٨ (٢) طه : ١١١

وقال أمية أيضاً ، فى معنى خضع وذل :

الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً وقدّر خلقه تقديراً
وعنا له وجهى وخلقى كله فى الخاشعين لوجهه مشكورا

ويقال للأسير: عان لخضوعه وذله .

وجاء فى الحديث : « اتقوا الله فى النساء ، فإنهن عندكم عوان »[1] .

* * *

● ولفظ (الغابر) من الأضداد :

يقال: غابر للماضى، وغابر للباقى .

ونص أبو حاتم على أن الغابر بمعنى الباقى هو الأكثر الأعرف .

وغابر كل شيء بقيته ، وكذلك غُبَّره وغُبْره ، وغُبْرُ اللبن بقيته فى الضرع .

وغابر من :غَبَرَ يغبُرُ غبراً وغبوراً .

وجاء قوله تعالى (بمعنى الباقين) :

﴿ فنجيناه وأهله أجمعين . إلا عجوزاً فى الغابرين ﴾[2] .

قال أبو ذؤيب الهذلى يصف فرساً لا يرضع ما بقى من لبنها لسمنها :

متفلق أنساؤها عن قانئ كالقرط صاوٍ غُبْرُه لا يُرضع

وقال أبو كبير الهذلى ، قيل فى صفة تأبط شراً ، وقيل فى صفة فتى جرىء :

ومبرأً من كل غُبَّر حيضة وفساد مرضعة وداء مُغيل

(غبر : باقيه . والمغيل : التى ترضع على حبل فيضوى ولدها ويعتل) .

وتزوج غَنْمُ بن حبيب بن كعب : رقاش بنت عامر ، بعد ما أسنّ ،

---

(١) أضداد قطرب ١٧٣ ، وابن الانبارى ٧٩ ، وأبى الطيب ٢/ ٤٩٢ ، والسجستانى ١٢٦ ، والأصمعى ٤٤ ، وابن السكيت ١٩٧ (٢) الشعراء : ١٧٠ ، ١٧١

فقيل له فى ذلك ، فقال : لعلى أتغبَّرُ منها ولداً ، أى أبقى . فولدت له ولداً فسماه « غبرَ » .

وقال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر :

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ أَنْ غَفَرْ
لَهُ الإلَهُ مَامَضَى وَمَا غَبَرْ

(محمد : يريد به الرسول ﷺ ، وما غبر : ما بقى) .

وأنشد الفراء بمعنى الباقية :

مَخَافَةَ أَلاَّ يَجْمَعُ اللهُ بَيْنَنَا ... وَلاَ بَيْنَهَا أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ (١)

وقال الشاعر فى معنى الباقى أيضاً :

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لاَ وَجَدِّكَ لَنْ تَرَى ... سِنَامَ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيالِى الْغَوابِرِ

وقال أبو ذؤيب الهذلى ، فى بقيتُ بعدهم :

فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُ بِعَيْشٍ نَاصِبٍ ... وَإِخَالُ أَنِّىَ لاحِقٌ مُسْتَتْبِعُ

وقال ابن الأنبارى : قال العجاج فى (الباقين) :

أَعَابِرَانِ نَحْنُ فى الْعُبَّارِ
أَمْ غَابِرَانِ نَحْنُ فِى الغُبَّارِ

ورواية أبى الطيب لهذا الرجز :

أَغَابِرَانِ نَحْنُ فِى الْغُبَّارِ
أَمْ غَابِرَانِ نَحْنُ فِى الغُبَّارِ

وذكر أن هذا مما يحتمل اللغتين جميعاً ، وفسره بقوله : « يريد : أذاهبان نحن فيمن ذهب ؟ أم باقيان فيمن بقى ؟ » .

---

(١) أضداد أبى الطيب ٢/٥٢٧ ، والسجستانى ١٥٤ ، وابن الأنبارى ١٢٩ ، والمفضليات ٢/٢٢٢ ، وديوان الهذليين ١/٢٩ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٤٧ ، والجمهرة لابن دريد ١/٢٦٨ ، والاشتقاق لابن دريد ٣٤١ ، واللسان : (غبر) .

ومن الغابر بمعنى «الماضى» قول الأعشى :

عَضَّ بما أبقى الْمَوَاسِى لَهُ مِنْ أُمِّهِ فى الزَّمَنَ الْغَابِرِ (١)

ويقال : كان كذا وكذا فى غابر الدهر ، أى فى الزمان الماضى ، ويقال : كان كذا وكذا وكذا ، ثم غبر الدهر غبوره ،أى مضى مضيه، فهذا الغابر الماضى .

* * *

• ولفظ (التعزير) من الأضداد :

١ ـ يقال : عزرت الرجل، إذا أدبته وعنفته ولمته، ومنه قول الفقهاء: يجب عليه التعزير. وعزرت الجانى أعزره تعزيراً إذا أدبته وقوّمته تقويماً. وكذلك عزَرْتُه عزراً بالتخفيف .

٢ ـ ويقال : عزّرتُ الرّجل أعزّره تعزيراً ، وعزَرْته أعزِرُهُ عزراً بالتخفيف ، إذا عظمته وعضدته وكرمته .

فنى معنى التعظيم والتكريم والتعضيد :

جاء قول الله تعالى : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾(٢) .

وقرىء : « وتَعزُرُوهُ » بالتخفيف : أى عظموه .

وقال الشاعر (لمن يعظم فى المجلس) :

وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمْ كَرِيمٌ وَمِنْ لَيْثٍ يُعَزَّرُ فى النَّدِى

وقريب من التعظيم والتعضيد ، ما حكى عن الفرّاء أنه قال : العَزْرُ والتعزير: التعليم. ومنه قول سعد بن أبى وقاص الصحابى:« صحبت رسول الله ﷺ ، ثم هؤلاء أهلُ الكوفة يُعزِّرُننى » . أى يعلمو ننى الفقه والأدب.

وعن ابن عباس : (التعزير : النصر بالسيف واللسان) .

* * *

---

(١) السابق .

(٢) الفتح : ٩

وجاء فى التأديب ، قول القُطَامِىّ :

أَلاَ بَكَرَتْ مَىٌّ بِغَيْرِ سَفَاهَةٍ تُعَاتِبُ، والمودُودُ يَنْفَعُهُ العَزْرُ[١]

ويقال : عزرت فلاناً عن كذا وكذا أعزره عزراً : إذا منعته .

وقال قوم : التعزير الذى هو ضرب دون الحد مأخوذ من هذا .

* * *

● **ولفظ (القرء) من الأضداد :**

يقال (القرء) للحيض ، ويقال : للطهر أيضاً .

والقرء بمعنى الطهر ، هو مذهب أهل المدينة ، والقرء بمعنى الحيض ، هو مذهب أهل الحجاز .

وجمع القرء : أقراء وقروء . وقال الأصمعى : عن أبى عمرو بن العلاء . يقال : قد دفع فلان إلى فلانة تُقرِّئها ، يعنى أن تحيض ثم تطهر للاستبراء .

وأبو عبيدة يرى القرء : الدخول فى الحيض ، والقرء أيضاً : الخروج من الحيض إلى الطهر ، فقد لاحظ الوقت . ويقول قطرب : قرأت المرأة : إذا حاضت ، وقرأت المرأة : إذا طهرت .

وقال أبو عمرو ، القرء : الوقت ، فقد يكون وقتاً لهذا ، أو لذاك . والقول بالوقت معناه التداخل الذى أشار إليه المحدثون ، والمنكرون للأضداد .

وشاهد القرء بمعنى الوقت ، قول مالك بن الحارث الهذلى (مخضرم) :

شَنِئْتُ العَقْرَ : عَقْرَ بنى شَلِيلٍ إِذَا هبَّتْ لِقَارِئِهَا الرياحُ

(العقر : موضع . شليل : هو جدّ جرير بن عبد الله الْبَجَلِىّ . وقارئها : لوقتها . وهو يعتذر عن فراره من الحرب) .

ويقال : قد أقرأت النجوم . إذا غابت . وابن الأنبارى يرى هذا حجة لمن قال . الأقراء . الأطهار ، لأنها خرجت من حال الطلوع إلى حال الغيبة.

ويقول ابن الأنبارى . روى أبو عبيد عن الأصمعى وأبى عبيدة ،

---

(١) أضداد أبى الطيب ٢/٥٠٦ ، وابن الأنبارى ١٤٧ ، وقطرب ٥٠

أنه يقال : « قد أقرأت المرأة إذا دنا حيضها . وأقرأت إذا دنا طهرها » .
وروى غير أبي عبيد : أقرأت وقرأت إذا حاضت ، وإذا طهرت أيضاً .
ويرجح ابن الأنباري ما رواه أبو عبيدة[١] .

ومعنى هـــذا . أنه الوقت ، أو الدخول في الطهر أو الحيض ، أو الدنو منهما .

وقال قطرب : « قرأت المرأة » ، بمعنى حملت .

وقال أبو عبيدة : يقال : ما قرأت الناقة سلاً قطّ ، أي لم تضم ولداً في رحمها ، وأنشد لعمرو بن كلثوم :

ذراعَيْ حُرَّةٍ أَدْماء بِكْرٍ   هجانِ اللّونِ لم تَقْرَأْ جَنِيناَ

أي لم تضم في رحمها ولداً .

وهذا معنى آخر للقرء ، وهو مأخوذ من « قرأ » بمعنى جمع .

وروى ابن الأنباري عن أبي العباس عن سلمة عن الفراء ، قال : يقال : أقرأت المرأة إذا حاضت ، وقرأت : حملت .

* * *

ومن الحجة لمن قال ، القرء : الطهر ، قول الأعشى :

وفي كُلِّ عامٍ أنت جاشِمُ غزوةٍ   تَشُدُّ لأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا
مُوَرِّثَةٍ مالاً وَفِي الأَصْلِ رِفْعَةً   لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسائِكا[٢]

(معناه : لما ضيعت من أطهار نسائك فلم تغشهن مؤثراً الغزو ، فأورثك ذلك المال والرفعة) .

* * *

ومن الحجة لمن قال : القرء الحيض :

قول النبي ﷺ للمرأة : « دَعِي الصلاة أيام أقرائك » .

---

(١) أضداد ابن الأنباري ٢٧ ، وأبي الطيب ٢/٥٧١ ، والأصمعي ٥ ، وابن السكيت ١٦٠ واللسان (قرأ) .

(٢) أضداد قطرب ٩٩ ، وابن السكيت ١٦٥ ، وأبي الطيب ٢/٥٧٥ واللسان : (قرأ)

ويقال : قد تحيضت المرأة إذا تركت الصلاة أيام الحيض ، ومن ذلك الحديث الذى يروى فى المستحاضة . أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : « احْتَشِي كُرْسُفاً » قالت : إنى أَثُجُّهُ ثَجًّا . فقال : « اسْتَثْفِرِى وَتَحَيَّضِى فِي عِلْمِ اللهِ سِتًا أَوْ سَبْعاً ، ثمّ اغْتَسِلِي وَصَلِّى »[١]. أى : اتركى الصلاة أيام الحيض . (والكُرْسُف والبِرْسُ والطّاطْ : القُطْنُ . والثّفر : ما تلجم به المرأة فرجها فى الحيض) .

فالقرء هو الحيض أو هو الطهر .

* * *

● ولفظ (تلحلح) من الأضداد :

يقال : قد تلحلح الرجل : إذا أقامَ فى الموضع وثبت .

وتلحلح إذا زال وذهب . وكذا مقلوبه : (تحلحل) .

جاء بمعنى أقام وثبت : فيما روى بالسند الطويل الثابت :

« أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ودخلها جاءت ناقتُهُ إلى مَوْضِعِ الْمِنْبَرِ ، فَاسْتَنَاخَتْ وَتَلَحْلَحَتْ » أى: ثبتت .

وقال ابن مقبل (فى معنى ثبتوا) :

أُنَاسٌ إِذَا قِيلَ انْفِرُوا قَدْ أُتِيتُمُ أَقَامُوا عَلَى أَثْقَالِهِمْ وَتَلَحْلَحُوا

* * *

وجاء بمعنى تحرك وذهب ، قول امرأة تدعو على زوجها بعد كبره :

تَقُولُ وَرْيًا كُلَّمَا تَنَحْنَحَا شَيْخٌ إِذَا حَرَّكْتَهُ تَلَحْلَحَا[٢]

(أى : تحلحل ، فقدم وأخر ، كما فى جذب وجبذ ، وعاث وعثا . وتلحلح : تحرك) .

ونقول لمن نريد تحركه : تلحلح يارجل .

* * *

(١) السابق .

(٢) أضداد ابن الأنبارى ٢٣٦ – ٢٤٠

• **ولفظ (لحن) من الأضداد :**

يقال للخطأ : لحن . ويقال للصواب : لحن . رواه أبو العباس عن ابن الأعرابى .

وشاهده بمعنى الصواب، قوله تعالى: ﴿ولتعرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(١) أى فى صواب القول وصحته .

وروى بالسند عن أُبَىٍّ بن كعب ، قال : « تَعلَّمُوا اللَّحْنَ فِى الْقُرْآنِ كَمَا تَتَعَلَّمُونَهُ » .

قال ابن الأنبارى : يجوز أن يراد باللحن هنا : الصواب ، ويجوز أن يكون الخطأ : لأنه إذا عرف القارىء الخطأ عرف الصواب .

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : « تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ ، والسُّنَّةَ ، واللَّحْنَ ، كَمَا تَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ » وجوّز ابن الأنبارى فيه الوجهين أيضاً .

وسئل يزيد بن هارون عن اللحن فى حديث عمر . فقال : النحو .

ويقول عمر بن عبد العزيز : « عجبت لمن لاَحَنَ النَّاسَ ، كَيْفَ لاَ يَعْرِفُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » : أراد بـ « لاحن » : فاطن .

وقال أبو العالية : كان ابن عباس يعلمنا لحن الكلام .

وقال لبيد :

مُتَعَوِّدٌ لَحِنٌ يُعِيدُ بِكَفِّهِ قَلَمًا عَلَى عُسُبٍ ذَبُلْنَ وَبَانِ

وقال القتَّال :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْلاَ تَفْهَمُوا
وَوَحَيْتُ وَحْيًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

---

(١) محمد : ٣٠

وقال ابن أحمر يصف صحيفة كتبها :

وتعرفُ فى عُنْوَانِهَا بَعْضَ لَحْنِهَا   وَفِى جَوْفِهَا صَمْعَاءُ تُبْلِى النَّوَاصِيَا

(فالقتّال ما أخطأ ليفهموا ، وابن أحمر لا يصف ما كتب بالخطأ ، والصمعاء : الداهية) .

وأنشد أبو العباس وغيره . كما ذكر ابن الأنبارى :

وَحَدِيثٍ أَلَذُّهُ هُوَ مِمَّا   تَشْتَهِيهِ النُّفُوسُ يُوزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا   نًا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

فسر ابن الأنبارى « تلحن » و « لحنا » بالصواب والفطنة . وفسره ابن قتيبة بالخطأ ، لأن الشاعر ـ فى رأيه ـ استملح ما يقع من الخطأ فى كلام هذه المرأة . ورد عليه ابن الأنبارى بأن هذا محال ، لأن الخطأ فى الكلام إنما يستقبح وقوعه من الجنسين . ويستملح البارع الصائب . وذكر نماذج للفصيحات من شهيرات النساء(١) .

* * *

ومما ذكر فى اللحن بمعنى « الخطأ » .

أن العرب كانت تُقرِّبُ المعربين وتنتقص اللاحنين وتبعدهم :

فالرسول ﷺ يقول : « رحم الله امرأً أصلح من لسانه » .

وابن عمر رضى الله عنهما ، كان يضرب بنيه على اللحن .

ويستقبح عمر بن الخطاب رضى الله عنه رمى قوم ، فيقول لهم : ما أسوأ رميكم : فيجيبونه : نحن قوم « متعلمين » ، فيقول : لحنكم أشد علىّ من فساد رميكم .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ٢٤٠ ، وأمالى القالى ١/٤ ، والعربية « ليوهان فك » (لحن) « واللسان : (لحن).

وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أعربوا الكلامَ كَىْ تُعْرِبوا القرآن » .

وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن .

ولحن محمد بن سعد بن أبى وقاص فى بعض الأوقات ، فقال : (حَسٍّ) إنى لأجد مرارتها فى حلقى . (أفتراه كان يقولها ، لو كان اللحن هنا هو الصواب ؟) .

ويستأذن رجل من علية أهل الشام على عبد الملك بن مروان ، فيغطى الشطرنج الذى كانوا يلعبون به ، فلما دخل الرجل فتكلم لحن . فقال عبد الملك : يا غلام . اكشف عنها الغطاء « ليس للاحنٍ حُرْمة » .

ويضع أبو الأسود الدؤلى باب التعجب كما قيل لأن ابنته أخطأت فى قولها : ما أشدُّ الحر ، بدلا من : ما أشدَّ الحرَّ ، وقيل : ما أجملُ السماء ، وما أجملَ السماء !! .

وشكا رجل خَتنهُ إلى عبد العزيز بن مروان ، فيسأله : ومن ختَنَك ؟ (بفتح النون) فيجيبه الرجل : خَتَنَنِى الختّانُ . فخجل عبد العزيز . وألزم نفسه بأن يتعلم النحو(١) .

* * *

• ولفظ (هجد) من الأضداد :

فالهاجد : النائم : والهاجد : اليقظان الساهر ، حكى ذلك أبو حاتم .

وقال قطرب : هَجَدَ يَهْجُدُ هُجُودا ، إذا نام ، وإذا سهر .

وقال الأصمعى : الهاجد : النائم ، والهاجد : المصلى بالليل .

---

(١) السابق .

وشاهد المجود بمعنى النوم: قول المرقش الأكبر:

سرى ليلا خيالٌ من سُلَيْمَى فأرَّقنى وأصحابى هُجُودُ

أى نيام.

وقال لبيد بن ربيعة يصف رجلا غلبه النعاس فى السفر:

قال: هَجِّدْنَا فَقَدْ طَالَ السُّرَى وَقَدَرْنَا إن خَنَا الدَّهرِ غَفَلْ

(والمعنى: قدرنا على ما نريد، وطال سرانا، فنمْ بنا ونَوِّمنا).

وأنشد الأصمعى قول الحطيئة يمدح بغيض بن عامر:

فحياكِ ربى مَنْ هداكِ لفتيةٍ وَخُوصٍ بأعلى ذِى طُوَالَةَ هُجَّدِ

(خوص. وصف لناقة غائرة العينين. وذى طوالة: موضع).

وقال الأخطل:

عوامدَ للألجام ألجام خامرٍ يُثِرْنَ قَطًا لولا سُرَاهُنَّ هُجَّدَا[٣]

(الألجام: واحدها لجم: ما بين الحزن والسهولة، وهجدا: نياما).

* * *

ومن شواهد «المجود» بمعنى السهر، جاء قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٢]. قال التوزى. معناه: صلِّ به.

وقال غيره: فتيقظ به. وقال ابن الأنبارى: فاسهر به.

وقال نابغة بنى ذبيان فى وصف المتجردة:

لو أنَّها عرضَتْ لأشمطَ راهبٍ عبد الإلهَ صرورةٍ مُتَهَجِّدِ

لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولخالَهُ رُشْداً وإنْ لم يَرْشُدِ[٣]

(الصرورة هاهنا: الذى لم يأت النساء قط. متهجد: ساهر).

(١) أضداد الأصمعى ٤٠، والسجستانى ١٢٤، وابن السكيت ١٩٤، ومختارات ابن الشجرى ١٥، واللسان (هجد). (٢) الإسراء: ٧٩ (٣) السابق.

وقال آخر: (وجدته في المفضليات ، وفي مجالس ثعلب ، لامرأة من بني حنيفة ترثي يزيد بن عمرو (الحنفي) :

ألا هلك امرؤٌ ظلتْ عليه   بِشَطِّ عُنَيزَةٍ بقرٌ هُجُودُ

(أراد نسوة كالبقر في حسن أعينهن ، سواهر) .

وقال الشاعر :

أسْرَى لأشْعَثَ هاجِدٍ بمفازةٍ   بخيالِ ناعمةِ السُّرَى مِكْسالِ

وقال الآخر :

بسيرٍ لا ينيخُ القومُ فيهِ   لِساعاتِ الكَرَى إلا هجودا

معناه إلا ساهرين ، أي: من السهر نومه وإناخته ، فلا نوم ولا إناخة له .

وسابَّ أعرابي امرأته ، فقال : عليها لعنةُ المتهجدين ، يريد الساهرين بذكر الله تعالى والمصلين بالليل .

وروى أبو الطيب بالسند عن ابن عباس ، رضي الله عنهما : قال : « أيحسبُ أحدكم إذا قام بالليل أنه قد تهجَّدَ ، لا ، ولكن حتى يقوم ، ثم ينام ، ثم يقوم ثم ينام ، ثم يقوم ثم ينام ، فذلك المتهجِّدُ بالليل »[1] .

* * *

● **ولفظ (وراء) من الأضداد :**

يقال للرجل : وراءك ، أي خلفك ، ووراءك : أي أمامك ، حكاه أبو عبيدة .

قال كُثَيِّر عزة في معنى (الخلْف) :

الضاربونَ أمامَها ووراءَها   بِمُهَنَّدَاتٍ قَدْ أُجِيدَ صِقَالُهَا

---

(١) أضداد ابن الأنباري ٥٠ ، وأبي الطيب ٢/٦٨١ ، ومجالس ثعلب ٢٩٨ ، والمفضليات ١/٧٣

وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِن وَرَائِى ﴾(١) .

وفى معنى الوراء أيضاً ولد الولد ، سأل ابن عباس رجلا من هذيل عن رجل ، فقال: مات . وترك كذا وكذا من الولد ، وثلاثة من الوراء ، أى من ولد الولد .

وذكر الفراء عن بعض المشيخة ، قال : أقبل الشعبى ومعه ابن له ، فقيل له : أهذا ابنك ؟ فقال : هذا ابنى من الوراء : يريد من ولد الولد(٢) .

وعلى ذلك معنى قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ اسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾(٣) .

* * *

وجاء فى معنى الأمام والقدام ، قول الله تعالى : ﴿ وكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾(٤) .

يعنى قدامهم وأمامهم . وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقرؤها : « وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صالِحَةٍ غَصْبًا » .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾(٥) .

أى : من قُدَّامه .

وقال تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾(٦) .

وقال المرقِّش الأكبر :

لَيسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمْ ... وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مَا يَعْلَمْ

وقال سوار بن المضرب ، وأنشده قطرب وأبو عبيدة :

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوانَ سَمْعِى وَطَاعَتِى ... وَقَوْمِى تَمِيمٌ والْفَلَاةُ وَرَائِيَا

(١) مريم : ٥
(٢) أضداد السجستانى ٨٣ ، وأبى الطيب ٢/٦٥٧ ، وقطرب ٩٥ ، وابن الأنبارى ٦٩
(٣) هود : ٧١
(٤) الكهف : ٧٩
(٥) إبراهيم : ١٧
(٦) الجاثية : ١٠

ويقول لبيد بن أبى ربيعة :

أَلَيْسَ وَرَائِى إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِى ... لُزُومُ الْعَصَا تُحْنَى عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِى مَضَتْ ... أَدِبُّ كَأَنِّى كُلَّمَا قُمْتُ رَاكِعُ

وقال عروة بن الورد (جاهلى) :

أَلَيْسَ وَرَائِى أَنْ أَدِبَّ عَلَى الْعَصَا ... فَيَأْمَنَ أَعْدَائِى وَيَسْأَمَنِى أَهْلِى

وأنشد قطرب للنابغة الذبيانى :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ(١)

أراد وليس قدامه ، وزاد ابن الأنبارى : ويقال معناه : وليس سوى الله ، على حد قوله تعالى : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾(٢) .

* * *

● الشبيه بالأضداد .

ذكر بعض علماء الأضداد على أن من الألفاظ ما يفسر تفسيرين مختلفين ، لكنها لا تستحق اسم الأضداد ، ولما كانت قريبة التفسير من معنى التضاد ، أطلقوا عليها شبه الأضداد .

ونبه عليها ابن سيده فى المخصص ، وجعلها ملحقة بالأضداد .

وذكر ابن الأنبارى بعض هذه الألفاظ فى أضداده ، ومعظمها من ألفاظ الألوان .

(والتنبيه على الشبيه بالأضداد ، يعنى : أن علماء الأضداد لم يجمعوا كل ماهب ودب ، ونسبوه للأضداد ، كما نقدهم بذلك بعض المحدثين . وإنما دعاهم إلى القول بالضد أو شبهه النص والاستعمال) .

وهذه نماذج من الشبيه بالأضداد :

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ٦٨ ، وقطرب ٩٥ ، والمفضليات ٢٣٩ ، والأصمعى ٢٠ . وابن السكيت ١٧٦ ، والمعمرين ٥٢ ، والشعر والشعراء ٣٣٧ (٢) البقرة : ٩١

● « الأحمر » مما يشبه الأضداد :

يقال : أحمر للأحمر ، ويقال : رجل أحمر ، إذا كان أبيض أيضاً :

قال أبو عمرو بن العلاء : أكثر ما تقول العرب فى الناس : أسود ، وأحمر ، قال : وهو أكثر من قولهم : أسود وأبيض .

وأنشد ابن السكيت لأوس بن حَجَر :

وأَحْمَرَ جَعْداً عَلَيْهِ النُّسُورُ ... وَفِي ضِبْنِهِ ثَعْلَبٌ مُنْكَسِرْ

(ضبنه : إبطه . والثعلب : مادخل من طرف الرمح فى جبة السنان).

* * *

● و « الأخضر » مما يشبه الأضداد :

يقال : للأخضر أخضر ، وللأسود أخضر أيضاً :

قال الشماخ :

ولَيْلٍ كَلَوْنِ السَّاجِ أَسْوَدَ مُظْلِمٍ ... قَلِيلِ الوَعَى دَاجٍ كَلَيْلِ الأَرَنْدَجِ

(الساج : طيلسان أخضر . فشبه الليل بالطيلسان الأخضر ويريد شدة سواده . والوعى : الصوت والأرندج : جلود سود) .

وقال أبو هريرة : « أصحابُ الدَّجَّالِ عَلَيْهِمْ السِّيجَانُ ، شَوَارِبُهُمْ كَالصَّيَاصِي ، وَخِفَافُهُمْ مُخَرْطَمَةٌ » .

(والصياصى : قرون البقر . ومخرطمة : لها خراطيم) .

وقال ذو الرمة : (فى ظل ليل مظلم) :

قَدْ أَعْسَفَ النَّازِحَ المَجْهُولَ مَعْسِفُهُ ... فِي ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ البُومُ[1]

(أعسف : سار على غير هدى . النازح : البعيد . والمجهول : الذى لا علم له . والأخضر : يقصد به هاهنا الليل . والهام : ذكر البوم) .

---

(١) أضداد ابن الأنبارى ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، وديوان ذى الرمة ٥٧٤

وبعض المفسرين فسر قول الله تعالى : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴾[1] . فقال : خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الري .

وقال اللهبي : (أبو أمية الفضل بن العباس بن عتبة) يفخر بأن لونه أسود كلون العرب :

وأنا الأخضر من يعرفني أخضرُ الجِلْدَةِ من بيت العرب

* * *

• و « الأسود » شبيه بالأضداد :

يقال للأسود : أسود . ويقال درهم أسود : إذا كان أبيض خالص الفضة جيدها .

روى بالسند : أن الأعمش سئل عن حديث فأبى أن يحدث به . فلم يزل السائلون يحاورونه ويداورونه . حتى استخرجوه منه . فضرب لهم مثلا . فقال : جاء قَفَّاف إلى صيرفي بدراهم يريه إياها فقف منها الصيرفي سبعين درهماً ، فلما وزنها القفاف عرف النقصان ، فقال :

عَجِبْتُ عَجِيبَةً مِنْ ذِئْبِ سُوءٍ أَصَابَ فَرِيسَةً مِنْ لَيْثِ غَابِ
وقَفَّ بِكَفِّهِ سَبْعِينَ مِنْهَا تَنَقَّاهَا مِنَ السُّودِ الصِّلَابِ
فَإِنْ أُخْدَعْ فَقَدْ أُخْدَعْ وَيُؤْخَذْ عَتِيقُ الطَّيْرِ مِنْ جَوِّ السَّحَابِ

(قفاف : سارق الدراهم بإصبعه . السود : يقصد البيض) .

وقال بعضهم : ليس الأسود من الأضداد ، لأن الدرهم إذا وصف بالسواد فإنما يذهب به إلى أنه قديم الفضة جيدها ، وأنه قد تغير لونه ، واسود بعض الاسوداد ، لمرور الأيام والليالي ، كما حكى ابن الأنباري[2] .

* * *

---

(١) الرحمن : ٦٤

(٢) أضداد أبي الطيب ١/٢٣١ ، وابن الأنباري ٣٤٩ ، ومعجم الشعراء ٣٠٩ ، والمؤتلف والمختلف ٣٥

شواهد المترادف

● **نموذج من (الترادف) في اللغة العربية :**

ذكر القالي باباً في (مطلب أسماء الزوجة) ، جاء فيه أنها :
الحليلة ، والعرس ، والحوبة ، والطلة ، والبضة[1] . ومنها أيضاً :
الزوج ، والزوجة ، والقعيدة ، والحديد . قالت أم تنعى حظها في ابنها :

فَلَمَّا تَرَجَّتْ نَفْعَهُ وشَبَابَهُ أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى حَدِيداً تَكَحَّلُ[2]

ومنها : الحنة ، والبعلة ، والحال بلغة هذيل ، قال الأعلم :

إِذَنْ لَذَكَرْتَ حَالَكَ غَيْرَ عَصْرٍ وَأَفْسَدَ صُنْعَهَا فِيكَ الْوَجِيفُ

قال الجمحى : الحال : المرأة ، هكذا سمعتها من أعراب هذيل .

وقال الأعلم :

يَلْطُمُ وَجْهَ حَنَّتِهِ إِذَا مَا تَقُولُ : تَلَفَّتَنَّ إِلَى الْعِيَالِ

وهي أيضاً : طلته ، وربضه ، وجارته ، وامرأته (كله بمعنى واحد)[3] .

* * *

● ويقول ابن هذيل الأندلسي :

من أسماء السيف : الجنثي ، والصفيحة ، والقضيب ، والصقيل ، والخشيب ... يقول طرفة بن العبد :

فَآلَيْتُ لَا يَنْفَكُّ كَشْحِي بِطَانَةً لِعَضْبٍ صَقِيلِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
حُسَامٌ إِذَا مَا قُمْتُ مُنْتَصِراً بِهِ كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدْءُ لَيْسَ بِمِعْضَدِ[4]

* * *

(١) أمالي القالي ١/١٩ (٢) ديوان عروة بن الورد ٥٨
(٣) شرح أشعار هذيل ١/٣١٩ - ٣٢٩
(٤) حلية الفرسان ، لابن هذيل ١٩١ - ١٩٤

• وقال أبو العلاء المعرى : فى الأصل ومرادفه : السِنْخ ، والنِّجار ، والنصاب ، بمعنى الأصل[1] .

وقال ابن دريد : النِّجَارُ بمعنى الأصـل ، واستشهـد بقول زرارة ابن فردان :

قَدَ اخْتَلَطَ الأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي وَمَاجَ النَّاسُ وَاخْتَلَطَ النِّجَارُ[2]

وقال الضبى : الجد : الأصل ، والحفد ، والمحتد ، والنحت ، والأرث ، والقنس . قال يزيد بن الحذاق الشنى :

يَأْبَى لَنَا أَنَّا ذَوُو أُنُفٍ وَأُصُولُنَا مِنْ مَحِيدِ الْمَجْدِ

وقال العجاج : * مِنْ قَنْسِ مَجْدٍ فَوْقَ كُلِّ قَنْسِ *

ويقال فيه أيضاً : ضِنْضِيء ، وجِذْلِ ، وأَرُومة ، وصُلْبِ ، وسِنْخِ ، ونُحَاس ، وأنشد يعقوب :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ نُحَاس قَصِّرْ مِقْيَاسَكَ عَنْ مِقْيَاسِ

وقال الشاعر :

أَنَا مِنْ ضِنْضِيء صِدْقٍ بَخٍ ، وَمِن أَكْرَمِ جِذْلِ
مَن عَزَانِى قَالَ : بَهْ بَهْ سِنْخُ ذَا أَكْرَمُ أَصْلِ

وقال ضمرة النهشلى :

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوامُ أَنَّ أَرُومَتِى يَفَاعٌ إِذَا عُدَّ الرَّوَابِى الْمواجِدُ

وقال الشاعر .

أَجَلْ ، إِنَّ اللهَ قَد فَضَّلَكُم فَوقَ مَا أَحْكِى بِصُلْبٍ وَإِزَار[3]

---

(١) شرح ديوان ابن أبي حصينة ، المعرى ٤٧ ، ٨٢

(٢) الاشتقاق لابن دريد ٢٩٥

(٣) ديوان الضبي ، بشرح ابن الانبارى ٩٥ ، وشرح ديوان الحماسة ١/٢٢٢ ، وأمالى القالى ٢/١٦ ـ ١٨

ومن رسالة عامر بن غرسية فى الشعوبية : « أرومة رومية ، وجرثومة أصفرية » ، فرد عليه أبو الطيب القروى : « وعلام جئت أصلك من الأنباط وأزحت فصلك عن الأقباط ؟ والعرب أهل الغرائز الكريمة ، والنحائر السليمة »[١] .

وقال عوف بن الأحوص .

* مُلُوكٌ عَلَى أَنَّ النَّحِيتَةَ سُوقَةٌ *[٢]

(والنحيتة : النجر والأصل) .

يقول الحضرمى فى تذكرة الحفاظ :

(كالأصل) والعُنْصر قل جُرْثُومَهْ   والنَّجر والضِئْضِئ والأَرُومة[٣]
ومحتدٌ ونَبْعَـــةٌ ومَنْبتٌ   عِرْقٌ نِجارٌ مَغْرِسٌ أبوه

* * *

● وذكر القالى ما يقال (للسنام) : كالذروة ، والشرف ، والقمحة ، والقحدة ، والهودة ، والعريكة ، والكنز .

وأنشد قول علقمة بن عبدة :

* كِتْرٌ كَحَافَةِ كِيرِ الْقَيْنِ مَلْمُومُ *

وقال الأصمعى : ولم أسمع بالكتر إلا فى هذا البيت[٤] . مما يدل على سعة اللغة ، وأن بعضها ضاع .

ويقول الحضرمى :

كالُحسن والجمال قل نَضَاره   وسَامَةٌ وضاءةٌ ونُضْرَهْ
صباحةٌ ملاحةٌ رشاقهْ   وَرَوْنَقٌ وزُهْرةٌ وَزِينهْ

(١) نوادر المخطوطات ١/٣٢٣   (٢) شرح ديوان المفضليات لابن الانبارى ٣٥٢
(٣) تذكرة الحفاظ ، للحضرمى ٢ ـ ١٦   (٤) أمالى القالى ٢/٢٥٣

مثل (عطية) حباءٌ نِحْلَهْ ومنحةٌ وَصِلةٌ وتحفهْ
موهبةٌ نافلة وجائزهْ وصفد رِفْدٍ ونُبل عائدهْ

ومن أسامى (الخمر) قل سُلافَهْ راح حُمَيَّا خَنْدَرِيس قهوه
وعاتقٌ وقرْقفٌ مُدامَهْ إثمٌ رَحيقٌ وَعُقارٌ مُزَّهْ
وسلسبيلٌ وَكُميتُ وَطَلاَ صَهْبَاء أمُّ كُلِّ خُبْثٍ وَبَلاَ

(كالموت)حَتْف ووفاة وَحِمَام منيةٌ سامٌ وَحِينٌ وَلِزَامْ
كل منونٍ وَهَلاَكٍ وَرَدَى قاضيةُ قَضى يَقينٌ وَرَدا

(كالقبر) لحدٌ حَدَثٌ حُفْرهْ رَمْسٌ ضَريحٌ رَجْمُ حافِرَهْ
(كَالْعفو) غُفْرانٌ تَجاوُزٌ كذَا إقالَة إغْضَا وَصفْحٌ حبَّذَا[1]

وفى القرآن الكريم أمثلة واضحة للترادف ، قال تعالى :

﴿ وأقْسَمُوا بالله ﴾ ، ﴿ يَحْلفُونَ بالله مَاقَالُوا ﴾ .

﴿ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً ﴾ ، ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً ﴾ .

﴿ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ الموتُ ﴾ ، ﴿ حتّى إذا جاء أحدَكُم الموتُ ﴾ .

﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾، ﴿ مَثْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾،﴿أشْكُو بَثّى وحزْنى إلى الله ﴾.

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ .

﴿ تَا اللهِ لَقدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا ﴾ ،﴿ وأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ ﴾.

وراجع (الخجال) بمعنى السم[2] ، فى المداخل ، للمطرز الزاهد ، وقد سقناه كنموذج من كتاب المداخل ، فى هذا الكتاب .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

(١) تذكرة الحفاظ ٢ ــ ١٦

(٢) المداخل فى اللغة ٧٣ ، ٧٤

ثبت المراجع

- الإبدال : لأبى الطيب عبد الواحد اللغوى . تحقيق عز الدين التنوخى ط . دمشق ١٣٨٠ هـ
- الإبدال والمعاقبة والنظائر : للزجاجى (الكنز اللغوى) ط بيروت
- الإبل : لعبد الملك بن قريب الأصمعى (الكنز اللغوى) ط بيروت
- الإتقان فى علوم القرآن : لجلال الدين السيوطى . ط ثالثة : القاهرة ١٣٧٠ هـ
- الأجناس من كلام العرب ، وما اشتبه فى اللفظ واختلف فى المعنى : لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى . تصحيح الرامفورى ط الهند ١٣٥٦ هـ
- الإحكام فى أصول الأحكام : للآمدى ط صبيح ، القاهرة ١٣٨٧ هـ
- أحكام القرآن : للجصاص . ط أولى . دار الكتاب بيروت ١٣٣٥ هـ
- أدب الكاتب : لابن قتيبة . ط القاهرة ١٣٥٥ هـ
- أدب الكتاب : لأبى بكر الصولى . تصحيح بهجة الأثرى . ط السلفية بمصر ١٣٤١ هـ
- الأزمنة : لأبى على بن المستنير قطرب . (ط المجمع العلمى بدمشق ١/٣٤ ، المجلة : السنة الثانية)
- أساس البلاغة : لجار الله محمود الزمخشرى .
- أسرار البلاغة : للإمام عبد القاهر الجرجانى . ط الاستقامة . القاهرة
- الاشتقاق : لابن دريد الأزدى ـ تحقيق عبد السلام هارون . ط مصر ١٣٧٨ هـ
- إصلاح المنطق : لأبى يوسف بن السكيت . تحقيق شاكر ، وهارون . ط . دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م
- الأصمعيات : لعبد الملك بن قريب الأصمعى . ط القاهرة دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م

ـ الأضداد : لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى . تحقيق أبو الفضل إبراهيم ط الكويت

ـ أضداد ابن الدهان: لأبى محمدسعيد بن المبارك . ط النجف بالعراق ١٣٧١ﻫ

ـ أضداد ابن السكيت : لأبى يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت . (ثلاثة كتب فى الأضداد) ط الكاثوليكية بيروت ١٩١٢ م

ـ أضداد السجستانى : لأبى حاتم سهل بن محمد السجستانى (ثلاثة كتب فى الأضداد) بيروت ١٩١٢م

ـ أضداد الأصمعى: للأصمعى . (ثلاثة كتب فى الأضداد) ط الكاثوليكية بيروت ١٩١٢ م

ـ أضداد الصغانى : لأبى الفضل الحسين بن محمد الصغانى . (ذيل ثلاثة كتب فى الأضداد) ط الكاثوليكية ـ بيروت ١٩١٢ م

ـ أضداد قطرب : لأبى على بن المستنير قطرب (فى مجلة إسلاميكا الألمانية) وعندى نسخة مصورة منه .

ـ الأضداد فى اللغة : للأستاذ حسين محمد (القاهرة) مجلة اللسان العربى مجلد ٨ جـ ١ ص ٩٣ ـ ١٢٠

ـ التضاد فى ضوء اللغات السامية: دراسة مقارنة. د. ربحى كمال. ط بيروت ١٩٧٢م

ـ الأغانى : لأبى الفرج الأصفهانى . ط بيروت . و ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٥ م

ـ الأفعال : لابن القطاع . ط الهند ١٩٦٠ م

ـ الأفعال : لابن القوطية . ط القاهرة ١٩٥٢ م

ـ الألفاظ : لابن السكيت . ومعه (تهذيب الخطيب التبريزى) ط الكاثوليكية ـ بيروت ١٨٩٥ م

- الألفاظ اللغوية : خصائصها وأنواعها . للأستاذ عبدالحميد حسن . القاهرة سنة ١٩٧١ م

- أمالي الزجاجي : لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي . ط القاهرة ١٣٢٤ هـ

- أمالي السهيلي : تحقيق الأستاذ إبراهيم نجا . ط القاهرة

- أمالي القالي : لأبي علي القالي ، ومعه (ذيل الأمالي) ط دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ

- أمالي المرتضى : (غـرر الفوائد ، ودرر القـلائد) للشريف المرتضى ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم . ط أولى - القاهرة ١٣٧٣ هـ

- الإنصاف في مسائل الخلاف : لابن الأنباري . ط القاهرة ١٣٦٤ هـ

- البيان والتبيين : لأبي عمرو الجاحظ - تحقيق هارون - ط الثالثة مصر ١٣٨٨ هـ

- بصائر ذوي التمييز ، في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين الفيروزآبادي تحقيق الشيخ محمد علي النجار . ط أولى . المجلس الإسلامي . القاهرة ١٣٨٥ هـ

- البئر : لابن الأعرابي . تحقيق د. رمضان عبد التواب . ط وزارة الثقافة بمصر ١٩٧٠ م

- تاج العروس من جواهر القاموس : للزبيدي . ط أولى ١٣٠٦ هـ

- تاريخ آداب العرب : لمصطفى صادق الرافعي . ط أولى ١٩١١ م ، وط ثانية ١٣٧٣ هـ

- تاريخ آداب اللغة العربية : جورجي زيدان . ط دار الهلال بمصر ١٩٥٧ م

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : لابن أبي الإصبع المصري ط القاهرة ١٣٨٣ هـ

- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : لابن مكي الصقلي . تحقيق عبد العزيز مطر القاهرة ١٣٨٦ هـ

- تذكرة الحفاظ فى بعض مترادف الألفاظ : لسعيد بن نبهان الحضرمى ، ط الحلبى بمصر ١٣٧٩ هـ
- التطور اللغوى التاريخى : للدكتور السامرائى . ط دار الرائد بمصر ١٩٦٦ م
- (تفسير) : تفسير جامع البيان : للطبرى ، وتفسير القرآن العظيم : للجلالين ، والتفسير الكبير : للرازى ، والجامع : للقرطبى ، وتفسير الكشاف : للزمخشرى ، وتفسير غريب القرآن : لابن قتيبة .
- تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة . ط . القاهرة
- التمام فى تفسير أشعار هذيل ، مما أغفله السكرى : لابن جنى . ط أولى بغداد ١٣٨١ هـ
- الجمان فى تشبيهات القرآن : لابن ناقيا البغدادى . تحقيق الزرزور والداية الكويت ١٣٨٧ هـ
- جمهرة اللغة : لابن دريد الأزدى . ط الهند ١٣٤٤ هـ
- جمهرة أمثال العرب : لأبى هلال العسكرى (على هامش مجمع الأمثال للميدانى) ط القاهرة ١٣١٠ هـ
- جمهرة أشعار العرب : لأبى زيد القرشى . ط دار صادر ، بيروت ١٣٨٣ هـ
- حاشية البنانى على شرح المحلى ، على متن جمع الجوامع للسبكى . ط دار إحياء الكتب بمصر .
- الحماسة الشجرية : لأبى السعادات الحسن العلوى . ط الهند ١٣٤٥ هـ
- حلية الفرسان وشعار الشجعان : لابن هذيل الأندلسى ، ط دار المعارف بمصر
- حياة الحيوان الكبرى : لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى . ط ثالثة . الحلبى بمصر ١٣٧٦ هـ
- الحيوان : للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . ط ثانية . الحلبى بمصر
- الخصائص : لأبى الفتح عثمان بن جنى . تحقيق الشيخ محمد على النجار ط دار الكتب بمصر ١٣٧١ هـ

- خلق الإنسان : للأصمعي (الكنز اللغوى) ط الكاثوليكية بيروت
- دراسات فى فقه اللغة : للدكتور صبحى الصالح . ط ثالثة بيروت ١٣٨٨ هـ
- دلائل الإعجاز فى علم المعانى : عبد القاهر الجرجانى . ط أولى . القاهرة ١٨١٣ م
- دلالة الألفاظ : د . إبراهيم أنيس . ط القاهرة ١٩٥٨ م
- (ديوان) اطلعت على مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية - حوالى الثلاثين ديوانا - للشعراء الجاهليين ، والمخضرمين ، ومن بعدهم ، ممن يحتج بشعرهم ، كما هو مبثوث فى ثنايا الكتاب .

وهناك دواوين شرحها الأعلام اطلعنا عليها ، ومنها :

- ديوان الحطيئة (بشرح ابن السكيت ، والسكرى ، والسجستانى ط الحلبى بمصر)
- ديوان ابن الدمينة (صنعة ثعلب وابن حبيب . ط النفاخ - القاهرة) .
- ديوان عامر بن الطفيل (رواية ابن الأنبارى عن ثعلب) .
- معجم الأدباء : لياقوت الحموى . ط الحلبى بمصر
- المخصص فى اللغة : لابن سيده (١ - ١٧ ج) ط بولاق ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ
- المداخل فى اللغة : لأبى عمر المطرز الزاهد . تحقيق محمد عبد الجواد . ط الانجلو بمصر
- المسلسل فى غريب لغة العرب : لأبى طاهر التميمى . ط وزارة الثقافة بمصر
- المؤتلف والمختلف : لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى . ط القاهرة
- المشترك وضعاً والمختلف صقعاً : لياقوت الحموى . تصوير مكتبة المثنى ببغداد
- المفردات فى غريب القرآن : للراغب الأصفهانى . ط المطبعة الميمنية بمصر
- الملاحن : لابن دريد . تحقيق إسحاق اطفيش . ط السلفية بمصر ١٣٤٧ هـ
- معانى القرآن : لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء . ط دار الكتب بمصر ١٣٧٤ هـ

- المعانى الكبير : لابن قتيبة الدينورى . ط الهند ١٣٦٨ هـ
- المعمرون والوصايا : لأبى حاتم السجستانى . ط دار إحياء الكتب بمصر
- مفتاح الوصول فى علم الأصول : للشريف التلمسانى . ط أولى بمصر ١٣٨٢هـ
- المفضليات : للمفضل بن يعلى الضبى . ط دار المعارف بمصر ١٣٦١ هـ
- مقاييس اللغة : لأبى الحسن أحمد بن فارس . تحقيق هارون . ط مصر ١٣٦٦هـ
- المقدمة : للعلامة ابن خلدون . ط التقدم بمصر .
- مقدمة لدرس لغة العرب : للشيخ عبد الله العلايلى . ط العصرية بمصر ١٩٣٧م
- مميزات لغة العرب : حفنى ناصف . ط ثانية بمصر ١٩٥٧ م
- المنصف : شرح ابن جنى لتصريف المازنى . ط أولى الحلبى بمصر ١٣٧٣ هـ
- نصوص فى فقه اللغة العربية . د. السيد يعقوب بكر . ط بيروت ١٩٧١م
- النهاية فى غريب الحديث والأثر : لابن الأثير . ط الحلبى بمصر ١٣٨٣ هـ
- النوادر فى اللغة : لأبى زيد الأنصارى . ط الكاثوليكية بيروت ١٨٩٤ م
- نوادر أبى مسحل : لأبى محمد عبد الوهاب بن حريش ، ط المجمع العلمى بدمشق ١٣٨٠ هـ
- نوادر المخطوطات : (المجموعة ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) تحقيق عبد السلام هارون ، ط أولى نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٣٧٣ هـ
- الوحشيات : (الحماسة الصغرى) لأبى تمام . تحقيق الميمنى الراجوتى ومحمود شاكر . ط دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م
- الورقة : لابن الجراح . ط أولى . دار المعارف بمصر
- (هذا عدا المعاجم اللغوية الأخرى . والمحاضرات اللغوية ، والمجلات ، والأبحاث المتخصصة ، والدوريات ، والمراجع التى رجعنا إليها قليلا وكلها مبثوثة فى ثنايا هذا الكتاب) .

محتويات الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٤١٠ لسنة ١٩٨٠

للمؤلف

١ – علم اللغة العام

٢ – المشترك اللغوى نظرية وتطبيقاً

٣ – أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية

٤ – عوامل تنمية اللغة